

# أزاد

مَجَلَّةٌ شَهْرِيَّةٌ تَعْنِي بِشُؤُونِ الْفِكْرِ

## في فن العَدْو

### أبحاث

- معركة الثقافة في لبنان . . . . . الدكتور سهيل ادريس  
مراحل اليقظة العربية . . . . . عبد اللطيف شراره  
راي آخر في « الخندق العميق » . . . . . ميخائيل نعيمة  
في قضية الدكتور جيفاغو . . . . . رليف خوري  
ديوان « مدينة بلا قلب » . . . . . رجاء النقاش  
يقظة العرب وامل البشرية . . . . . ذوقان قرقوط  
الفن من الحياة . . . . . شاكر حسن سميد  
نقد قصائد العدد الماضي . . . . . سلمى الخضراء الجيوسي

### قصائد

- الناي وريح الرمل في الصومعة . . . . . خليل حاوي  
اقوال . . . . . عبد الوهاب البياتي  
سنفونية الزحف . . . . . اسماعيل مصطفى الصيفي  
نجمة الغروب . . . . . ملك عبد العزيز  
اسطورة الوفاء . . . . . فدوى طوقان  
الشمس خلف غيمة الخريف . . . . . حسن فتح الباب  
الى عابرة . . . . . كمال نشأت

### قصص

- ستة رجال تحت الارض (مسرحية) . . . . . خليل الهنداوي  
في حي القصبة . . . . . حنفي بن عيسى  
قصة في دقيقة . . . . . يوسف الشاروني  
ابتسم يا وجهها المتعب . . . . . زكريا تامر

العدد الثاني  
فبراير (شباط)

دار الآداب تقدم

صدر اخيرا

# قصائد عربية

اروع ديوان للشاعر العربي الكبير

سليمان العيسى

الثنى ثلاث ليرات لبنانية

هذا الشهر يصدر :

صدر حديثا

# عذيرتي بقلبي..

شعر

للشاعر العربي المجدد

احمد عبد المعطي حجازي

# نزار قباني

## شاعراً وإنساناً

دراسة وافية بقلم

محيي الدين صبحي

الثنى ليرتان لبنانيتان

العدد الثاني  
شباط (فبراير) ١٩٥٩

السنة السابعة

No. 2 Fev. 1959

7ème année



مَجَلَّة شَهْرِيَّة تَعْنِي بِشُؤُونِ الْفِكْرِ

بيروت

ص.ب ٤١٢٣ - تلفون ٣٢٨٣٢

AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE

BEYROUTH. LIBAN B.P. 4123

Tél. 32832

رئيس التحرير  
والمدير المسؤول  
الدكتور سهيل إدريس

Rédacteur en chef et directeur

SOUHEIL IDRIS

## مَعْرَكَةُ الثَّقَافَةِ فِي لُبْنَان

بقلم الدكتور سهيل إدريس

اعداءها يتهمونها بالقصور والعجز في التعبير عن بلسوغ  
المستوى الثقافي الرفيع .

وآية ذلك ان الطلاب قد هداوا واخلدوا الى السكينة  
حين جاءهم الوعد بان لغتهم ستصان ، وان مهدها للحقوق  
يدرس موادها باللغة العربية سينشأ باشراف الدولة ،  
فزائلهم الخوف ولبثوا ينتظرون . حتى اذا تبين لهم ان  
هذا الوعد لن يتحقق عادوا الى اضراب الاحتجاج ...  
وهنا لعبت اصابع اجنبية ، واصابع محلية مأجورة للاجنبي ،  
فافتعلت لدى فئة من الطلاب ينقصهم الوعي القومي اضرابا  
معاكسا تلبس ابلشع وجه من وجوه هذه الازمة ، وكاد  
يدخل الى قلوب المخلصين ياسا مريرا من ان يكون تقدم  
لبنان وتطوره امرين مستحيلين .

ولم يكن معقولا ان يخذل اولئك الطلاب المخلصون في  
قضيتهم الحق ، ولو قد خذلوا لرحف الى لبنان من جديد  
شبح الثورة والدم ، فاستجيب مطلبهم وتقرر لدى  
المسؤولين الحفاظ على قدسية اللغة العربية . وسيادتها ،  
وانشيء معهد جديد يدرس الحقوق والعلوم الاقتصادية  
والسياسية باللغة العربية .

\*\*\*

ولا شك في ان هذه المعركة التي شهدتها لبنان هذا  
الشهر ، معركة بالغة الاهمية ، لانها مظهر جلي من معركة  
الثقافة اجمالا في لبنان .

انها معركة الاستقلال الثقافي ، هذا الاستقلال الذي ما  
فتئت بعض العناصر التي لا تؤمن بنعمة الاستقلال عامة  
تحاربه وتناصبه العدا ، وتلتمس لوقفها من التبرير ما يزري  
بكل منطق ويمتنع على كل كرامة . فهم يريدون للبنان  
ان يظل في ثقافته مشدودا الى الغرب ، ويعتبرونه مرآة

تعرض لبنان هذا الشهر لازمة عنيفة تهددته ذات  
لحظة بثورة تشبه الثورة التي عصفت به منذ اشهر . وكان  
منشأ هذه الازمة صدور مرسوم اشتراعي يلغي تدريس  
الحقوق والعلوم السياسية والاقتصادية باللغة العربية في  
الاكاديمية اللبنانية ، بحجة ان ذلك يدني مستوى التعليم  
العالي في لبنان .

وكان واضحا ان المقصود من ذلك توجيه طعنة الى مبدأ  
التدريس باللغة العربية ، ومحاولة منح امتياز للغة الفرنسية  
التي تدرس بها مواد الحقوق في الجامعة اليسوعية ببيروت .  
اما قصة تدني المستوى التعليمي ، فليست الا ذريعة واهية  
ما لبث معتنقوها انفسهم ان تخلوا عنها ...

وكان طبيعيا ان يثور الطلاب في لبنان لهذا التدبير ،  
فيعلموا اضرابا واسعا شمل معظم المعاهد اللبنانية بمختلف  
صفوفها ، ويتظاهروا في الشوارع احتجاجا ، وحين طال  
الامد بالاضراب حتى خشي الطلاب ان يجهض ، عمدوا  
الى الصوم ، معبرين بذلك عن استعدادهم للتضحية  
بنفوسهم دفاعا عن هذه القضية .

وقد كان يخيل لمن يراقب جموع الطلاب تندفق في  
الشوارع ، ويسمع اولئك الاطفال خاصة يهتفون « بدنا  
اللغة العربية » ان هذه حركة شاعرية « غوغائية » لا يكمن  
وراءها وعي ناضج . وهذا في رايانا ضلال وزيف ، فاذا كان  
حقيقيا ان هؤلاء الصبية لم يكونوا يدركون ابعاد القضية ،  
فليس حقيقيا انهم كانوا غافلين عن الخطر الذي يهددهم ..  
لقد كانت اعماقهم تعي بان احد مقدساتهم يتعرض في  
هذه الفترة لاعظم الاخطار ، وان لغتهم الام التي بها يتخاطبون  
ويتفاهمون ويتحابون توشك ان تهان وتذل ، لاسيما وان



# الكتاب الذي ضرب ارقاما قياسية في الانتشار وتاربت على النفاذ

السرور احمد



اسرع واصدق  
ما كتبته عنك

مكتبة العصر الحديث

الطبعة الاولى

الحديث والعصر

الطبعة الاولى

٥ ليرات

٥٥٠ صفحة

مكتبة التجاري للطباعة والتوزيع والنشر

لهذه الثقافة الغربية ، ولا يعترفون له باستقلال فكري ، الا ان يكون استقلالا عن الثقافة العربية التي يدين بها جيرانه . وهذه القضية ليست في آخر المطاف الا قضية الهوية اللبنانية . والعجيب ان هذه الهوية لا يثار موضوعها الا حين يبحث امر العلاقة بين لبنان وبين سائر اقطار العروبة والعربية . اما اذا شئنا ان نموضع لبنان بالنسبة لاقطار الغربية ، فلا حاجة بنا ، في رأيهم ، الى التحدث عن هويته . وواضح ان طرح الموضوع في اساسه خاطيء . فنحن نود لبنان ان يكون ما هو حقا . انه جزء من الوطن العربي ، تاريخيا وجغرافيا وثقافيا . ولن يكون ذا قيمة حقيقية الا بما هو ذلك كله . فهو بهذه الصفة ذاتها يستطيع ان يتبوا مقاما مرموقا في وسط المجموعة العربية ، وان يؤدي رسالة طيبة في هذا الجزء من العالم . واما بما يلصقه به بعضهم من سمات « الغربية » و « التغرب » فنحسب ان هذا لن يضيفي عليه اكثر مما يملكه ، وان ما يملكه من طاقات وامكانات ، في مختلف الميادين ، يجعله في المركز المتخلف بالنسبة لاقطار الغرب .

وواقع الامر ان شخصية لبنان الثقافية تتميز بسمات خاصة تجعله ذا طابع فريد في آثاره ونتاجه . ولكن هذه السمات لا تخرج بشخصيته عن الخطوط الرئيسية العامة للثقافة العربية الاصلية . واذا كان بين ادبائه ومفكره من انتج بعض الآثار بلغة اجنبية ، فليس في ذلك دليل معاكس . لقد عرفت جميع الاقطار العربية الاخرى مثل هذه الظاهرة ، فلم يكن ذلك كافيا لحمل بعض هذه الاقطار ، وبعض مفكرها ، على الزعم بانها تنتمي في ثقافتها الى الغرب . فالهم ان نتفحص الخصائص التركيبية لآثار المنتجين بالاجمال . فهل بوسع احد ان يثبت ان مفكري لبنان وادباءه يصدر عن انتاجا يخرج في خطوطه وخصائصه العامة عن طبيعة الفكر العربي واتجاهاته ؟

وبعيد عن ذهننا طبعاً ، حين نقول هذا ، اننا نود ان تقطع لبنان او أي بلد عربي آخر عن ورود ينابيع الثقافة الاجنبية . فنحن نعتبر ان من اسباب غنى الفكر العربي اتساع طاقته لتلقف الثقافة الاجنبية والافادة منها والتأثر بها ، من غير ان يكون من نتيجة ذلك فقدان الشخصية الفكرية العربية . بل ان في هذا التفاعل ما يتيح لهذه الشخصية ان تؤصل ذاتها وتجاري التطور الفكري في العالم وتسهم فيه .

\*\*\*

وبعد ، فان معركة الثقافة التي حاول بعضهم ان يجعل منها فتنة في لبنان ، لم تنته بعد بالطبع . غير انها افضت الى ما افضت اليه ثورة لبنان كلها ، وهي توكيد غلبة الاتجاه العربي في المصير السياسي والمصير الثقافي . ولا غنى للبنان من ان يظل في طليعة الموكب العربي ، وسيظل ابداً من حداثة ركب العروبة .

## مرحلة البقعة العربية الأخيرة

بقلم عبد اللطيف شرارة

والفتح والسيطرة . فقد أفادت من الحروب الصليبية التي خاضتها في هذه المنطقة ، أكثر من فكرة ، واستشرفت أكثر من افق حضاري ، وطفقت تقتدي بالعرب في نبش كنوز آئينا الفكرية ودرس حكمة فارس والهند والصين ، وتقتدي بالترك في اعتماد البطش والقوة العسكرية أساسا للدول ، واقتدت أخيرا بروما في عهودها الوثنية ، فراحت تستقي من تراثها الواسع العريض في تجييش الجيوش واخضاع الشعوب وتأسيس الامبراطوريات .

وكان من الطبيعي ان يتشوف الاوروبيون الى احتلال هذه المنطقة التي اطلقوا عليها اسم « الشرق الأدنى » تأمينا لمواصلاتهم ، واشباعا لرغباتهم في الفتح والسيطرة والاستثمار ، فنشأت عن ذلك « المسألة الشرقية » التي تفيض التواريخ في ذكرها ، وتسرد ما نجم عنها من معارك واحداث وافكار .

وكان اكبر ما نجم عن المسألة الشرقية من اتجاهات سياسية اختلاف القوميات الاوروبية فيما بينها ، وتنازعها على استعمار الشرق الأدنى ، فكان الانجليز والفرنسيين يمانعون روسيا القيصرية في النفاذ الى البحر المتوسط ، ويقفون مع تركيا ضد الحركات التحررية او الانفصالية التي كانت تظهر هنا وهناك في بعض الاقطار العربية . وعلى هذا النحو من سياسة التوازن بين الدول الاستعمارية في اوربا ، استطاعت السلطنة العثمانية ان تحتفظ بوجودها وان كان مريضا .

وعندما وقعت الحرب الاولى انحازت تركيا الى المانيا ضد الروس والفرنسيين والانكليز ، فاطبقت عليها الدول الاوربية ، واختل التوازن الدولي الذي كان قائما من قبل ولكن هذه المرة على حسابها .

وحسب العرب ، خلال تلك الحرب ان الدول الغربية صادقة فيما تدعي من عمل على نشر الديمقراطية ، وفيه لتعهداتها ، مؤمنة بحق الشعوب في تقرير مصيرها، وجاءت بنود وودرو ولسن الاميركي تؤيد هذا الحسبان ، وتدعمه بالبرهان القاطع ، حتى اذا لقت الحرب اوزارها ، وانتهت بانتصار الغرب وخذلان تركيا والمانيا ، انكشفت المخبات ، وفشت اوربا اسرارها فاذا فيها معاهدة سايكس - بيكو ، ووعد بلفور ! وكانت الصدمة من العنف والقسوة بمنزلة استيقظ معها العرب على واقعهم الاليم ، وتفتحت عيونهم وعقولهم على اوربا التي كانوا يجدون فيها رمز المدنية ، وزهرة الحضارة الانسانية ، وارتفعت الاصوات مدوية تجار

حاولت في البحث السابق (١) ، ان اكشف العيوب التي تقع عليها العين في حياة العرب الراهنة ، وان اردت تلك العيوب الى اصولها واسبابها الحقيقية المباشرة . ولكن هذه الحياة ليمت « عيوباً » كلها كما يتصور المتشائمون ، ويصورها المغرضون !! وواقعها الراهن لا يعطي ، في ظاهره ، صورتها الكاملة ، فهي كأي حياة ، قابلة للتغير والتبدل مع الزمن ، وفيها من الامكانيات والطاقات المادية والمعنوية ما لا نجده في حيوات كثير من الشعوب والامم . وذلك هو بالضبط ، ما تتميز به هذه الحقيقة من تاريخنا ، بل هو ما يتميز به تاريخ الوطن العربي في شتى بقاعه واقطاره ، من اقدم العصور الى يومنا هذا .

ولقد كانت غفلة العرب عميقة مدمرة ، عن امكاناتهم وطاقتهم ، منذ تدخل الاتراك في شؤونهم ، وتمكنوا من التحكم في اداراتهم العامة على يد المتوكل ، ذلك الخليفة الذي قاوم حرية الفكر ، وقضى على ساطان العقل ، وسمح للشعوبيين الذين لم يدركوا شيئا من اصالة العروبة ، ولا تفهموا روح الدين الاسلامي الذي اعتنقوه ، وكانوا من بعد ، اداة رجعية وانحطاط وتقهقر ، في آسيا كلها وافريقيا ، اذ تأخر العالم بجملته ، حين احتلوا هذه المنطقة الحساسة منه ، عن ركب الحضارة ، ووقف نموه الثقافي والاقتصادي ، وتوترت العلاقات بين الشعوب والمجتمعات ، واستمرت تتوتر وتضطرب ، الى ان وقعت اكبر نكسة حضارية شهدها تاريخ الانسانية ، ونعني بها الحروب الصليبية .

غفل العرب اذن طيلة امتداد الظل التركي - وهو الذي كان ظلا عسكريا خالصا ، لا يد فيه لنسمة روحية ، ولا لنفحة ثقافية - عن حقوقهم السياسية في اول درجة ، ثم عن تاريخهم وحضارتهم وامكاناتهم ، ثم عن كرامتهم ، ثم اخيرا عن قيمتهم في الحياة الدولية من جميع الوجوه والجهات .

وكانت تلك الغفلة الطويلة ، العميقة ، المدمرة ، الثغرة الكبرى التي نفذت منها العيوب التي فصلنا امرها سابقا ، الى الحياة العربية .

في هذه الاثناء ، اثناء الطفيان العسكري العثماني وسبات الروح العربية ، اخذت اوربا تجيش وتوثب وتؤاتيهما الفرص للاندفاع في طرق الاكتشاف والاختراع

بالاحتجاج والشكوى والغضب الذي لا يحد ولا يعد . وسمع الناس آنذاك الامر شكيب ارسلان ينشد :  
ليس في الغرب بنو آدم بل فيه ذئاب !  
كما سمعوا الشاعر القروي ينادي :  
ما في اوربة مخلص لبلادكم

الكل اعداء الشأم فكنسوا .

تلك هي اليقظة العربية الاولى .

\*\*\*

افاقت البلاد العربية ، في اعقاب الحرب الاولى ، على نفاق الاوربيين وغدرهم ، فوعد بلفور يشير الى انحلال اساسي في الخلق الاوربي ، واذا انت استعدت بذاكرتك الظروف التي احاطت به لحظة اعطائه ، والملابس التي رافقته من تحالف مع العرب ، الى تصريحات مدوية في شأن حرية الامم والشعوب ، الى استنفار لجميع القوى المخيرة في العالم للقضاء على قوات البغي والعدوان ، ادركت غور اللعبة الشائنة التي ذهبت فلسطين ضحيتها ، وبالتالي آمال الاقطار العربية كلها في التحرر والتوحد .

اما معاهدة سايكس - بيكو فلم يكن المراد منها سوى تراضي الدول الغربية فيما بينها ، وتجزئة القوى العربية بحيث لا تقوى يوما ما على مقاومة النفوذ الاوربي فسي ارضها . ولذلك يصح اعتبارها كاشفة ما امامها ، موضحة للنيات التي انطوى عليها الاوريون تجاه مستقبل العرب .

صدر حديثا :

## زينب ملكة تدمر

- شغف بالمعالي ليس له حد
- وطموح الى المجد لا يحد
- وعظمة تصغر عندها عظمة الملوك
- اعصاب من فولاذ لا تعرف الخور
- وجمال ساحر تزيده العفة جمالا وجلالا
- كل ذلك تقراه في هذه الرواية الاخاذة
- التي اصدرتها اخيرا

دار الاندلس - بيروت

وعد بلفور القى النور على اخلاق الغرب ، ومعاهدة سايكس بيكو كشفت سياسة الغرب في هذه المنطقة ، ولم يبق من سبيل الى اخفاء هذه السياسة ولا من وسيلة الى تمويه تلك الاخلاق .

بيد ان انضاح ما يخفى من سياسة وخلق لا يرفع درجة الوعي لدى الجماهير ، ولا يجعلها في سعة من حياتها المضطربة ، المعذبة ، المرهقة ، ولا يضع في يدها من الامكانات ما يتيح لها ان تتقي اضرار تلك السياسة التي رأتها بعد فوات الاوان ، ولا ما تدفع به مساوئ تلك الاخلاق التي عرفت ولا ت عرفت !

لذلك ظلت اليقظة العربية الاولى مشوبة بكثير من الكسل الروحي ، والنعاس الاجتماعي ، والبلبلية الفكرية ، فكانت معزوفة الناس في فترة ما بين الحربين لدى الشعوب التي غلبتها اوربا على امرها ، القول الشائع : « العين بصيرة ، واليد قصيرة » والمثل الاخر « العين لا تقاوم مخزعا »

ومرد ذلك الكسل الروحي الى توزيع النفوس بين الترقب والتشاؤم ، وانتقال المجتمعات العربية من التفكير الديني الصرف الى التحسس بالوطنية والقومية ، ثم الى جهل السواد الاعظم بالتاريخ الحديث ، وضالة موارده الاقتصادية والثقافية فلم يكن ينشط لمراس الحياة السياسية غير فئة من الاقطاعيين والوجهاء وذوي الثراء ، وهم طبق « الافندية » الذين ورثوا هذا اللقب وما فوقه من القاب عند تركيا العثمانية .

اما النعاس الاجتماعي فقد نشأ عن احتجاز المرأة في منزلها ، والحيولة دون تقدمها ، واخذها عنوة واقتسارا بالحيثمة المصطنعة ، فلم يكن للاندية الادبية ان تزدهر ، ولا للحفلات الشعبية ان تتنور ، ولا لمراجع الانس ان تثمر وتنوع ، ولا للصحف ان تزداد وتنتشر ، فظلت المجتمعات العربية الا اقلها ، غافلة عن الحياة وما يصطخب فيها ، وعن الفن والادب والعلم .

واما البلبلية الفكرية فهذه قصد اليها الغربيون ، وجهدوا كثيرا في بثها ، وعمدوا في مصر والعراق وليبيا والسودان ، الى انشاء الاحزاب والايقاع فيما بينها ، وراحوا يبثون من الافكار والنظريات ما يوهن العزائم ، ويشق المواطنين . ويجعل البلاد كلها فريسة التطاحن الحزبي ، والتضارب العقائدي ، فخلقوا الفرعونية في مصر ، والفينيقية في لبنان ، والعنصرية في العراق ، ولم يتركوا وسيلة من وسائل التفرقة في لبنان وسوريا الا تذرعوها بها وجربوها ، حتى تحولت البلاد العربية الى ميدان عراك تقتتل فيه النزعات المتباينة ، والمذاهب المتغايرة .

هذه الشوائب التي رافقت يقظة العرب الاولى ، كانت تتلاشى تدريجيا ، لما تحلت به اليقظة من زخم سياسي هائل تمثل في انتفاضات الشعب الفلسطيني المتكررة وثورات سوريا على الانتداب الفرنسي ، وتمردات العراق الجاثجة واخيرا في نهضة مصر الاجتماعية والوطنية ، عهد سعد زغلول .

تلك فترة من حياة العالم ( ١٩٣٠ - ١٩٣٩ ) سادها تفكير نيتشه ، ولكن على تباين في الدرجات ، وتفاوت في الاهداف والاتجاهات ، واصبحت القوة هي المثل الاعلى الاوحد للأفراد والجماعات ، لدى جميع الشعوب المتأثرة بالمدنية الأوروبية ، والخاضعة لنفوذها ، وتحول حب القوة الى عبادة ، وانصرف الناس عن كل ما هو خير وشريف ونبل وانساني ، باعتبار هذه المعاني آثار ضعف في الطبيعة البشرية ، ودلالات مسكنة عميقة تتلبس بالاوهم ، وتحتجب خلف زخارف المثالية ، فهوى الحس الديمقراطي على اريكته ، واصبحت الصرامة ، ومضاء العزيمة ، والخشونة والتعالي ، وما الى ذلك من خصال وشمائل ، هي التي تستهوي الجماهير وتثير الإعجاب .

ولكن القوة ، على هذه الاشكال الجافة الصارمة ، لم تكن متيسرة الا لفئة قليلة من الشعوب والافراد ، مما خلق شعورا بالنقص لدى ابناء الاقطار الخاضعة للسيطرة الأوروبية ، وغض من قيمتها حتى في نظرها الى نفسها . ولا غرابة في ان يهيمن على العالم ذلك الجو ، في تلك الفترة ، ما دام نيتشه هو الفيلسوف ، وهتلر هو الحاكم الذي يطبق اراءه ، وما دام الناس من الجهل بمنزلة يصدقون معها حكاية انقسام البشر الى ساميين ، واريين ، وحامين !! غير ان العرب - والعراق خاصة - كانوا هم الشعب الوحيد الذي لم يشعر بعقدة نقص تجاه اوربا وحضارتها . وكل ما سرهم في مسلك المانيا الهتلرية انها تعادي الانكليز والفرنسيين الذين خدعوا العرب في الحرب الاولى ، وتقاوم اليهود الذين طمعوا بفلسطين ، وساعدهم الانكليز على اغتصابها . بيد ان ذلك السرور لم يتجاوز حده الى التعاطف والتحالف ، كما اذاع اليهود في طول العالم الغربي وعرضه ، ولا جعل من العرب فئة نازية تأخذ ما يقوله هتلر اخذ المسلمات .

وقد اوضحت الانسة فريا ستارك الكاتبة الانكليزية ، هذا المعنى بكثير من الانصاف والدقة ، اذ كتبت في كتابها « الجزيرة العربية » تقول :

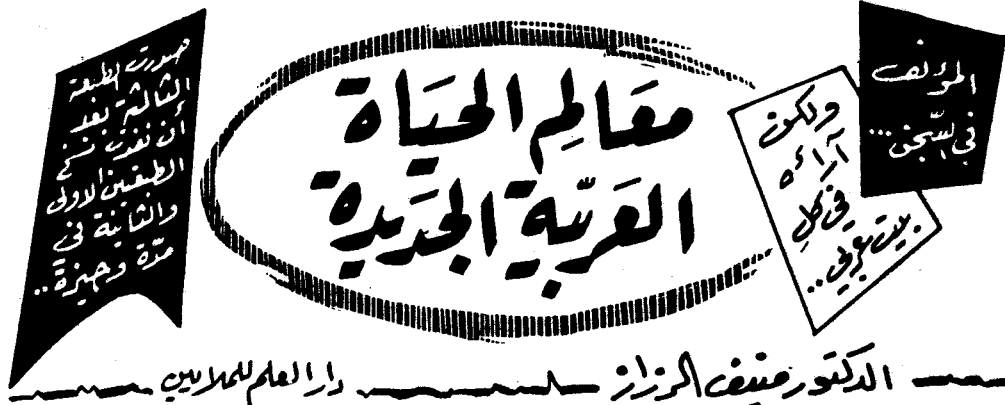
« قليلا ما يعرف الناس ان العراق رفض ، منذ البدء ، ان يوافق على وضع انتدابي ، باعتبار هذا الوضع مخالفا لمطالبه في الحرية . والواقع الصريح ان العراق يقوم بعيدا عن

كانت مصر قد حققت ضربا من التقدم الثقافي والاجتماعي سبقت به سائر الاقطار العربية ، اذ لم تكن حديثة العهد باوربا والاعبيها السياسية ونشاطها المدني ، كما كان شأن اخواتها العربيات ، ولذا استطاعت - وهي التي مرت بالتجربة - ان تفهم الغرب قبل غيرها ، وان تعي اتجاهاته وآراءه وعيا كيانيا . فكان ان تخلصت الى حد غير بعيد من الكسل الروحي ، والنعاس الاجتماعي ، بيد ان البلبلة الفكرية ظلت تظهر عليها باعراض واضحة الى ان قضت على النظام الملكي في ثورتها الاخيرة .

وسرى الوعي في النواحي الاجتماعية والثقافية والوطنية من مصر الى غيرها من بلاد العرب ، وبدأت التيارات الفكرية العالمية تهب على الدنيا العربية من الجهات الاربع ، واخذت اوربا تضطرب في داخلها ، وتشعر بالارض تميد تحت اقدامها بعد استيلاء هتلر على السلطة في المانيا ، وزحف موسوليني الى الحبشة يعيد فيها سيرة روما في قرطاجة ودخول اسبانيا عهدا جديدا يناقض الديمقراطية ويهزأ باتباعها . في تلك الفترة كانت سوريا كالعراق تغتلي بثورة لا هودة فيها ، على الانتداب والسلطة المنتدبة ، وكانت مصر ترقب رد الفعل لدى بريطانيا وفرنسا على غزوة ايطاليا للحبشة . وقد وجدت فيه منفذا الى التخلص من الاحتلال ، وكانت فلسطين قد حملت السلاح ضد الانكليز والصهاينة معا .

وما اوشكت سوريا ان تستقل ، وتظفر بحقها في الحرية حتى وقفت تركيا حاملة صنارتها متاهبة للصيد في الماء الدولي العكر ، وراحت تطالب بلواء اسكندرونة ، مهددة فرنسا بالانضمام الى محور روما - برلين ، متواطئة مع بريطانيا على مساندتها في خططها بفلسطين ، وحينذاك وضعت القضية في يد عصبة الامم ، وهذه سلمت اللواء لقمة سائغة للاتراك ، رغما عن تقرير اللجنة الدولية ، ورغما عن الاستفتاء الذي نال فيه العرب الاكثية الساحقة ، ورغما عن القانون الدولي . وكان ذلك اخفاقا ذريعا ، استيقظ به العرب ثانية على ضعف المنظمات الدولية ، وعجزها عن احقاق حق واذاق باطل .

كانت هذه اليقظة حافز العرب الى السعي وراء القوة العسكرية .



أوروبا، ولذا كان أقل تأثراً من غيره، بالحضارة الأوروبية، وهذا هو الذي صانه إلى حد بعيد، من الشعور بالنقص، وهو الشعور الذي يفسد بقية الأمم المشوبة أفساداً محزناً» (١)

لم تكن يقظة العرب على الجانب العسكري، من بنائهم القومي أذن، اقتداءً بالنازية، ولا تمثلاً بالفاشستية، وإنما هي حركة أخذت جذورها من الصدمة التي تلقاها العرب في خسارة لواء الإسكندرون.

وعندما اندلعت نيران الحرب الثانية، وراحت تلتهم أقطار أوروبا الوسطى والغربية واحداً تلو الآخر، أصرت انكلترا حامية اليهود، ومقسمة البلاد العربية، والمستبدة بمصر والمحميات، أصرت على استخدام الأراضي العراقية ومرافقها كافة لتنقلات جيوشها مما يتنافى مع المعاهدة العراقية - البريطانية نصاً وروحاً، فلم يكن أمام سلطات بغداد في ذلك الزمن سوى الاحتكام إلى السلاح، ونشبت الثورة التي قادها رشيد عالي الكيلاني يومذاك ضد التعسف البريطاني، وسماها ونستون تشرشل «فتنة» والحقيقة أن اعتبار المعاهدات قصاصات ورق، من قبل انكلترا التي كانت تحارب ألمانيا من أجل هذا الاعتبار نفسه، هو الذي دفع بالعراق إلى الثورة مباشرة، عدا عن السوابق الإنكليزية المعروفة في كل بلد عربي بل في كل بلد شرقي. اخفقت ثورة ١٩٤١، وهي التي لقيت تأييداً عارماً

The Arab Island, By Freya Stark P. 226. Edit. 1945.

من العرب اجمع، لأن عملاء بريطانيا أرادوا لها أن تخفق، ثم لأن القوة العسكرية العراقية لم تستطع أن تجابه القوات البريطانية ومواردها بالسلاح والذخيرة إلى النهاية. وكان بعد ذلك أن وقعت المفاجأة الكبرى في مجرى الحرب الثانية، وهي انقراض النازيين على روسيا السوفياتية.

هذا التحول في مجرى الحرب انعش آمال الدول الغربية الاستعمارية، وتركها تتنفس بشيء من الراحة، وسط دوي القنابل، وهدير الطائرات، وزمجرة الدبابات، وأخذت الحوادث تمتد وتجزر، إلى أن انجلت آخر الأمر، عن ظهور دولتين كبيرتين هما الاتحاد السوفياتي، والولايات المتحدة وانكساف كلي لألمانيا وإيطاليا، وانكساف جزئي لبريطانيا وفرنسا.

\*\*\*

عندما نزلت كل من بريطانيا وفرنسا إلى الدرجة الثانية أو الثالثة في سلم الحياة الدولية، عمدتا إلى انتهاج الخطة التي سلكتها كل من هولندا وبلجيكا والبرتغال للبقاء على المستعمرات، والاحتفاظ بالمصالح الاقتصادية التي حصلت عليها يوم كانتا تحتلان المنزلة الأولى في شؤون العالم وسياسته. وخطة تلك الدول الصغرى الاستعمارية كانت أن تؤمن للدول الكبرى مصالحها وطرق مواصلاتها وأن تتحالف معها ضد كل حركة تحريرية في آسيا وأفريقيا شرط أن تظل هي صاحبة السيطرة والسلطان في البقاع التي تحتلها.

هكذا... وبهذه الطريقة شرعت هولندا تحكم اندونيسيا، والبرتغال تحكم أضعاف سكانها في الهند (غوا) وغير الهند وبلجيكا تحكم أجزاء من أفريقيا. رأت بريطانيا أن تقف من الولايات المتحدة، بعد نزولها إلى المرتبة الثانية ذلك الموقف الذي اتخذته منها هولندا، شرط أن تقدم لها أميركا العون والمساعدة ضد الشعوب التي تجاهد للتخلص من نيرها.

وحملت فرنسا على اتخاذ موقف بلجيكا أو البرتغال على أن تتفاهما ومن يلوذ بهما من الدول، مع الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفياتي.

كانت هذه العروض والمساومات على جانب كبير من الإغراء لدولة قضت عمرها في عزلة عن الدنيا ومشاكلها الاستعمارية، مثل الولايات المتحدة، فلم تستطع أن تقاوم، إذ القى اليهود بثقلهم كله أيضاً لإخراج تلك الدولة عن عزلتها وجذبها إلى جانبهم فيما يرسمون ويخططون، وترامت إليها أيضاً وانداءات الرجعيين والخائفين على عروشهم، والضالعين مع الأجانب ضد أوطانهم، من كل فج وواد، تهيب بها إلى احتلال المكانة التي فقدتها بريطانيا، وحماية المبادئ والأفكار القديمة التي تعارض التطور، وتقاوم التحرر.

واستجابت أميركا، بشيء من التردد أول الأمر، لتلك الإغراءات والنداءات والطلاوات، ثم انساحت معها أنسياحاً تاماً، فتابعات أعمال الإنكليز في فلسطين، وزادت عليها بما يسرت لليهود من وسائل العدوان، وأعانتهم على

شاركه في  
القطاع العربي

أصدرت دار منمينة للطباعة والنشر

نحو اشتراكية عربية

للكاتب كرم قيس مفسود

طبعة من:

جميع المكتبات في الأقطار العربية أو من الناشر - بيروت ص.ب. ٢٢٩٦

قريباً للمؤلف:

الواقع الحضري في الوطن العربي

العدد ٢



شمال افريقيا ، ومشى يحج الى استقلاله جنبا الى جنب مع المشرق ، غربي اسيا . وكانت خيبة اوربا الغربية اقسى وامر ما شهدت في تاريخ علاقاتها ببلدان الشرق الاوسط عامة ، واقطار العرب خاصة . فما العمل ؟

— جواب الانسان عن الحوادث المؤلمة ، حين يتحداه القدر ، ينبع دائما من ذكريات انتصاراته الماضية . ولذا ، كان جواب الغربيين عن يقظة العرب الاخيرة ، في التفريق بين مصر والبلدان العربية الاخرى ، ثم في التفريق بين الشعب المصري والرئيس جمال عبد الناصر . وهذا ما فعلوه في صراعهم مع النازية ، اذ كانوا يضعون خطا فاصلا بين هتلر كشخص ، او شخصيته والشعب الالمانى !

الا ان هذا الجواب خاطيء من اساسه ، خارج عن الموضوع في تكوينه واتجاهه ، وكانت الحوادث تترى ولا تزال ، تقدم البرهان تلو البرهان على سقم الفهم الغربي ، وضلاله عن الصواب ، اذ بني سياسته على «تشبيه» تنقصه وجوه الشبه . وراح العرب في شتى ديارهم واصقاعهم يزددون اثلافا مع مصر كلما زادت تحررا ، ويتعلقون بالرئيس عبد الناصر كلما أمعن الغربيون في النقمة عليه . وتوجيه دعاياتهم ضده ، وحك المؤامرات على حكمه ، الى ان كان تأميم القناة ردا من الرئيس العربي على سحب العروض بتمويل السد العالي .

هنا . . انفجرت اوربا بحركة عصبية رعناء ، واستخدمت «الدولة» التي انشأتها في فلسطين اداة لتفجير غضبها .

### دار الاندلس تقدم

بعد روايات الحارث الاكبر الفساني - تاريخ غسان والنعمان  
الثالث ملك العراق - تاريخ العراق

## بلقيس ملكة اليمن

تاريخ اليمن

اعظم شخصية ظللتها الجزيرة العربية في تاريخها

جمال عربي بفتنته وروعته . . . . .

وخلق عال تسنده كبرياء . .

وطبيعة غريبة ضيقت الكثير من المحاسن

وستقرأ في بلقيس نوعا من السياسة والدهاء والخداع

والفرام وطمعا عجيبا بالعرش والتاج

صدر حديثا

الاستمرار في الاغتصاب ، الى ان مكنتهم من البقاء بعد ان حولت وجودهم في تلك الارض الى « دولة » وان كانت غير واضحة الحدود ، غير ثابتة الاساس !

وكانت نكبة فلسطين قد اعدت بمهارة اكتسبها الغربيون من تجربتهم الاولى في لواء اسكندرونة ، فقد انتهت اليهم تلك التجربة معلومات وملاحظات استثماروها على اوسع مدى ، وافادوا من معطياتها الشيء الكثير . واهم معطيات تلك التجربة ان العرب ضعفاء على الصعيد الدولي ، وانهم يصخبون ويتظاهرون ويرسلون برقيات الاحتجاج الى الهيئات الدولية ، ويعتمدون على القانون والاخلاق ، ثم لا يحركون لدى الامر الواقع حين يجبههم ، ساكنا . ثم لا يلبثون ان يهدأوا ، ويخضعوا عندما تنقطع بهم الحيلة ، ويخيب الفال !

تلك هي العقلية التي كانت تسود العالم الغربي في نظرته الى العرب حين اقدم على ابشع ما عرف التاريخ من جرائم وشرذ عرب فلسطين ، وسلم زمامها للصهيونية ، دون ان يخزّه ضميره ، او يلتفت الى امامه .

ولكن نكبة فلسطين كانت سببا في زلزال فكري ، بعيد الغور ، اهتزت معه جميع الاسس القديمة التي كانت تقوم عليها المجتمعات العربية منذ قرون وقرون ومادت به العروش ، واضطربت النفوس ، وهلعت القلوب في ارجاء الدنيا العربية جمعاء . وجاءت في اعقابها اليقظة العربية الكبرى والاخيرة .

\*\*\*

واطل الصباح على الغرب في هذه الديار ، وفجر اليقظة بوجه انواره في كل زاوية ، واذا به « سجين » ماضيه ، رهين اعماله ، وتبين للعرب انه سجين عدائه لروسيا السوفياتية ، وللصين الشعبية ، ولكل امة تريد ان تتحرر ، فلا يملك بعد اليوم ان يتابع ما بدا به ، لا في فلسطين ، ولا في غير فلسطين . والتتمة المنطقية لتلك البدايات ان يظل فاروق او شبه فاروق سيد مصر ، وان تظل سوريا مكبلة بقيود الانتداب ، وان يظل العراق نهبا للعلاء ، وان يفرض الصلح على العرب فرضا مع اسرائيل ، وما اشبه . . في هذه اللحظة الحاسمة من تاريخ هذا الشرق انطلق جندي من جنود مصر ، شهد بأم عينه ما جرى في واقعة فلسطين الاخيرة ، من حيل وخدع واكاذيب واباطيل ، وقضى اول ما قضى على فاروق وعهده ، ثم لم يكد يستقر ، حتى يمم وجهه شطر الشرق ، نحو باندونغ ، ومنها عاد الى عرينه ، فكان اول ما سعى اليه ان يضع السلاح في ايدي الجنود ، وخين اعياء نيله من الغرب كسر الطوق ، واشتراه من الشرق .

وكانت هذه الصفقة فاتحة سلسلة من الاعمال ، لا الاقوال اظهرت للغرب انه مخطيء في نظرته السابقة للعرب .

هنا . . وجد الغربيون انفسهم في مأزق حرج ، وشاهدوا من تأييد الجماهير العربية لسياسية الثورة المصرية ، ما قض مضجعهم ، فقد انبعث المغرب العربي في

الذين يقاومونه في الداخل ، داخل الاقطار العربية اضعف الناس حسا بالكرامة على وجه عام ، وبالكرامة العربية على وجه خاص . ويستطيع القاريء ان يتأكد بنفسه من صواب هذا الامر حين يتصل بشخص يعرف انهم ممن «يزعجهم» عبد الناصر بما حقق وايدع .

واما الاجانب فأكثروهم مضلل ، يقاومون عبد الناصر لانه يريد انشاء امبراطورية على طريقة الاسكندر او نابليون ، او لانه يكره اليهود ويعمل بوحى اللامسية ، او لانه شيوعي يناصر روسيا السوفياتية ويكفر بعظمة الغرب ، او ... الى ما اشبه من اساطير وخرافات وحكايات تافهة تشير الى قصور عقلي ، وجهل مطبق ، وانسياق جامع مع الاغراض الشخصية !

\*\*\*

... وكان من نتائج استيقاظ الكرامة العربية ، على يد الرئيس عبد الناصر ، ان دبت الحماسة في النفوس ، ورجع اليها الامل بالتححرر ، ثم بالوحدة او التضامن ، فامتزج القطران : المصري والسوري في جمهورية واحدة . وما هي الا اشهر معدودة ، حتى ثار العراق معقل الكرامة العربية على الاذلاء الحاكمين من ابنائه . وتبعه السودان بعد ذلك بقليل . وليس لهذه الاحداث الاخيرة من تفسير ، سوى نقطة الكرامة الصحيحة ، البناء ، الناشطة ، في نفوس العرب .

عبد اللطيف شراره

قريبا جدا :

الديوان المنتظر

# عائِدَة !

لشاعر الماساة

يوسف الخطيب

قصائد رائعة تغني العودة الى

الارض السليبية الحبيبة

دار الآداب - بيروت

وكانت واقعة السويس التي وقفت بها أميركا موقف «المتربح» : تستغلها اذا نجح الانكليز والفرنسيون والاسرائيليون لحسابها الخاص ، وتضمد الجراح وتلتافى الاخطار وتهديء الخواطر اذا اخفقوا ، كي تستغل من بعد ، ثمار التهدة وحصاد التضמיד .

وكان ان قاوم العرب ، وظهرهم الاتحاد السوفياتي في صد العدوان ، ووقفت الامم ، في معظمها بجانبهم ، واضطرت بريطانيا الى التراجع هي وفرنسا ، واخيرا اسرائيل التي اظهرت للعالم انها ليست سوى اداة ، لغاية غير شريفة .

وافاق العرب هذه المرة من جهادهم على انتصار بعد ان كانوا يستغفون من قبل على هزائم .. وخسائر في الميدانين : الدولي والداخلي !

\*

لم تكد العاصفة تهدأ ، حتى عاد الغرب الى معزوفاته القديمة ، واوغل في تفكيره التشيبي يتحدث عن ناصر والناصرية كما كان يتحدث من قبل عن هتلر والهتلرية ، ويبدل أقصى طاقته في تفريق العرب وضرب بعضهم ببعض واجتذاب طرف منهم ليدفع به الطرف الاخر .

ولكن عبد الناصر يحتل ، في الحقيقة ، نقطة المركز من دائرة الكرامة العربية ، هذه الكرامة التي عسر امر فهمها على الاوروبيين والامريكيين فهو لاء لشدة اشتغالهم بعظمتهم ، بعداوتهم ، بمصالحهم ، بامجادهم السابقة والحاضرة ، بالاخطار التي تهدد سيطرتهم ، والتي اشار اليها ازفلد شبنغلر وارنولد توينبي ، اصبحوا لا يتصلون بحقائق الاوضاع في العالم الا من زاوية اضطرابهم وقلقهم ، فانقطعوا بذلك عما عداهم من الناس ، انقطاعات روحيا ، افسد عليهم كل نظرة ، وشوه في ذهنهم كل فكرة ، وعطل من قلوبهم كل تعاطف وانسباط .

والكرامة العربية التي يمثلها الرئيس عبد الناصر لها منطقها الرياضي الدقيق ، كما ان لها جذورها العميقة في اليقظات التي اوجزنا حديثها في هذا البحث ، فهي التي املت عليه ، ولا تزال تملي له ، اكثر خطته السياسية ، ومناهجه الاصلاحية ، واتجاهاته الفكرية والاجتماعية .

لهذا لم يتخذ عبد الناصر في مسالكه واساليبه السياسية موقف الحاكم ، على ما يفهم الاتراك من الحاكم ، ولا موقف الزعيم على ما يفهم الغربيون من الزعيم ، ولا موقف المصلح على ما يفهم العرب والهنود من الافغاني مثلا او غاندي . فجميع هذه المفاهيم لا تنطبق على الرئيس عبد الناصر . انما الذي يصح في شأنه انه مرب للشعب ، وهو يملك مواهب المربي الشعبي ، على ابلغ ما يملكها انسان في عصر معين ، لدى شعب معين . والاساس الذي يصدر عنه ، في اكثر ما يقول ويعمل ، هو حسه المرفه العظيم بكرامة امته ، ورفعة شعبه ، وصفاء ذهنه في تحقيق الافكار التي ينهيا اليه حسه .

ذلك هو عبد الناصر ، في الموقف التاريخي الراهن من حياة الامة العربية وحياة العالم .

ولا ادل على صحة ما نقرر ، من الذين يقاومون عبد الناصر في داخل الاقطار العربية ، ثم من الحكايات والاشياء التي يتلذع بها الاجانب الذين يقاومون عبد الناصر .

# النَّاي وَرِيح الرَّمَلِ في الصَّومَةِ

« نجوع الحرّة ولا تأكل بثديّتها »

\*\*\*

« قابض على الريح يسيرها كما يشاء »

١ - في الصومعة

بيني وبين الباب أقلام ومحبرة ،  
صدى متأفّف ،

كؤمّ من الورق العتيق  
همّ العبور ،  
وخطوة أو خطوتان  
إلى يقين الباب ، ثمّ إلى الطريق

٢ -

كذب ،

دمي ينحرف ، يشتمني ، يثنّ :  
إلى متى أزني ، وأبصق

جبهتي ، رثتي

على لقب وكُرسيّ

أضاجع مومياء ؟

أنا لست منكم طغمة النساك  
واللّاحم المقدّد في خلايا الصومعة

لنّ يستحيل دمي إلى مصلّ

كذبت ، كذبت ،

جرّوني إلى الساحات ، عرّوني

اسلخوا عني شعار الجامعة

١ - الناي

« إبني ، وقاه الله ، كنز أبيه ، »

« جسر البيت ، يحمل همّاً ثقيلاً »

« ... ألعام خلف الباب يابنتي ، يعود »

« غداً ، يعود اليك ، بعض الصبر »

« سوف يعود ، والله الكفيل »

٢ -

ولربّما ماتت غداً

تلك التي يبست على إسمي

ومصّ دماءها شبحي

وما احتفلت بلذات الدماء ،

ماتت مع الناي الذي تهواه

يد حبّ حزنه عبر المساء

ومع الورود متى ألتوت

بيضاء ، ينسج عرسها ثلج الشتاء

٣ -

طول النهار

مدى النهار

تمحلّ في عصي جنازتها ،

يوهّ الندب فيه

وما يزيح عن القرار :

ماتت وما احتفلت ، وما عرفت

رفاه يد تظللها ودار .

١ - ريح الرمل

طول النهار

مدى النهار

حمّى القفير تفور في رأسي

وطعم التبن في قلبي العليل

ويجزّ في لحمي وما يدميه

سكتين كليل

٢ -

ربّي ! متى أنشقّ

عن أهلي وصومعي

وعن تلك التي تحيا تموت على انتظار

أطأ القلوب ، وبينها قلبي ،

وأعبر في الجحيم

أخوض عتمته وناره

ولعلّها تنقي من الزّغل الحبيث

تصحّ في شفتي العبارة

٣ -

درّني إلى البدوية السراء ،

واحاحات العجين البكر ،

والفجوات أودية العجير ،

وشواطئ الرمل المرير

شرب المرات الثقال بلا مرارة

وحدي بلا جنّ على السراء

بسعفي ، يصوغ لي العبارة

تعصّ ،

وليس يهزّها غصي دمي موتي

وليس يروّضها

غير القويّ بزنده

وبنعة الصبر العجيب

ألشوك ينبت

في شقوق أظافري

ألشوك في شفتي يمرج باللهب

.... في وجهها

عقبُ الفريزة حين تصمت عن سؤال  
... نهضت

تلم غرور نهدتها  
وتنفض عن جدائلها

حكايات الرمال  
تحدو ، تدور كما أشير بإصبعي

وتزوغ زوبعة طروب  
وأرى الرياح تسيل ، تنبع

من يديها :

منبعُ الريح المعطرة الجنوب  
ومنايعُ الريح الرخية والغضوب ،  
للريح موسمها الغضوب

\*\*\*

وحدي مع البدوية السمراء  
كنت مع العبارة  
شرب المراتات الثقال بلا مرارة

- ٤ -

وقطيع بلدان كأفنية الأرناب  
أو كما لعب الصغار  
ذكرى الغريب خرائط ، رقع  
ملفقة وعار

ما بيننا بلد يضيق مداه عن قدمي ،  
وكان مداه مقبرة الجباه  
تاريخه ورم ، فقاغات  
يطيرها الصبي على هواه

- ٥ -

ريح تهب كما تشير عبارتي  
حجزت على الريح الرخية والجنوب  
ولوت بكفئتها تفجر منبع الريح الغضوب  
سلا لفرسان من الصحراء  
ريح الرمل في أجفانهم ، شرر غريب  
في موسم الريح الغضوب مسح الخرائط

والسياجات

العتيقة في العقول

وفي الدروب

ماذا سوى التعمير في مرمى

التراب البكر

بيت واحد يزهو بأعمدة الجباه ؟

يزهو بغابات من المدن الصبايا

لبن أوصفة وجاه

أيصح عبر البحر تفسيح المياه ؟

- ٦ -

وأرى ، أرى الطاوس

يبهر في مراوح ريشه

نشوان يبهر وهو في ظل السياج

ولعلهُ استخفى وراء الورد

والثوب المزركش

راح يخفي العار في تكوينه والمهزلة

في صدره ثديان

ما نبنا لرضعة ولا للعانس المسترجلة

ثديان يأكل منهما عسلاً

ويحصد منها ذهباً وعاج

لو يستحق صلبته

ما شأنه بصليب إيمان

يسوق لجلجلة

وكئت ريح الرمل

تعجنه بوحلة شارع أو مزبلته

هو والسياج

وطيوب ثدييه وما حصده

من عسل وعاج

في موسم الريح الغضوب

مسح الخرائط في العقول

وفي الدروب

- ١ - الناسك

الناسك المخدول في رأسي

يطل علي ، يسألني ، يحار :

« أهملت فرضك ، »

« هل جنت قزحت فحلم في النهار »

« حلم النهار »

« مدى النهار ؟ »

« هل كنت تتبع ذلك الجنبي »

« هل اغواك شيطان المغارة ؟ »

- وحدي مع البدوية السمراء

كنت مع العبارة

في الرمل كنت أخوض

عتمة ونارة ،

شرب المراتات الثقال

بلا مرارة .

- « أغاز مجنون » وعاد

لغرفة الآثار في رأسي ،

وللسلع العتيقة ،

عاد منخلع الوقار

- ٢ -

طول النهار

مدى النهار

ألحين بعد الحين تعبر جبهي

صور وتثبت في الطريق

صور يشوّهها الدوار

أمي ، أبي ، تلك التي

تحيا تموت على انتظار .

الناسك المخدول في رأسي

بشد قواه ينهري ، أفيق :

بيني وبين الباب

صحراء من الورق العتيق وخلفها

وادي من الورق العتيق وخلفها

جبل من الورق العتيق

خليل حاوي

كبيردج

# «الخدق الغميق»

بقلم ميخائيل نعيمة

~~~~~

عزيزي الدكتور سهيل

عليك مني أطيب السلام . وبعد فاني ارحب بروايتك الجديدة «الخدق الغميق» . فالموضوع شيق ، واقتحامه لا يخلو من المغامرة . ذلك لانه يتصل مباشرة بالدين وتقاليده . ولدين وتقاليده عندنا جذور سحيقة وعتية تغفل في كل جانب من جوانب حياتنا . حتى انها باتت تتمتع بحصانة القداسة والتقديس ، وبات التعرض لها باقل نقد ، والخروج على اي مظهر من مظاهرها ، ضربا من الكفر بالحياة .

الا ان طاقة الحياة الكامنة في فكر الانسان وقلبه وخياله وارادته لا تعرف الحدود . وهي في اندفاعها الابدي من المجهول الى المعلوم ، ومن اللاوعي الى الوعي ، ومن الانغلاق الى الانطلاق لا تقيم أي وزن لاي عمل لا يتفق وارادتها ، ولا تعترف بآية قداسة غير قداستها . لذلك تأتي علينا السكون والاستكانة . وتفرض علينا الصراع فرضا ما دما لاهين عن لبابها بالقشور .

وها انت في «الخدق الغميق» تمثل جانبا من ذلك الصراع . فتجعل ميدانه اهرة مسلمة على رأسها شيخ متمسك كل التمسك بتقاليده الاسلامية . وتقيم من سامي - احد ابناء الشيخ واحبهم في البداية اليه - خصما عنيدا له من بعد ان تفتح فكره وقلبه فتفجرت الثورة في نفسه على كل ما يحده من انطلاقه نحو المعرفة والحرية والحياة الانسانية السوية .

ولقد احسنت في وصفك لنشأة سامي ، وكيف انه ، في مستهل شبابه ، اختار ان يكون من رجال الدين . فدخل المعهد الديني ولم يلبث ان اعتمر العمامة وارتنى الجبة . واحسنت كذلك في وصفك لحياة الطلبة والمعلمين داخل المعهد - تلك الحياة التي كان منها ان تحول شغف سامي بالعمة والجبة الى كره لهما . فكان ذلك الكره بداية الصراع العنيف بينه وبين والده ، وبداية الثورة في حياة الاسرة . واحسبك بلغت سخرية مولير في Tartuffe عندما جعلت الشيخ الذي يدرس الحديث في المعهد الديني «يفضب ويثور» لان احد الطلاب ابدى شكه في قيمة حديث منسوب الى النبي . فما كان من الشيخ الا ان افحم الطالب المشكك بذلك الشرح المضحك والمخزي في آن معا ( ص . ٤٤ - ٤٥ ) . وكذلك عندما كشفت النقاب عن الرواسب الخبيثة في نفس الوالد المتدين الى حد التزمت عندما

جعلته - وبينه في غليان - يعود ذات يوم من حلب ليفاجيء زوجه وبنيه بخبر زواجه من امرأة ثانية فسي حلب - ذلك الخبر الذي انقض على اسرة «الخدق الغميق» انقضا الصاعقة . فكان تفجع وعويل . وكان تهديد ووعيد . وكانت ثورة عارمة على الاب انتهت بتراجعه ، ثم باصابته بالفالج ، ثم بوفاته .

لقد اندحر الجيل القديم من وجه الجديد ابشع الاندحار . بل انه لفظ انفاسه الاخيرة . ومضى الجيل الجديد يشق طريقه الى حيث تدفعه اشواقه الملحة .

فسامي يستعد للسفر الى الخارج طمعا في المزيد من العلم . وشقيقته هدى لا ترضى من التحصيل باقل من البكالوريا ، وكان والدها قد حرم ذلك عليها . وفوزي الذي بلغ من التدهور الخلقي حدا لم يتورع معه عن سرقة المال الذي كان اخوه سامي يذخره للدرس ، يعود الى رشده فيستغفر اخاه ويقنع عن دعارته ومخازيه . و «الخدق الغميق» الذي عاش اجيالا خلف سجب كثيفة من العادات القديمة والتقاليد المتحجرة يفتح بفتة على العالم الاوسع فيدرك ان ما من مقدسات في الارض غير اشواق الانسان الى المعرفة - الى الانطلاق - الى الحرية . وان جميع «المقدسات» تغدو عقبات اذا هي وقفت في وجه تلك الاشواق التي لا بد ان تتخطاها في النهاية عقبة عقبة . فالنصر لها . والهزيمة لخصامها .

ذلك هو اللب الذي تذوقته - واستطيتته - في «الخدق الغميق» . وهو المبرر الاكبر لخلق الرواية . اما الحب الذي نشأ بين سامي وسما ، والذي بدا لي في اول الامر انك ستعالج فيه مشكلة التزاوج بين الطوائف في لبنان ، فما اظن انه يدفع بالرواية الى الامام من حيث موضوعها الاساسي . وافعل منه في نفس القارئ هو ذلك الحب الخفر الذي نزل على قلب هدى وقلب رفيق نزول الندى على الخميطة المطمئنة . فكان خروجا على التقاليد التي تحذر على فتاة مسلمة مجالسة او مكالة اي فتى لا يمت اليها باقرب النسب . فهو حب فيه تحد . ولذلك ينسجم وموضوعك اجمل انسجام .

رايتك في بعض فصول القسم الثاني من الرواية تنتقل في السرد انتقالا فجائيا من لسانك - وانت المؤلف - الى لسان هدى ، وهي شخص من شخص الرواية . وذلك بدون اقل مبرر . فهل لك من وراء ذلك غابة غابت عني؟ انه لموضوع الساعة ، بل لموضوع كل ساعة ، ذلك الذي اخترته لروايتك . واعني الصراع المستمر بين جيل يشق طريقه وجيل يسد الطريق . . . وانه ليسرني يا اخي ان اشهد بانك احسنت عرض جانب بالغ الاهمية من ذلك الصراع في حياة لبنان وغيره من الاقطار العربية . وانك في «الخدق الغميق» قد خطوت خطوة واسعة - وجريئة - الى الامام . ورجائي ان تتبع هذه الخطوة خطوات اوسع واجرا .

ميخائيل نعيمة



# «الحندي المفقود» ودرى تعبیرها عن تمرّ الجبل

## بقلم محيى الدين صبحى

بينهم وبينه حاجز صفيق . لقد اصبح ينتمي الى غير عالمه ، عالم الاحداث العابت الالهي « ص ٢٧ . وبذلك حرم من متاع الطفولة وانتقل الى عالم جدي جامد « فكثيرا ما كانت تقيب عنهم الحكمة من بعض احكام الدين ، فاذا توجهوا في ذلك الى مدرس الفقه ، ادلى لهم بما لا يقنعهم غالبا « ص ٢٣ فيكتفون بالحفظ من دون فهم ، وكان درس الادب هو الدرس المحبب للفتى ، وكان جو المدرسة الداخلية قدرا في الليل (كان يوشك ان يغمض عينيه حين راي في الظلام شبح رفيق له يدخل غرفتهم فيقترب من سرير رفيق اخر ، ويبدأن يتهامسان .. ولم يلبث طويلا حتى سمع هسهسة قبلاات وتنهيدات .. » ص ٥ وكان التدخين منتشرا ص ٥ . والعادة السرية شائعة ص ٦٠ . وكانت كل الاشياء المحرمة تتسلل الى هذا الجو المكبوت حتى يصل الامر بالفتى ان يخلع ثيابه الدينية ويذهب خلسة مع رفاقه في الصف الى السينما .. وهكذا يتعرف « سامي » الى العالم الخارجي بطرق غير سوية .. لكن هذا العالم يروق له ، فقبل ان ينام «نذكر عيني المثلة الزرقاوين ، وشفثيهما الريانتين .. » ص ٥٦ وما يلبث ابوه ان يعلم بذهابه الى السينما فيوبخه ويغير ناظر المعهد ، وبذلك يحصل اول صدام بين التصرفات الطبيعية للفتى وبين محيطه الرجعي .

في تلك الاناء يتعرف على « عزيز » الطالب الذي ينشر نتاجه في مجلة مصرية والذي يدفع « سامي » الى التطلع بالفرنسية . وكان ( عزيز ) هذا مقلا في الطعام محاربة لشهوته ، بعكس اخيه « عبد الكريم » الشره الشهواني ، لكن الكبت لا يرحمهما اذ يجن عبد الكريم ويمرض عزيز ثم يموت بعد ان اوحى لسامي بترجمة « مولن الكبير » .

✱

حين تنتهي السنة الدراسية يصطاف سامي واسرته في قرية «المريجات» فيلتي بسميا وهي فتاة في مثل عمره ، يراها وهو يؤذن ويراهها حين تأتي مع اهلها لزيارة اهل « ولم يكن يتوقع ، حين طرخوا بابهم في اليوم التالي ، ان ينقسموا قسمين ، فندخل هي وامها واختها غرفة الدار حيث استقبلتهن امه واخته ، ويدخل ابوها واخوها غرفة الاستقبال » ص ٦٧ . وجملة « لم يكن يتوقع » لسة معلم ! فالمرأق يعدس ان تجري الامور حسب الطبيعة ، وحين ينحرف المجتمع يفاجأ بالعلاقات المصطنعة . وقد يعترض على ذلك بان المادة جارية على ذلك ، ولكن لهفة المراهق ومنطق العاطفة كفيلا بان يحوا كل تصور معاكس لامنياته . وهو منذ احس بوجودها ازداد كرهه للزي الديني ( وانتابه انداك بعض الضيق ، وتساءل في قلق : ما عساها تقول عني وانا بالجبة والعملة ) ص ٦٩ . ثم تتوق العلاقة بينهما فتظل عليه كلما اذن للصلاة او توافيه الى غابة القرية قرب الساقية ، وعبثا يعاول ان يقنعه بانه « شيخ مودرن » ص ٧٤ . لكنها تشعره ويشعره امله بانه ليس من حد وسط ، ويزيد في ضيقه من صفته الدينية ان اخاه الاكبر «فوزي » يعثر على رسالة منه الى سميا فيعطيه لابه ، ويصطدم الفتى مرة ثانية بمحيطه الرجعي ويتمثل الخلاف بين العقلية المحافظة عند الاب والروح الطبيعية التي تترقق في الجيل الجديد بهذا الحوار :

كان لا بد من ظهور كتب تعرض حياة الجيل ، في هذه البقعة التي تتوسط العالم العربي ، والتي تتطور حياتها بسرعة واستمرار بفصل شدة احتكاكها بالغرب وتأثرها به . وبفضل انتشار التعليم وارتفاع نسبة المتعلمين بين ابناءها حتى انهم ليفوقون بقية الاقطار العربية ثقافة ووعيا لشكلاهم الفردية والقومية .

لقد صور طه حسين في « الايام » واحمد امين في «حياتي» واخيرا نجيب محفوظ في سلسلة « فصر الشوق » - لقد صور كل هؤلاء البيئة المصرية بتقاليدها وعاداتها ومجرى حياتها اليومية وكيفية تطورها البطيء من خلال التطور الفردي الذي عني بعرضه الكاتبان الاولان حين ترجما لحياتهما ، وكان تصوير نجيب محفوظ اشمل وادق واكثر وعيا بفعل اتصاح عناصر الحياة القديمة لبعده مناظرها وامكان رؤيتها في كل الجوانب وبدون انفعال . اما في سورية ولبنان فان الادب لم يلتفت ابدا الى الورا ، ولن تجد في كتابات الادباء اي تصوير لبيئة القرن التاسع عشر او بيئة القرن العشرين ! ذلك ان وعي المستقبل والتמוד على الحاضر والنضال من اجل التحرر الوطني .. امور تستغرق ادباونا وتشغلهم عن التفكير بالماضي ، ومما زاد هذا التيار شدة ، سيطرة الادباء الواقعيين في سوريا خاصة - على السوق الادبية واهمالهم لكل القيم الفنية مقابل نشر المذهب الماركسي . وفيما عدا السيدة الفة الادلبي لم يلتفت واحد من الكتاب الى الحياة الماضية بل تركز نتاج الادباء الشبان في عرض ازمة الفلق والتمزق الفكريين وتسجيل ثورة الجيل على الخلفية القديمة . وقد خضع لهذه القاعدة الدكتور سهيل ادريس في بداية حياته الادبية ، فقدم لنا في « الحي اللاتيني » صورة عن قلق الجيل وتقلباته بين شتى انماط الحياة ، كما انه اكتفى في « الدمع المر » بالحديث عن الحياة الحاضرة . ولعل رواية « الخندق المفقود » اول رواية تحاول ان تتعرض بصورة مباشرة لبيئة الطبقة المتوسطة التي عاشت قبل الحرب الثانية وتعرض كيف نفس ابناء هذه الطبقة مفاهيمها التي نشئوا عليها حين اتصلوا بالعالم الخارجي وادركوا انه يحتاج الى خلفية ومثل جديدة .

تبدأ الرواية بتصوير الجو الديني الذي نشأ فيه « سامي » بطل الرواية وكيف كان ابوه يقيم حفلات « الذكر » ويدفع ابنه اليافع الى حفظ القرآن والاحاديث حتى يفلح التوجيه في جعله يندفع الى ابيه بلهفة ويقول له : « ابي .. ارجوك .. ارجوك يا ابي .. اني اريد ان اصبح شيخا » ص ١٨ . ثم يدخل مدرسة دينية داخلية تفرض على طلابها اداء الصلوات الخمس وحياة فيها كثير من الصرامة والتقشف ، وما يلبثون ان يلبسوا الزي الديني فيعتمر سامي بالعملة ويرتدي الجبة ، ومنذ تلك البرهة يبدأ صدامه مع الواقع وروح العصر التي لا ترضى للانسان كل هذه القيود الوقورة ! ففي اليوم الاول من لبسها يتساقط المطر وهو في الطريق « وحين اقبل الترام هم بالمدو خلفه ليدركه وهو سائر ، على عادته ، غير انه شعر بثقل الجبة على كتفيه ، والعملة على راسه ، وذكر ان الرصانة تقتضيه الا يقفز الى الترام قفزاً » ص ٢١ . وهو في زيه هذا ، يستندر المطف حيناً والسخرية احيانا بصفر سنه ، حتى ان ذقنه « لم تطلع بعد » ص ٢٦ . وانقطع عن اللعب مع ابناء حارته « لقد انتصب

« سامي : ان الله لم يخلق المشايخ بلا قلوب

الاب : ولكن الله عز وجل خلق لهم عقولا راجحة تغلب عواطفهم وشهواتهم » ص ٧٧ وفي حوار اخر يصرخ في وجه امه « دعوني وشأني فانه لا علاقة لاحد بأموري الخاصة » وتجيبه امه بان « ليست أمورا خاصة به ما دامت تسهم وتؤثرهم فيهم » ص ٨٠ . وبذلك تتأكد لديه الفردية التي تلازم المفاهيم المدنية الحديثة ، ويظهر رفضه للاخلاقية الاقطاعية القديمة التي تقوم على المسؤولية الجماعية وتعتبر ان عمل الفرد يمس المجتمع في اسره . وما يلبث الضغط ان يزداد فينتصب له اخوه فوزي رفيقا يمثل المجتمع كله ، لكنه يستمر في علاقته معها حتى ينكشف امرهما في مفامرة كيشونية يقفز فيها سامي من شرفة سميا الى الارض فيشج راسه ! ثم يترك مع اهله القرية ابان اعلان الحرب العالمية الثانية .

★

يعود سامي الى المعهد « وهو يحس وحشة كبيرة ويعيش في شبه عزلة » حتى تصله رسالة من سميا الى المعهد . فيستلمها مع توبيخ من الناظر الذي قرأها . وتستمر الرسائل عن طريق صديقه « رفيق » وتحول الجبة والدمعة دون لقائهما . ويبدأ مله يقوى من الاستسدة المشايخ وكتبهم الصغراء . « ولم يلبث طويلا حتى احس بانه ينفصل رويدا رويدا عن جو الدروس ليخلق لنفسه جوا خاصا يعيش فيه للادب والمطالعة » ص ١٠٠ . بهذه الصفحة التقريرية يبلغ البطل ذروة سامية من الحياة ، ويستشرف حياة اخرى اكثر انسجاما مع ميوله .

## الثقافة العربية

مجلة فكرية عربية فصلية

الفكر في القلوب

عدد خاص

القسم الأول

العدد الأول - كانون الثاني / آذار ١٩٥٩

فهو ينشر قصصه في المجلة المصرية ، فتحوز اعجاب سميا التي سافرت بعد قليل الى القاهرة وقطعت رسائلها عنه . وينقضي العام كله بلا خبر وانقضى عام آخر فزعم على ان يستعد لتقديم امتحان الشهادة الثانوية نهيدا لتترك الحياة الدينية .. اي ان الكاتب ارخ لعامين بخمسة صفحات .. وهذا يفقد الرواية شيئا من التوازن والانسجام بين عناصرها ويقر ذهن القارئ وخياله على قفزات لا توضح شيئا من الحياة التي يعرضها علينا المؤلف ، ان القارئ يقع في هوة من التاريخ غير الفني لحياة مخلوق فني اسمه سامي .

لقد عزم ان يشترك في فحص الشهادة الثانوية الحكومية ، وعزم في نفس الوقت على خلع الجبة والعمامة ولبس البنطلان والقميص ... هكذا عزم فجأة بنتيجة ضيقة من القيود التي تستلزمها الثياب الدينية . هكذا عزم فجأة حيا في الاندماج في المجتمع وتلمس سبل النجاح ... لقد عزم ارضاء لطموحه ونزولا عند واقع الحياة .. ولم يعزم بنتيجة نهزق فكري وصراع داخلي وشك بمجموعة اعتقاداته السابقة .. وزلزال يعترى ايمانه فيتأرجح روحه بين الشك واليقين واللامبالاة ... والحلم بحياة هادئة مثالية ، والانتقال بالحلم ايضا الى حياة فاجرة داعرة تموض ما فات شبابه المحروم .. هكذا عزم ان يتخلى عن ماضيه وشخصيته السابقة بدون تردد ولا ذنبات من اقصى اليقين الى اقصى الالحاد ودون ان يشعر وكان هموم الدنيا كلها على كتفيه وان قلبه يعتصره الجهد والاسى والطيش والياس .. لقد خلع الجبة والعمامة ولم يفكر الا بنظرات الاستغراب والاستنكار من الجيران ! ترى الم تهجس في نفسه الوسواس عن العقاب بالنار الابدية والعذاب المخلد ، او لم يسأل نفسه عن الخلد والجنان ، او ما طاف بخاطره طيف من الندم على النعيم الذي اعده الله لعباده ونائب لنفسه على استعجال اللذة الحاضرة ثم رجوعه الى تصميمه واهمال النتائج ؟

المهم ان المؤلف وقف عند سطح هذه الشخصية ولم ينفذ الى داخلها .. وحين نجح سامي في الشهادة لم يبق له الا التفتيش عن الحبيب المفقود سميا . لكن خلع الثياب الدينية لم يمر في البيت بسلام ، وهنا تبدأ اخته تصف لنا في مذكراتها كيف يقضب منه ابوه الشيخ ويضربه فينتقم سامي من العممة ويمزقها ... وحين يعلن سامي عزمه على الالتحاق بالجامعة ، يلجأ ابوه الى السلطة الوحيدة التي بقيت لديه : الامتناع عن دفع الاقساط ، فيسمى قريب له بتوظيفه في صحيفة يومية .. وبذلك تم تكوينه فردا من البورجوازية الصغيرة التي حصلت على شيء من الاستقلال المالي ، فتحررت نفسه من قيود البيت والمجتمع .. ويشق دربه في عالم الكتابة حتى يذبح ذات مساء احدي قصصه « وتناهى اليه صونها ، هي سميا ، بعد ان فرغ من اذاعة قصته ، حين اخبره موظف الاستديو انه مطلوب على التليفون » ص ١٢٨ . ويوافيها الى مكان الموعد فاذا بها تطل « مخلوقا جديدا لم يكده يعرفه .. كانت ترتدي ثوبا اسود عاري الكتفين والصدر ، فتبدو فيه ممشوقة الجسم ملتفة القوام . وكان شعرها مسرحا على طريقة الممثلات ، وكان يتدلى من اذنيها قرطان مذهبان كبيران ..

« اما وجهها ، فخيال اليه ان قد غاضت منه تلك النضارة التي كان يعرفها ، لتحل محلها افانين من مستحضرات التجميل ، وكانت عينها ، تانك العينان السوداوان العميقتان ، تطل منهما نظرات ساخرة ليس فيها انارة من غموض نظراتها السابقة الحية » ص ١٢٩ وبعد حوار قصير يكشف انها تزوجت في مصر ، وهنا يتأزم الموقف بينه وبينها وبينه وبين نفسه ، ويجيد الكاتب تحليل الجو العاطفي

## فيكتور هيجو

رائعته القصصية الخالدة

البوليساع

الطبعة الرابعة الثمن ٥ ل.ل.

شركة المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر

وازدباد توتره ، حتى تخون سامي اعصابه فينسحب ويخرج الى الشارع « كالنائم يعتوره الكابوس » ص ١٢٢ . ويثور الصراع بينه وبين نفسه على شكل استيقاظات من صدمة ، فهو يتساءل : « لماذا ترك سميا على هذا الجفاء .. صحيح ان الخيبة التي حملتها اليه كانت اقسى من ان يتوقعها ، ولكن كان عليه مع ذلك الا يظهر بمظهر المطعون » ص ١٢٢ . لكي يحتفظ بكرامته .. كان يحبها طاهرة نقية « لقد هصر ذلك الجسد الان هصرًا عنيفا .. » واذن فقد اهينت رجولته .. « ومرة اخرى تسأل فجأة : لماذا ترك سميا الان ؟ .. وماذا كانت تبغي من لقائها به ؟ الم يكن احمق ، اذ انصرف عنها ، اما كان بوسعها ان يواعدها على لقاء خفي يحقق ذلك الحلم الذي راوده ليالي طويلة ساهدة راجفة ؟ » اي انه كان يستطيع ان يذلها ويبادلها كذبا بكذب وخيانة بخيانة .. « واحس بقدميه تقودانه الى ساحة البرج .. »

« ورقي سلما ضيفا في منطف درب .. »  
« وحين هبط السلم بعد زهاء نصف ساعة لفظ حلقه بصقة كبيرة على قارعة الطريق .. » ص ١٢٣ كان هذا العمل انتقاما من صورتها في نفسه وردا لمنى رجولته المفقودة . وقد جاء رفضه حين امكنت الفرصة منها ، رفضا طبيعيا منسجما مع ماضيه ، ولو استسلم لأول اغراء لما تعرفنا فيه بطلنا الاصيلي . ان روااسب الماضي ما زالت تحكمه وما زالت للمثل القديمة قيم عليها لها تأثير وتفوذ عليه وهو ما زال ذلك المراهق الذي لم يتشرب الواقع فيساوم على اساس منه ، لذلك رفضها ، ثم ندم على رفضه !  
لانه فقد اقتناعه العقلي بصحة هذا الرفض سموه ، لكن عواطفه ما زالت تسوقه - لا شعوريا - لاعمال لا يريدتها . وسوف يقتضيه هذا التضارب بين الاقتناع والعاطفة زمانا طويلا في « الحي اللاتيني » حتى يعيش حياة يتحقق له فيها الانسجام بين الرغبة والفعل ، حين يمتلك (جانين) التي تمثل سميا تباشر شخصيتها .

قلنا انه كان قد عزم على الاشتراك في فحص الشهادة الثانوية وانتسب الى كلية مدنية ، « وكان يمني نفسه بان يجد في تلك الدراسة متعة كان محروما منها في الدراسة الدينية الثقيلة » ص ١٢٤ . ولا يبقى له من عاله الديني سوى صديقه « رفيق » الذي ترك الاوقاف واشتغل في متجر وتحرر هو الآخر وصار يزور سامي دائما ، وفي احدى الزيارات صعب على هدى حل مسألة فادخلها سامي الى رفيق .. وفي المساء يتشاجر مع ابيه من اجل اخته .. وبعد اسابيع يصطحبها الى السينما بدعوة من رفيق فيراهم « فوزي » ويتجدد في البيت الشجار لكن الموقف يتطور هذه المرة في صالح سامي ، اذ يهدد اياه بان يترك البيت اذا مس اخته بسوء وتأتي امه فتسحب بابيه خارج الغرفة . على ان الاب يامر ابنته بان تقطع عن المدرسة فيعلن سامي استعدادة لتمويلها ... عند ذلك يقضب الاب ويهجر البيت مسافرا الى حلب . اما سامي فيكتشف الحب الخجول الذي ينمو بين صديقه وشقيقته « وصارح اخته بانه يعرف حبها لرفيق ، ويقدر عاطفتها حق قدرها ، وهو لا يقف دونها ، ولكنه يريد ان تنتهي نهاية شريفة » ص ١٤٩ .

★

كتب المؤلف على لسان هدى فصلا سجل فيه انطباعاتها عن موقف الاسرة من سامي يوم خلع العمة ، وهي منذ الان تتم لنا عرض حوادث الاسرة ، ولعل في ذلك راحة للقارئ وانتقالا له من جو الى جو ، لكن الكاتب لم يدخل بنا الى نفس الفتاة ولم يعرض علينا العالم من خلال انثى ، ويكاد الا يتغير علينا الا اختلاف ضمير المتكلم ، اما تلك اللمسات الخفية التي تميز ادراك الانثى للعالم وتعطيه خصوصية ذاتها ، فانها اشياء مفقودة من مذكراتها .

- البقية على الصفحة ٧٧ -

## « الخندق العميق » ومدى تعبيرها ..

— تمة المنشور على الصفحة ١٥ —

لقد وقفت اخت البطل في « الحي اللاتيني » موقفا وسطا بين سعادة اخيها وتقاليده مجتمعهما ، اما في هذه الرواية فانها تساعد اخاها وتثور معه وتقول حين صارحها باطلاعه على حبها انه « اذ ابلغني انه يقدر عاطفتي حق قدرها قد وفر علي كثيرا من الجهد والحذر والانتظار، كما انه ملاني ثقة بانني ساكون في حمايته وان بوسع جبي ان يتزعزع وينمو بين جوانحي في امان » . وبذلك كشف المؤلف عن أقصى امانه الجليل : الا تقف العقبات الاجتماعية حائلة بينه وبين ميوله . كما انه كشف عن مكان المرأة في هذا الصراع : انها تجني ثمرة النصر ، ولا تكون الا طرفا قلبيا في الصراع . ولعلها معذورة بعض العذر فالمجتمع اكثر تسامحا مع تمرد الرجل منه مع الانثى .

اتناء غياب الاب في حلب يأتي فوزي اخر الليل سكران وبذلك ينكشف غش الحياة التي يعيشها ، ويזור رفيق بيت سامي وينفرد بهدى فيقبلها .... وما تلبث ان تقيم حفلة « تبولة » تدعو اليها اخت رفيق ، وبذلك يكون غياب الاب فترة اعياد يحتفل بها كل على هواه . وبذلك يمثل الاب الجانب الرجعي الذي يسد منافذ الهواء ويرضى بالنفاق مع ابنه الكبير ، وفوزي يمثل المجتمع فهو نتاج تربيته ومغاض بيئته ، وهو يشابه « ياسين » في سلسلة « قصر الشوق » . وهو لذلك يحظى برضى ابيه وبركانه ما دام يقبل يده ويخفي عنه سكره وفسقه وسرقة اموال اخيه واخته !

يعود الاب من حلب فيعلن انه تزوج ! تولول الام وتبكي البنت ويفضب الاخوان ، والوالد يرد بالصهقات كل نفاش ، ولا ينهي الموقف سوى اتفاق الاخوين على تهديد ابينهم بالطرد .. فيتراجع عن موقفه ويصطحب سامي ، الى حلب ليحضر طلاق الزوجة الجديدة . وبذلك يقدم لنا المؤلف صورة واقعية عن جو البيت الشرقي والعقليات التي تسوسه ، فالام تسرد كل ماساتها لايتنها في سطور : « انني لم اطمئن لحظة واحدة الى ابيك يا هدى ، بالرغم من انني قضيت معه ثلاثا وعشرين سنة .. كنت دائما اشك فيه وفي امانته الزوجية ، وارتاب في ان يستطيع الدين ان يردعه . ان نفسه خبيثة وشهوته غالبية .. ورفضت ان اتزوجه باديء الامر ، ولكن امي اجبرني .. » ص ١٧٢

ولا تنتهي الرواية الا برجوع فوزي الى الصراط المستقيم فيلازم البيت مساء ويرد الى اخيه ما كان قد اختلسه من ماله واعدا اياه بان يساعد في نفقات الدراسة ، وتنزع هدى الحجاب وتسفر فتصطدم بابيها ولكنها تواجهه بشجاعة فينهار مشلولاً ثم يموت رمزا لموت الماضي المندثر ، ويتزوج رفيق من هدى كتبويج لنضال الجيل ، بينما يسافر سامي لاتمام دراسته كشاب من الطليعة .

هذه هي الرواية بجوانبها وابطالها ، حاول الدكتور سهيل ان يتمم « الحي اللاتيني » ولكن هيهات .. فما في تلك من رفيف وقلق وحركة في النفوس والعالم اشياء لايجاريها شيء في هذه الرواية . ان حذف استبطان البطل في معتقداته افقد الرواية ملامستها للوعي الانساني الحاثم حول الجهول .. وسبب الخطأ هو وقوع المؤلف تحت نفوذ النظريات ذات التفسير الواحد كالنظرة الفرويدية والنظرة الماركسية مع ان الحياة اغنى بمناصرها من ان تقتصر على عامل واحد . ان اتخاذ الحب نقطة ارتكاز او نقطة وحيدة في تفسير انقلاب معتقدات الشباب امر خاطيء ، صحيح ان الجيل الجديد يستعجل لذاته ، لكن هذا ليس كل شيء في الحياة . ان سبب ضعف الرواية اهمال المؤلف لأميرين من اهم الامور التي تلزم الاطاحة بها لكل من يحاول ان يتعرض لتسجيل التطور الاجتماعي بين جيلين . الامر الاول : تسجيل الافكار التي تقوم عليها اعتقادات كل من الجيلين لكي يتضح الفرق بين طبيعة الابطالين ،

وتتضح معه العوامل التي تصوغ هذا التطور . وقد حاول الروائي نجيب محفوظ تسجيل ذلك بسرد مئات المحاورات بين ابناء الاجيال الثلاثة التي ارج لها ، كل جيل مع جيله تارة ومع الجيل السابق او اللاحق تارات اخرى . كما انه عرض لنا سوذا عن حالته النفسية ليقربه الى مدى رؤيتنا ويؤكد هويته الانسانية .

الامر الثاني ان الكاتب قد هدف اعطاء المعلومات الكثيرة عن فترة اربع سنوات في سن حرجة فاضطره ذلك الى نهج الشكل التقريري في كثير من الاماكن وبخاصة ص ١٠٠ وص ١٠٥ . ونقصان العنصر الاول افقد الرواية عمق التصوير وصحته وشحوب اللون الماساني فيها ، اما العنصر الثاني فقد هبط بالمستوى الفني الذي كنا نرجوه من صاحب « الحي اللاتيني » .

على ان في الرواية عنصرين ناجحين تماما الاول هو الحوار وبالاخص لفته ، والثاني هو تصوير شخصية الام بحنانها وضعفها ورعايتها للجميع ، فقد قالت لفوزي حين تملق اباه قبل سفره الى حلب ، بانها لم تخبر والده عن سكره وفسقه فقال لها بشراسة :

— ان هذه امور لا تعنيك .. وخير لك ان تعودى الى مكانك الطبيعي : المطبخ

فاجابته الام :

— انني لاستنزل عليك لعنة الله كما يفعل ابوك ، ولكني ادعوك الله ان يهديك ويمحو شقاءك .

ويظهر ان الدكتور سهيل ادرى يكتب عن نفسه في هذه الرواية ، كما فعل في « الحي اللاتيني » لكنه لم يقدم لنا تجربته بالعمق الذي قدم لنا روايته السابقة .

دمشق

محبي الدين صبحي

## في الاسواق

رائعة الكاتب العالمي  
آرثر كستلر



الرواية، الإنسانية العالمية، الفائزة بجائزة هينسن  
عشر روايات ظهرت حتى الآن في أوروبا .

والتي قال فيها الكاتب الكبير في الشهيرة « رنست هينفواي »  
... ما فكرت في أني كاهن في رواية  
« ظلام في النهار »

من كتب : دار الصراع الفكري - بيروت

# أُتُوراة

\*\*\*

الله في مدينتي يبيعه اليهود  
الله في مدينتي مشرد طريد

اراده الغزاة ان يكون  
لهم اجيرا ،  
شاعرا ،  
قواد  
يخدع في قيثاره المذهب العباد  
لكنه اصيب بالجنون  
لانه اراد ان يصون  
زنابق الحقول من جرادهم  
اراد ان يكون

الملك لك  
ما ابعد الطريق  
الحمد لك  
ما اقل الزاد

الله في مدينتي يباع في المزاد  
دعارة الفكر  
هنا رائجة ، دعارة الاجساد

لانه لا يقبل القسمة ، يا حبي ، على  
اثنين  
عادوا به محطما ، مقيد اليدين

عقارب الساعة لا ترجع للوراء  
قطارنا مر .  
فلا جدوى من البكاء

عبد الوهاب البياتي

بيروت ٢٣ - ٤ - ١٩٥٨

اجنحة الشاعر في بلادنا جليد  
تذوب ان طارت الى البعيد

قبعة الثلج على « صنين »  
تحرقها الشمس  
فلا يبقى سوى الرماد  
يكفن الحقول  
ويغمر الوديان بالذهول

من قلة الخيول  
شدوا على الكلاب  
سروجهم ، ونبحوا السحاب

اصبت بالقرف  
منكم ومن اشعاركم  
يا ماسحي احذية الملوك  
يا خفافس الخزف

في حرم الغزاة  
يحبو الشعارير  
وينمو القمل في اشعارهم  
ما اوحش الحياة

ما ابعد الطريق  
وما اقل الزاد

كفرت بالشعر الذي يصنع من سلالة  
الكلاب  
ناسا ، ملوكا ، قادة ، ارباب

ربيعنا الراقص في الجبال  
مات

وها ازهاره الحمراء في السلال  
تباع في مدينتي  
في السوق  
يا رفيقة الليال



# سمفونى الزمير

من الف نهار  
والمغرب بركان موار  
في الوادي نار  
في القمة نار  
من الف نهار لم يجمع قومي سامر  
لم ينشدهم شاعر  
عن عصر ميمون زاهر  
وجميلة تهتف بالثوار  
من الف نهار  
شدوا يا عرب  
صبوا في وجه الافعى نار  
والشعب الغلاب استهوته حميا الحرب  
الشار الثار  
لكن في كهف في اوراس  
شيخ هاو مشجوج الراس  
مشجوج العزمة والاحساس  
القرية دمرها الاعداء  
فاستسلم في استحياء  
لسؤال قاس يعصر روحه  
تلك المجروحة :  
اترى سيعود العصر الزاهر ؟!  
ويعود الشاعر ..  
ويغني الفرحة للسمار ؟.

★

من الف عشية  
والقدس جراح مطويه  
« سنعود الى جنات التين »  
قالتها لاجئة لصبيه  
« وستمتصين رحيق الزهر كما تهوين »  
كانت تهمسها كل عشية  
وينام بها الاطفال جياعا مبتسمين  
في اعينهم كرمات عنب

وحدائق تين  
ولقد ملت ام الاطفال الاكذوبه  
وشجاها ان القرية منكوبه ..  
ويقال عروبه  
وتطلع شيخ للافاق :  
الليل محاق  
وسؤال يسخر في الاعماق  
تلك الاكوام الانسانيه ..  
الرميه ..  
اترى ستعاقب ضوء العوده  
في ذات عشية ؟؟

★

من الف شتاء  
والدوحة ما زالت عجفاء  
مدت لله اناملها الخرساء  
تستجدي خفقة طائر  
تستجدي قطرة ماء .  
من الف شتاء لم تنعم بمذاق الطل  
يا رب السحب : الا من كاس ؟  
وحواليها - من الف - لم نعم بالظل  
ويح الخطاب ويا للفاس !  
ولقد ناجاها البستاني  
اذ عيناه مغرورقتان  
اذ ربت فوق الاغصان  
يا دوحتنا :

اترى ستعود اليك الاثواب الخضراء ؟  
وتعود الاطياف الغناء .  
لتمزق وحشة الف شتاء ؟؟

★

من الف مساء  
والافاق الاعمى لم يعرف لون الاضواء  
لو ترقى اعلا مثذنة لن تبصر ضوءا  
لن تبصر شيئا .

في الليل يدور امرؤ صراع  
يا يوم اليرموك الخالد  
يا جالوت الكبرى  
يا قائد حطين الماجد  
ايان يطل علينا النصر ؟  
ايان نعاقب ضوء الفجر ؟  
واضاءت من سوريا من مصر  
انباء نهاوند الكبرى  
انباء دمشق .  
سيف الله المسلول يمد الراية طوعا  
للجراح  
ويسير مع الشعب المحتاح  
الفا ساعد  
دقت باب التاريخ معا  
دفعت باب التاريخ معا  
فعلا في الافق صرير الباب  
واصاخ العالم في اعجاب  
يا للموسيقى العلويه  
صبت في سمع القهورين  
لحن الحرية  
فتحررت الاشلاء على هذا الكوكب  
قامت تتوثب  
واستشرف زنجي مصفود خلف الماء  
ووراء النهر صفت اذان للانباء  
وتألق وجه جريح في اوراس  
ومضى للحرب شموخ الراس  
لم يغسل جرحه  
واحست لاجئه طعم الفرحة  
والنضرة عادت للدوحة  
وانسابت انهار الاضواء  
كما شاقطنا من الف مساء

اسماعيل مصطفى الصيفي  
القاهرة

# في قضية الدكتور جيفافو !

بقلم رفيف خوري

حالت ظروف انعقاد مؤتمر الكويت للادباء العرب  
واصدار العدد الممتاز من «الاداب» دون نشر شيء  
في المجلة حول قضية «الدكتور جيفافو» الهامة .  
و «الاداب» تنشر اليوم هذا المقال للاستاذ رفيف  
خوري تاركة للادباء ان يناقشوه بكل حرية .  
«الاداب»

وينبري الادباء السوفياتيون ليناقشوا باسترناك الحساب  
العسير . فهو في نظرهم قد اساء تصوير ثورة اكتوبر الاشتراكية  
الكبرى ، وجرح الشعوب السوفياتية في امجد احداث  
تاريخها . واني ارى من حق اي اديب سوفياتي ، او غير  
سوفياتي ، ان يناقش باسترناك ويأخذ عليه المآخذ فيما  
يتعلق بمسؤولية الاديب ان لا يسيء الى عزيز على شعبه ،  
وغير شعبه . ولا يغير من هذا الحق شيئا ان الاديب قد اساء  
فعلا او لم يسيء . فان له ولغيره الحق ان يتصور انه لم  
يسيء ثم لا ينقض هذا حق غيره ان يعتقد انه قد اساء .  
ومرجع الامر كله يبقى الى الاقناع بوسائل الاقناع !

لقد استعمل الادباء السوفياتيون كثيرا من اللفظ  
العمج في نقد باسترناك . وهذا اسلوب قد نوافقهم عليه او  
لا نوافقهم ، لكننا لا ننكر عليهم حقهم في اتباعه اذا اختاروا  
اتباعه . ولا ننكر عليهم حقهم حتى في اخراج باسترناك  
من صفوفهم . فلكل هيئة ان تحاكم عضوا او عددا من  
اعضائها ، وتطبق عليهم احكامها .

اما ان يطلب الادباء السوفياتيون من الدولة ان تجرد  
باسترناك من جنسيته وتخرجه من وطنه ، فهذا ما لم  
نفهمه ولم نقره ! ففي ميدان الخلاف الادبي تتصادم الافكار ،  
وتعترك الاقلام ، وهذا من الحرية في الصميم ، بل هو  
شرط اساسي لجلاء الحقيقة . فاما ان يستعدي الادباء  
الدولة على اديب او ادباء اية كانت خطيئتهم الفكرية ، فهذا  
ما لا يمكن قبوله الا في احوال الضرورة القصوى حين يكون  
مصير الوطن معلقا بشعرة ، وحين يصبح من واجب الاديب  
ان يقوم طائعا مختارا بفعل تنازل عن حريته الجزئية في  
سبيل حرية الكل بل في سبيل وجود الكل . وعندئذ يكون  
تنازل الاديب عن حريته الجزئية هو الحرية عينها !

فاذا نظرنا الى الاتحاد السوفياتي اليوم ، وتأملنا واقع  
حاله ، وجدناه ابعد ما يكون عن الخطر الذي يجعل مصيره  
معلقا بشعرة . بل ان الدعائم التي ارسنها ثورة اكتوبر  
الاشتراكية الكبرى اصبحت وراء متناول اية قوة في الارض  
تريد بها شرا . فلن يضرها ان يستعمل اديب كباسترناك  
او غيره ، حريته الجزئية ، ليعرض بثورة اكتوبر ، مخطئا  
او مصيبا ، في رواية يكتبها .

سيدة لبنانية جلست امامي في احدى حافلات القطار  
الكهربائي ، ورائحت تقول لجارتها وانا اسمع :  
- سمعت ، يا عزيزتي ، بالدكتور جيفافو ، دكتور روسي  
عظيم ! اضطهدته الشيوعية ، وقام العالم وقعد ! « ها »  
الفضاعة .

ردت السيدة الاخرى :

- شو قتلوه ؟

- لا ! هرب الى لبنان بلد الحرية !

- وفتح عيادة في بيروت ؟ ان شاء الله يكون طبيب  
معدة ...

وغطت السيدة المحترمة . فمها بمنديل لتتجشأ  
ما اعتقد ان خيال الشاعر بوريس باسترناك كان يمكنه  
ان يتصور لمخلوقه الدكتور جيفافو مثل هذه النهاية التي  
انتهت اليها مغامراته في ذهن سيدة من سيدات وسطنا  
الراقي .

اني لم اطلع على هذه « الحياة » حياة الدكتور جيفافو  
التي من اجلها منح باسترناك جائزة « نوبل » للاداب .  
ولما كان مخلوق باسترناك لم يتجسد ، بضرب من السحر ،  
لحما ودما ، ولم ينتقل الى بيروت ، ليفتح فيها عيادة ، كما  
تمنت سيدتنا المصابة بسوء الهضم ، فاني لاستطيع ان  
ارى فيه راي . لكنني مطلع على بعض شعر باسترناك مترجما  
الى الانكليزية . وهو شعر لا يوحي بان باسترناك اديب في  
مستوى جائزة « نوبل » على نحو ما نتصور مستوى هذه  
الجائزة . وقد يكون ان الترجمة نالت من روعة شعره .  
وقد يكون ان باسترناك كاتب روائي اكبر منه شعاعا . هذان  
احتمالان جائزان . غير اني مع هذا اميل الى الاعتقاد بان  
كتاب باسترناك لم يمنح الجائزة الا للون من الوان الدعاوة  
السياسية . يؤيد هذا الاعتقاد ما قد رافق اهتمام « الغرب »  
بكتاب باسترناك ، وبالجائزة التي بذلت له ، من استغلال  
لا شك في طابعه السياسي المخص . وهذا ما يفقد الجائزة  
قيمة دلالتها من حيث المقياس الادبي ، ويؤكد ان « الغربيين »  
والادباء السوفياتيين يقف كل فريق منهم للاخر بالمرصاد ،  
وينقل معارك « الحرب الباردة » الى كل مجال يرى فيه  
امكان الاستغلال السياسي ، حتى مجال تقييم الاثار الادبية .

# الكتاب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص.ب. ٤١٢٣ - تلفون ٢٢٨٣٢

★

## الإدارة

شارع سوريا - رأس الخندق العميق ، بناية الاسمر

★

## الاشتراكات

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة  
في الخارج : جنيهان استرلينيان

او ٥ دولارات

في اميركا : ١٠ دولارات

في الارجننتين : ١٥٠ ريالا

الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما

حوالة مصرفية او بريدية

★

## الاعلانات

يتفق بشأنها مع الإدارة

★

توجه المراسلات الى

مجلة الآداب ، بيروت ص.ب. ٤١٢٣

فاستعداد الادباء السوفياتيين للدولة، اذا، على باسترناك  
غلو ذريع ، ليس له ما يبرره . بل هو اثر مترسب من  
ذهنية تكونت في الامس ، ثم فقدت اليوم سببها . وظهر  
ضررها . لكن بقي مع ذلك من يتشبث بها بفعل العادة .  
ولقد كنت اسعد الناس حين عرفت ان الدولة السوفياتية  
اباحت لباسترناك ان يقبض الجائزة . ولم تجب الادباء  
السوفياتيين الى طلبهم ان يجرد من جنسيته . ويترد من  
وطنه .

كنت اسعد الناس لان الاتحاد السوفياتي قد مثل دائما  
في نظري التجربة الاشتراكية العظمى . . وانت تعرف ، ايها  
القاري ، معنى هذا حين تذكر مدى ما يعنيه في الواقع تقدم  
الاشتراكية لتحررنا القومي وتحرر الانسانية . وانه لمن  
الفجعة حقا ان يتعارض تطبيق فكرة العدالة الاجتماعية ،  
والتححر الاقتصادي ، وهما فكرتان اساسيتان فسي  
الاشتراكية ، مع حرية الادب والتعبير ، برغم ما قد يندس  
في هذه الحرية من مظاهر شذوذ وانحراف ، يمكن ان  
تداوى ، ويجب ان تداوى ، بغير اللجوء الى سلطة الدولة  
في الاكراه .

لقد شاء بعضهم حين ضج لقضية باسترناك ، ان يظهر  
ان الاتحاد السوفياتي ، خلو من حرية التفكير ، فانبست  
هؤلاء ان الاتحاد السوفياتي قد خطا في هذا السبيل ،  
سبيل حرية الفكر ، خطى فسيحة هي اصح دليل على مزيد  
القوة والثقة بالنفس .

وفيما نحن نوجس خوفا من يوم ياتي في هذا العالم  
الذي نسميه « الحر » ، يضيق فيه الحكام بكل حرية  
الفكر ، ويحاربونها على انها « شيوعية » ترانا نتوقع يوما  
ياتي في الاتحاد السوفياتي يستطيع فيه كاتب بملء الحرية ،  
في جريدة سوفياتية او مجلة او كتاب ، ان ينتقد الحكام  
السوفياتيين وهم في سدة الحكم ، وسواء ارات الاكثرية ،  
انه مصيب في انتقاده ام غير مصيب .

ان النهاية التي انتهت اليها قضية باسترناك لتجعلنا  
مطمئنين الى اننا غير حالمين ، ولا واهمين ، فيما نتوقعه .  
فالدولة السوفياتية قد اكتفت بان تركت للشعب السوفياتي  
نفسه ، وللذين لا تغرهم الدعاوات السياسية ، في العالم  
كله ، ان يدركوا غرض الاستغلال السياسي الذي اقتصر  
ببذل الجائزة لهذا الكتاب ، ايا كانت قيمته . ولقد ادرك  
باسترناك نفسه هذه الحقيقة ، وانف من ان يخضع اسمه  
لهذا الضرب من الاستغلال الذي يفسد القيم الادبية .

وفي الوقت الذي نأخذ فيه على الادباء السوفياتيين  
انقيادهم للاستفزاز حين طالبوا الدولة بتجريد باسترناك  
من جنسيته واخراجه من وطنه ، نطالب القائمين على جائزة  
« نوبل » للآداب ان يحرصوا على طابع للجائزة بنأى بها .  
عن الانصياع للدعاوة السياسية ايا كان لونها .

رئيف خوري

مسرحية واقعية  
بقلم خليل الهنداوي

# ستة رجال تحت الأرض

(( في قبو تحت الأرض تحفظ فيه الاطعمة ... كان ستة جنود يحرسونه )) سنة ١٩٤٢

ريني - اف .. كم طال بنا المكوث في هذا القبو المظلم !

فيكتور - اتراه خيرا من غيره ؟  
جوان - لعلك تعتقد بان الموت البطيء نعمة ؟  
ادغار - لماذا لا يخرجونا الى الجبهة نموت فيها كرفاقنا ؟

ادولف - انتم محسودون ، ولا تعرفون .. ناكلون ما تشتهون ، والموت جائم على الباب يكاد يموت من الفيض .

اندري - ( ضاحكا ) - انه يتحرق علينا ، ولا يجزؤ ان يقترب منا !

ريني - ( بلهفة ) - اندرون نحن في اي يوم ؟

فيكتور - في اي يوم ؟ وماذا تعني ايام ؟ هل يجد من كان مثلنا قيمة للزمان ؟  
ادولف - لعل الليلة ليلة عيد الميلاد ...

ريني - هي ذاتها .  
ادغار - اناكلون ؟ اشربون ؟  
جوان - يا ترى كيف تلقى العالم هذه الليلة هل تحدثوا عن السلام ؟

ادولف - بل كيف مر العيد باهلا ؟

ريني - كل ما املك في هذه الحياة ام عجز ليس لها سواي ... كتبت لي انها لا تفاد النافذة التي تطل على طريق المدينة ، وهي تنتظر ان ترى خيالي قادما عليها ...

ادغار - ( ضاحكا ) انها ستنتظر طويلا قبل ان تعود اليها ( ضحك قاصف )

فيكتور - الاجدربك ان تنتظرها هنا ... ( ضحك )

ادولف - ومعها حلوى العيد ...  
اندري - لنشرب نخب هذه المعجوز بعد ان فليت الصبايا ومات الشباب ( يشربون )

ريني - ولكنها امي ... ليست لكم امهات ... ؟

ادولف - اما انا فشجرة يابسة بدون جذور ... تنتظر يد الحطاب !

جوان - لقد مات اهلي كلهم بقذيفة واحدة .. كانت لهم ارض ، واليوم صاروا للارض .. كانوا يهيمون بالنزول الى الملجأ ... فادركتهم القذيفة عند الباب ... لماذا لم اكن معهم ؟ وحين رجعت الى البيت لم اجد الا الرماد . الرماد الذي روى لي قصة موتهم ... ولكنهم ماتوا بلا ألم ... لا تزال ذراع امي تحييط بالصغار ، كانها تريد ان تدفع عنهم ... رجعت وحدي امشي في الشوارع المغفرة بدون دموع ... ولا ازال امشي بدون دموع .. ولكن الى متى ؟ والى اين ؟ ...

ادغار - هذه مأساتنا جميعا !  
جوان - عزاء لك ايها الرفيق ! انك اكثرنا المأسا !

فيكتور - يالكم من انانيين ! تتحدثون عن الامم كافراد . حين يفرق الوطن كله في الدمار والدموع يجب ان ينسى كل واحد دموعه ... النكبة نكبة الوطن كله .... ما قيمة هذه الالام الفردية ؟ ما قيمة موت شجرة اذا عاشت الغابة ؟ ما قيمة موت ام اذا سلمت الامهات ؟ انني لا اعترف بوجودي . ولا ارى نفسي ... من العار ان نتحدث هنا عن فجائنا والوطن كله في حداد .. ماذا انتظر هنا وحدي ؟ اريد ان اموت كما يموت رفاقنا في المعركة .... هيا .. تحركوا من هذا لتتشبث البليد بالحياة ...

ريني - اعطوه بندقية ؟!

جوان - ان شيطان الحرب يشعل دمه ..  
ادولف - لعله ياتينا بالنصر سريعا !

ادغار - ولكن اندري لماذا يتقاتلون ؟ كم نحارب ؟ ولمن نحارب ؟ ان الذين احارب من اجلهم قد ماتوا ...

اندري - قد مات ابي في الحرب الاولى ، وها انا احارب في الحرب الثانية ، وسيحارب ولدي اذا عاش في الحرب الثالثة ... فلماذا نموت ؟

فيكتور - لنشرب نخب الحرب الثالثة ! انهم يكرهونا على الحرب . فلماذا لا نحارب ؟  
جوان - ماذا تفعل خطيبي الان؟ هذه صورتها نعت وسادتي .. ايعلمني القدر اليها حيا؟ اتراني كما عرفنتي ؟ ولو عدت اليها مشوها ؟؟

ادغار - اوافق بان تراها سليمة من القذائف؟  
جوان - اخر كلماتها انها تنتظرني على الشرفة التي كانت عليها تلوح لي بمنديلها ..  
ادغار - كلهم ينتظر !!! زوجتي تخبرني عن صغري ! انه لم يفهم شيئا حين رأني اقبله ، والخوذة على راسي .. لكنه مد يده الطويلة لينشف دموعه سخينة سقطت على خده النضير ... لعلهم ينتظرون كما ننتظر ... هل من نهاية لهذا الانتظار في الظلام ؟

اندري - ان هذا الظلام خير من ذلك النور الذي تشقه القذائف . اننا مستريحون من القتال آمنون من الجوع - لا ندرى مما حولنا شيئا ... هل تقدموا ؟ هل تأخروا ؟

فيكتور - انني اشعر بان القتال يدور فوقنا هزات كهزات البراكين ... الى الباب قبل ان تنقطع الطريق علينا .... ( قذيفة ضخمة تنفجر ) - اظن باب القبو تهدم ... وسد علينا الى الابد !

( يتحركون جميعا )

١ - ماذا تقول ؟

٢ - مستحيل

٣ - اهذه النهاية ؟

٤ - اغمضوا عيونكم من الفبا ؟

٥ - لنزحف على بطوننا الى الفضاء !

فيكتور - ماذا يفيد ذلك ؟ لقد قضى الامر ! كم جندي مات هذه الميته في الحرب الاولى ! ولم يروا منهم الا خوذاتهم متشبثة بجماجمهم .

جوان - لم يعد هنالك باب، ولا منفذ الى النور ..!

ادغار - اضربوا بمعاولكم قبل ان تختنقوا !

اندرى - لم نعد نعرف بابا ولا منفذا !

ريني - انموت موتا بطيئا حقيرا ؟

ادولف - لماذا آثروا لنا هذه الميتة ؟

فيكتور - صبرا يا رفاق ! انه هو الموت عينه ... لدينا الطعام والماء والهواء ...

ادغار - ان هي الا ايام معدودة . ثم تنطفئ العيون !

جوان - اينتظر احدينا موت رفيقه ؟

ياله من موت مرعب ! جماجم تحمق في جماجم !

اندرى - لننتشب بالحياة ! انهم لا بد ان يتفقدوا الطعام في قبونا ، فيأتوا لاستنقاذنا .

فيكتور - ولكن الارض لن تبقى لجنودنا اذا انسحبوا ...

جوان - اضمثوا السمعة ، فالنور يبعث فينا الحياة والامل !

اندرى - الكل ينشد النور ... ولكن اين النور ؟

(( ريني - ادولف ))

( بعد عام واحد )

ريني - اري النوم لا ياتينا .

ادولف - ولكن رفاقنا نائمون . في اي يوم نحن ؟ بل في اي ليل ؟

ريني - لقد ضاعت الايام من تاريخنا واستوى السواد والبياض ... اي زمان يحيا في هذا المكان ؟

ادولف - هذا هو القبر الذي حفرناه بايدينا .

ريني - اتظن انهم ياتون بعد الان لانقاذنا ؟

ادولف - وهل تثق بان الذين يعرفون مكاننا لا يزالون احياء ؟ لقد ضعننا كما ضاع الالوف منا .

ريني - انني اسمع طرقات في هذه الجهة؟

ادولف - ولكن لا شيء - انه الوهم . انها طرقات قلبك المتشبث بالحياة ..

ريني - اي تشبث مني بهذه الحياة ؟ لم يعد همي الحياة .... الحياة عندي ان اموت عاجلا .

ادولف - لم تعد حياتنا ملك ايدينا ...

انهم يديرون منا ان نجود بها هنا او هناك .

ريني - ليس ورائي الا ام عجوز ...

ادولف - ربما لم تعد على قيد الحياة .. ريني - وانت ؟

ادولف - انا ؟ انسيت الشجرة اليابسة ؟

ريني - اذا نستطيع ان نموت بارادتنا .

ادولف - وهل ترى غير الموت جديرا بنا ؟

ريني - ان عندي فكرة للانتحار ...

ادولف - لعلها نفس الفكرة في نفسي

ريني - نترك رفاقنا غارقين في نومهم ... ونليس ثيابنا كأننا في الميدان ... ثم رصاصة منك ورصاصة مني ... ثم العدم ...

ادولف - يادر الى تنفيذ الفكرة قبل ان يصدنا عنها الخوف ...!

ريني - هل انت مستعد ؟

ادولف - انني ابارز الموت نفسه ...

ريني - لن يستيقظوا الا على طلقنا ...

ادولف - هل لك من وصية تكتبها ؟

ريني - لن يقرأ احد وصيتي ...

ادولف - تقدم الى اقصى الكهف ! سيكون هنالك صوت الرصاص ابح .. ربما يبقى الرفاق نائمين .

ريني - لن ينهش لحمنا انسان ولا حيوان .

ادولف - سيعلم الموت اننا اقوى من الموت .

ريني - انا الذي اعد حتى الثلاثة ... اياك ان تطيش يدك عن الهدف ...

ادولف - كلانا قاتل مقتول .

ريني - ٢٢ ، ١ ... (طلقان ناريان)

(بهان من النوم)

اندرى - المعركة هنا ! الى السلاح !

جوان - من هنا ؟

فيكتور - النار من رفاقنا ...

ادغار - هذا ريني ... وذاك ادولف ...

اندرى - قد انتهيا .. اسفاه ! لم يستطع احدهما ان يقول كلمة ...

جوان - يا لها من نهاية حقيرة !

فيكتور - لكنها نفس النهاية التي تنتظرنا .

ادغار - ولكن لن اقتل نفسي .. ! افضل ان اموت على مهل .. وانا انظر الى الموت .

فيكتور - الموت ات ، فلماذا استعجله ؟

اندرى - اصبحنا لا الى الحياة ولا الى الموت ؟

جوان - نحن هنا فوق الحياة والموت ...

قد اغلق علينا الى الابد ... لم تعد الحرب تهمننا ، ولا يهمننا من يكسبها .

فيكتور - لو تمثلت البشرية هذا المصير لما كلفت نفسها الحرب .

اندرى - ولكن ! من هم الذين يحاربون ...

جوان - لوفكرت البشرية بهذا السؤال لما كانت هنالك مجزرة ...

ادغار - دائما ، يفصل الجزارون ايديهم الملوثة بالدم .. والقطعان ترقص تحت ايديهم بجلودها الارجوانية ..

فيكتور - كان الارض لا يطربها الا لون الدم ...

جوان - ولكننا سنموت دون ان نسكب دمنا على الارض ..

ادغار - كازهار تختنق في الظلام بدون لون ولا غير !

اندرى - كم يضحك هذا الكهف من ماساتنا!!

فيكتور - ان ظلامه ينظر الينا ولا يدري اي معنى لبقائنا هنا !

جوان - اليس المصير ان يهيء لنا القدر هذه الحياة الشحيحة التي تتسرب اليها من الارض ؟

ادغار - لعله يريد ان يطيل من اجلنا حتى نرى موتنا بعيوننا ..

اندرى - بل لعله لا يدري شيئا عنا ... نحن في عالم مستقل لا يتصل به شيء ...

فيكتور - لماذا لم نتعرد على قدرنا ؟

ادغار - ياله من فلسفة على جثتين !!

جوان - الارض كلها تتفلسف على الجثث منذ كانت ، ومع ذلك لم تصل الى شيء ..

اندرى - واروا الجثتين في هذه الحفرة بدون اسم !

فيكتور - دائما اموات بدون اسماء ؟

(( بعد عامين في الكهف ))

اندرى - انفض يدك من التراب

فيكتور - الى متى نصارع اذا كانت هذه هي النهاية ؟

اندرى - ينبغي ان ننتظر ..!

فيكتور - قد انتظرا مثلنا .. وهذه هي نهايتهما !

اندرى - على انهما لم يموتا بجبن ! ماتا وحيونهما مفتوحة للموت

فيكتور - لعلك تذكر الرجال الذين انطوى عليهم الكهف وناموا ثم قاموا ..

اندرى - اتظن ان في اجسادنا تلك القوة الخفية التي تهمد ثم تستيقظ ؟

فيكتور - اتظن ان الرجال الذين استيقظوا هم نفس الرجال الذين ناموا؟ اي شيء يستطيع الثبات في دوامة الزمن ؟

التي دخلناه بها



فيكتور - ماذا تقول ؟ انني اخاف عليك الجنون .

اندرى - هل عدت تشعر بنفس الحماسة التي كانت تلهب في صدرك لوطنك ؟

فيكتور - ولكن عبثا ، تتأجج هذه الحماسة في صدري ...

اندرى - نريد النور باي ثمن ..

فيكتور - ولكن ، لم اعد انظر شيئا الا غبش الموت . ماذا ينفعني النور ؟

اندرى - اتريد ان ابقى وحدي ؟ ان فسي انتظار الموت على مهل وشجاعة كالشجاعة التي تقابلها بها

فيكتور - هب اننا سلمنا من الكهف !

اندرى - انموت قبل ان نعرف المصير ؟

فيكتور - اي مصير جديد ؟ ابدان متفسخة ، وجماجم تهم بان تضحك من النهاية .

اندرى - انني لن اموت بارادتي ! اذا اردت الموت فاختر تلك الناحية ، وتمدد فيها !

فيكتور - ان رجلي لم تمد تحتل جسدي !

ستبقى عيني مفتوحة على هذا الظلام الى الابد .

( يسمعان طرقات على باب الكهف )

اندرى - ماذا اسمع ؟

فيكتور - طرقات متواصلة !

اندرى - ويحك ! اجادت المعجزة ؟

فيكتور - اريد ان يدخل النور علينا مرة ثانية ؟

اندرى - اضعف معي صوب الصوت !

فيكتور - اضيء الشمعة !

اندرى - ذابت اخر شمعة منذ ساعة ...

فيكتور - ناد باعلى صوتك !

اندرى - لم يعد لي صوت يسمع !

فيكتور - اسرج عينيك كما يفعل الهر !

اندرى - سواد الكهف قد انطبع عليهما ...

( تزداد الطرقات )

فيكتور - نحن هنا ... اسرعوا !

اندرى - يابى الكهف ان يردد الصدى ..

فيكتور - دع النور وحده يدخل الينا !

( تنقطع طرقات )

اندرى - عاد الصمت !

فيكتور - لماذا لم يسمع رفاقنا هذه الطرقات

اندرى - النور ! النور ! ( يركضان الى النور )

فيكتور - هذا باب الكهف ! النور مرة ثانية

فيكتور - احياء ... احياء ولكن لن اطيع الحياة ....

اندرى - اين الباب ؟ انني لا ابصر شيئا !

اندرى - ليتنا متنا في الكهف !

فيكتور - رايتهم ... انهم ليسوا بجنودنا !

اين بندقيتي ؟

فيكتور - ابقينا احياء لنرى الهزيمة ؟ انني اشعر بالدم يجمد في عروقي ! لقد قتلني النور .. !!

( يسقط ميتا )

اندرى - خذوا بيدي !! ( يقع مفضيا عليه )

( ويحمل الى المستشفى )

اندرى - اين انا ؟ عصاب على عيني .. !

ماذا اريد ان ارى بهما ؟ هل انتهت الحرب ؟

هل مات فيكتور ؟

المرضة - اية حرب هذه ؟ انهم يتحدثون عن حرب ثالثة .. ؟

اندرى - حرب ثالثة ... ؟ وماذا ادت الحرب الاولى والثانية ؟

المرضة - اه لو كنت ترى لرأيت المدن المهشمة .. والاشلاء الممزقة .. ومع ذلك لم تصل الارض الى السلام ...

اندرى - انعود الى القتال مرة ثانية ؟

المرضة - بقذائف ذرية تدمر الممالك بدون رحمة ... كما فعلوا في اليابان ؟

اندرى - افررت من الموت الى موت اخر ؟

لماذا اختارني القدر من دون رفاقي لهذا المصير ؟

المرضة - هل لك اهل ؟

اندرى - كان لي زوجتي وولدي ( ضاحكا بجنون ) ذهبا ضحية غارة جوية ! لقد ماتا دون ان يتزكيا قبرا !

المرضة - انما ماتوا كما مات اهلي ، ... كما مات غيرهم من الناس .

اندرى - لعلي مسرور لانهم اذا لم يموتوا في هذه الحرب فسيموتون حتما في الحرب الالية ... فلماذا نتمنى ان يعيشوا ؟

المرضة - انذكركم اقمتم في الكهف ؟

اندرى - دخلناه عام ١٩٤٢ - واليوم لا ادري

المرضة - نحن الان في عام ١٩٤٧

اندرى - خمس سنين ... !

المرضة - ان حياتنا معجزة خارقة .. !

اندرى - في كل مرة تكون الحياة معجزة !

ولكن لن يكون هذا العالم عالما بعد اليوم .

المرضة - ستجدد عمرك ونفسك !

اندرى - ان رطوبة الكهف كامنة في نفسي .

قد انتهت حياتي في الكهف مع حياة رفاقي ..

رفيقي فيكتور لن يستطع ان يحتمل النور ..

المرضة - ولكن انت ستبصر النور ...

اندرى - لا اريد ان ابصر ، ماذا تريدون

ان ارى ؟ العالم الملوث بالموت والفتاء ؟ لا .. لا ردوني الى الكهف ! ... كانني الان فسي الكهف .. رفاقي حولي ! انهم لا يزالون احياء .

يرقصون رقصة الموت ... هل تسمعون هزة الارض فوقنا ... ؟ لقد سدوا علينا باب الكهف .. لن نخرج منه احياء .. انموت دون ان نعرف نهاية الحرب ؟

المرضة - ولكنها انتهت .. !

اندرى - لن تنتهي ابدا ... انها قصة الكهف نفسه ... كلما خرج واحد الى النور ماد باخرين معه الى الكهف ليقيموا فيه احياء .. كنا نتساءل لماذا نموت ؟ والان نتساءل لماذا نعيش ؟

المرضة - لا تكن جباناً ! لا تمد الى الكهف ! ليس هناك الا غفن العدم . الحياة تدعوك الى النور .. تدعوك الى ان تتساءل لماذا لا نعيش ؟

اندرى - حقا ، لماذا لا نعيش ؟ ولكن ... لمن اعيش ؟ لم يبق لي جذور في الحياة ...

المرضة - كلانا بلا جذور ... ومع ذلك اريد الحياة ... اريد الحياة لاهدم هذا الكهف .. لاقصف هذه البنادق ، لاسقي ازهار السلام .

اندرى - صوت جديد لم اسمعه بـين الاصوات ...

المرضة - طالما تساءلنا هنا : لماذا نرسلهم الى الحرب ؟ ارسلناهم فلم يعودوا . والذين عادوا عادوا مشوهين يسخر منهم الموت لانهم فروا من قبضته . والذين عادوا اصماء يعيشون محطمين بلا امل .

اندرى - وانت ، مالك هنا ؟

المرضة - انتظر كما ينتظر غيري ..

اندرى - ان الذين ينتظرون هم سعداء لانهم لم يفقدوا الامل

المرضة - وانت ؟

اندرى - بماذا تعلم الجنود اليابسة ؟

المرضة - الم يبق عندك انسان يحبك ؟

اندرى - قيل لي : ان جميع اهلي ماتوا ..

المرضة - هل تذكر من اهلك احدا ؟

اندرى - زوجتي وولدي الصغير !

المرضة - وانا فقدت زوجي في الجبهة ، وطفلي في غارة جوية !

اندرى - اذا انت وحدك الان ...

المرضة - كما ترى ...

اندرى - ما اكثر الذين يعيشون وحدهم بعد الحرب ، ولكن لماذا يعيشون ؟ هل فرض

علينا هذا المصير ؟

المرضة - اننا ، نحن فرصناه على انفسنا !!  
اندي - ولكن ... كيف ننجو منه ؟  
المرضة - بارادتنا نحن ... برغبتنا في  
السلام ... لوقلتم ( لن نحارب ) ! ماذا  
يصنعون بكم ؟

اندي - اذهبنا الى الحرب طوع ارادتنا ؟  
المرضة - ليفكروا في الحرب ما شاءوا ..  
لكن اولادنا لن يذهبوا بعد اليوم الى الحرب .  
اندي - يا للقبطة ! اي جيل يفعل هذا ؟  
المرضة - جيلنا هذا ... الذي لم يعد  
يرضى بان يدخل الى الكهف ... بعد ان  
راى الشمس .

اندي - اظن اننا فهمنا الحياة .. !  
المرضة - في كل مكان يتحدثون عن  
الحياة ... في بلاد الفالين والمفلوين ...  
اندي - ان صوتك يعيد الى نفسي الثقة .  
المرضة - ان مراك يجدد في نفسي الثقة  
في الحياة ...

اندي - ولكن تذكر انك وحدك تريد  
ذلك ؟

المرضة - لست وحدي ... ولسنا وحدنا  
... اصوات في العالم تدعو الى السلام ...

اندي - انه السلام المغمور بالدموع والدماء  
المرضة - ستبلغ الارض هذه الدموع  
والدماء ... وتهتز من جديد للحياة ...  
اندي - ولكن سليني الى اين اخرج ؟ هل  
تخضر جنوري اليابسة مرة ثانية ؟

المرضة - انك لا تزال شابا له احلامه ..  
اندي - شاب مثقل بالدخان والموت ...  
ليس له بيت

المرضة - ينبغي ان تعيش ... وان ترفع  
بيتك الجديد على الانقاض .... ينبغي ان  
تتحارب من جديد من اجل السلم .... لان  
الذين ذاقوا فواجع الحرب هم الذين يقررون  
السلم ... ليست الهزيمة في الحرب هزيمة .  
واتما هزيمتك اليوم من جيش السلم هي  
الهزيمة ..

اندي - تكلمي ! زيديني من هذا الصوت  
الرحيم الذي يشفيني !!! ما اسمك ؟  
المرضة - سوزان ...

اندي - سوزان .. كان اسمها سوزان ..  
واسم زوجك المفقود ؟  
المرضة - اندي ...

اندي - واسم ولدك ؟  
سوزان - من انت ؟ الا تزال حيا ؟

اندي - قالوا انها ماتت ...  
سوزان - وقالوا انه مات في الجبهة ...  
اندي - ياله من لقاء للاموات !  
سوزان - بل للاحياء ، ليست الحياة  
معجزة .. !

اندي - لقد دفعنا الثمن ...  
سوزان - كل ام دفعت الثمن .

اندي - لم تعد جنوري يابسة ...  
سوزان - سننشئ حياة جديدة ...  
سيعيش اولادنا معنا في ظلال السلم ..  
اندي - اغلقي باب الكهف الى الابد  
سوزان - لن يكون هناك كهف ولا ظلام !  
اندي - لن نترك الشمس بعد اليوم .. !  
سوزان - لا يؤمني الا انه مات بدون قبر !  
اندي - ان الازهار الميتة ليس لها قبور ..  
ومع ذلك تملأ الاجواء طيبا ..

سوزان - هذه الازهار المنسية هي التي  
جعلتني اتشبث بالحياة حتى اليوم ... لماذا  
تموت هذه الازهار ؟ لماذا يفرض عليها الموت ؟  
اندي - سنعيش لنحميها !

سوزان - يا اطفال العالم الاحياء تذكروا  
الاطفال الاموات !

خليل الهنداوي حلب

## دار الآداب تقدم

# حشاوشر شرف !

مجموعة قصص رائعة

للقصاص العربي المعروف

الدكتور يوسف ادريس

صدر حديثا

# الحندسة لعنيت

رواية

بقلم الدكتور سهيل ادريس

قصة اسرة تسجل صراع جيلين في لبنان

صدر حديثا

# الى نجم الغروب

## القصة الثالثة

صديقتي يا نجمة الغروب :

في غور قلبي يا صديقتي ينبوع  
تعلأه الدموع

ينشع فيه الحزن .. والاشجان  
تنساب في سكون

تنساب من مسارب

في النفس لا تبين

وتخرق الجدار في تهافت حزين

لكنه ملح يا صديقتي

دؤوب

يدوب في الجدار دأبا

يدوب

ويعتلي ينبوع بالاشجان ، بالدموع

تفيض حوله فتفعم الفؤاد

لكنه صديقتي قد احكم الرجاج

رتاج قلبي ...

احكم الرجاج !

★

حملت ينبوعي وسرت في المساء .

للشاطيء الغربي يا صديقتي ..

ابنه العناء

وقلت عله على ضفاف النيل

يفك قلبي

حزني- الاسر

ويفتح الرجاج

لدمعي الحبيس

★

وعندما بلغت شطه الحنون

وضعت احمالي على ذرا السكون

وقلت : « يا صديقتي

اليك قد اتيت

وحزني- المسكين في قلبي حملت

عسى شعاع منك يهتدي اليه

يفص سره الكتوم .. لا يبقى عليه

فتذهب الدموع في النهر العظيم

طليقة طليقة من أسرها الليم ،

لكنني لما رفعت ناظري

الى السماء اجتلى ضياك

وجدت استارا عليك من غمام

كثيفة كثيفة كأنها القتام

فقلت يا رب : اليك التجي

اليك احمالي وضعفي- الحزين

من ذا يفك الاسر عن مدامعي

سواك يا رحمن

انت يا رحيم

ومن سواك كفه الحنون رحمة

ونوره الرفيق بلسم الجروح

ومن سواك يسمع النداء اذ ابوح

لا ستر بيننا ، لا باب ، لا صروح

... ..

فجاء من خلفي ، وقال لي اهدئي

اني قريب اذ دعوتني قريب

في كفي- السلام والامان والرضى

سكينة الارواح ، هداة القلوب

★

سمعته .. سمعته

احسست كفه الحنون

مواجعي تذوب في حنانه الرحيب

انفاسه حولى غمام الطيوب

تهدهد الاشجان تمسح الندوب

وظله الرطيب جنة النعيم

وبره الودود موئل الهضيم

... ..

وفتَح القلب .. وذابت ادمعي

دفاقة دفاقة علوية العبير

تجتاح احزاني وتبذر الرضى

وتفسل الفؤاد من غوائل الشجون

... ..

وعندما تلفت عيني لافك البعيد

وجدت نورك الرطيب كالندى

الى جوارى .. خلف عطفي .. هامس

بلحنه الودود ناعم السني

فقات ما احلى الحنان يا صديقتي

ما اجمل السلام باعث الرضى !

ملك عبد العزيز

القاهرة

# مدينة بلا قلب .. " بين السحر والحياة ! "

بقلم رجاء النقاش

الذاتية ... ولكن هذا هو الذي حدث تماما ... لقد كانت نقطة انطلاق احمد حجازي في فنه وحياته هي الثورة على مرحلة « العام السادس عشر » في حياة مجتمعه ... ولنسارع الى القول بأن ثورة حجازي ليست ثورة ازدياء وانكار ، انما هي ثورة الرغبة العادة في النمو والتطور ... هي ثورة تتجاوز وتمتد دون ان تقتل الجنود والاصول ... انها ثورة البذور التي تريد ان تشق التراب لتلتقي في رحابة الفضاء بنور الشمس وحنان النهار .

فما هي مرحلة « العام السادس عشر » ... تلك التي نتحدث عنها ؟

في استطاعتنا ان نتذكر فترة في حياتنا العربية كان شاعرها الأكبر ونموذجها المثالي هو احمد شوقي ... وكان شوقي اميرا في الشعر وشبه امير في الحياة ... ولقد كان هذا الامير شاعرا عظيما بحق ... ولكن من الناحية الموضوعية ماذا كان ؟ ... انه كان يعبر عن الحياة العامة ، ولم يكن يعبر عن الحياة الخاصة ... كان يرى الحياة الرسمية الظاهرة ، ولم يكن يرى الحياة الداخلية المخفية في نفوس الافراد .. ولذلك فقد كان شعره تسجيلا وتعبيرا عن الاحداث الكبرى في حياة المجتمع ... اذا وقع حادث سياسي مثل مأساة دنشواي ، او حادث اجتماعي مثل خروج المرأة الى الحياة العامة لأول مرة او حادث اقتصادي مثل انشاء بنك مصر .. اذا وقع حادث من هذه الاحداث ، فشعره يسجله ويعبر عنه ويجعل منه نفما رصينا باقيا .. ولكن لم يكن هذا هو كل شيء في حياة الناس ، وعلى الاخص في حياة الجيل الجديد الذي ظهر على مسرح الحياة في مصر بعد الحرب العالمية الاولى .. فهذا الجيل يعاني اشياء لا يعانيها شوقي ، ويعيش حياة مختلفة عنه تمام الاختلاف .. انه يشارك مثل شوقي في الحياة العامة ، ولكنه لا يستطيع ان يكتفي بهذه المشاركة او يقتصر عليها .. ذلك لان هذا الجيل الجديد لم يولد وفي فمه معلقة من اي معدن .. بل كان عليه ان يبحث عن معلقته بنفسه ، ويكد ، ويكافح ، ويعاني الارهاق والتعب في سبيل الحصول على احتياجات حياته المادية والمعنوية على السواء ... لم يكن يعيش في قصر كما كان يعيش شوقي ، ولم يكن يتصل بمجتمع مفتوح محلل المشاكل مثل مجتمع شوقي ، وفي مثل هذا المجتمع المفتوح تكون مشكلة المرأة على سبيل المثال - مشكلة غير موجودة ، فشوقي يتصل بفتيات مثقفات متحررات من بنات طبقته ، وهي الطبقة العليا في المجتمع آنذاك ، وهنا لا شعور بالحرمان الذي كان يشعر به الجيل الجديد الوافد الى القاهرة من المدن الصغرى ، او الذي كان يعيش في البيئات الشعبية في العاصمة ... فالمرأة ، بالنسبة لهذا الجيل مشكلة ، والعمل مشكلة ، والحياة اجمالا مجموعة من الاشكالات « الخاصة » التي تحتاج الى حل .. وقد تكون هذه الاشكالات

القصيدة الاولى التي تطالع القاريء في هذا الديوان (١) هي قصيدة « العام السادس عشر » ... ولست ادري هل هي مصادفة ام انه شيء مقصود ان تكون هذه القصيدة بالذات هي اول قصيدة في الديوان .. فالقصيدة تقول لك بوضوح : ان صاحب هذا الديوان شاعر ناثر .. وهي لا تكتفي بهذا القول بل انها تزيد على ذلك شيئا هاما : اذ تدل على اي نوع من الثورة يعيش في وجدان هذا الشاعر ، ويعبر عنه ديوان « مدينة بلا قلب ».

فمنذ القراءة الاولى لقصيدة « العام السادس عشر » نعرف ان الشاعر يصور مرحلة نفسية في تاريخه الذاتي ، تلك هي مرحلة « المراهقة » .. ثم يدعو الى الحذر منها وتجاوزها ، لان في العمر مراحل اخرى تتبع هذه المرحلة وتختلف عما فيها من سلطان للوهم والخيال وعشق للصمت والموت والتحرر المطلق ، وفي اللحظة التي تحس فيها ان الشاعر يدعو الى تجاوز مرحلة « المراهقة » او المرحلة التي اختار لها اسم « العام السادس عشر » .. تحس ايضا ان هناك دلالة عامة لهذا التجاوز ... لهذا الانطلاق الى عالم « ما بعد العام السادس عشر » ... بل « ما بعد العام التاسع عشر » ... وهذه الدلالة العامة هي التي تعطينا نقطة انطلاق الشاعر ، وتحدد لنا الدنيا التي نار عليها ، والدنيا الجديدة التي ينتقل الى الاستقرار بين جناحيها .

ان مرحلة « العام السادس عشر » لم تكن مرحلة في عمر الشاعر وحسب ... بل كانت ايضا مرحلة في عمر حياتنا العربية ... عندما اراد الشاعر ان يتجاوز مرحلته الذاتية ، كان في نفس الوقت يريد ان يتجاوز نفس المرحلة في حياة المجتمع الذي يعيش فيه ... ربما لم يكن يهدف الى ذلك او يعيه وعيا اراديا مقصودا ... ولكنه كان يحس به ، ويعبر عنه في تلقائية واضحة ... فاحمد حجازي ليس من هؤلاء الشعراء الذين « يقصدون » اولا ثم يكتبون الشعر بعد ذلك تحقيقا لمقصد محدود ... بل هو شاعر يصدق في احساسه صدقا عميقا لا سذاجة فيه ... صدقا خاليا من التقليد في الشعر او في تجربة الحياة على السواء ... ولندكر في هذا الميدان ما قاله نبي الفكر اليوناني القديم سقراط عندما اجتمع بالشعراء ، ثم « لقد سألت كلا منهم عما عناه بشعره ، فلم يكن فيهم من استطاع الاجابة على سؤالي هذا ، ولقد جئني واياهم مجلس ضم كثيرا من المعجبين بهم وباشعارهم ، فلم يكن بين الحضور رجل الا وهو اقدر على التحدث عن تلك الاشعار من الشعراء انفسهم » ... ان معنى كلام سقراط ، ان اهم اجابة يقدمها الشاعر الموهوب عن « مقصده » من كتابة الشعر هي : الشعر نفسه ... والحق ما قاله سقراط .

ربما لم يقصد الشاعر ان يعبر عن ثورته على مرحلة « العام السادس عشر » في حياة مجتمعه ، كما نار عليها في حياته

(١) يصدر هذا الشعر عن دار الآداب - بيروت

لم أكن أسمع منها صوتها  
 إنما كانت تحييني يداها  
 كان حسبي أن تحييني يداها  
 ثم أمضي أسهر الليل إلى ديوان شعر  
 « يا فؤادي رحم الله الهوى  
 كان صرحا من خيال فهوى  
 اسقني واشرب على أطلاله  
 وارو عني طالما الدمع روى »

فالعلامة الظاهرة الواضحة في الجيل الرومانسي، هي اكتشافهم لشخصية المرأة وجعلها موضوعا من موضوعاتهم الشعرية، على أن المرأة كانت دائما موضوعا من موضوعات الأدب عامة والشعر على وجه الخصوص، ولكن المرأة في الأدب الرومانسي هي محور رئيسي جوهر في فيه، فالمرأة في الألوان الأخرى من الأدب موضوع إلى جانب الموضوعات الأخرى، وليست أهم الموضوعات ولا أقربها إلى الأهمية، كما أن المرأة يمكن أن تصبح في ألوان الأدب الأخرى غير الأدب الرومانسي وسيلة إلى شيء آخر، قد تكون وسيلة لشرح فكرة الفضيلة والدعوة إليها، وقد تكون وسيلة للبحث عن اللذة الحسية، ولكن في الأدب الرومانسي تكون المرأة لذاتها هي الهدف الأسمى، بل أن النظر إلى الحياة إنما يكون من خلال أفراح الفنان وأحزانه في تجربة المرأة، فروح الجمال تشع في الدنيا وفي الطبيعة إذا ما كان هناك أمل في نجاح التجربة مع المرأة، أو مجرد وهم في هذا الأمل، وتحل محل هذه الروح الفرحة روح أخرى مشبعة بالحزن إذا ما تعرضت تجربة الحب لعائق من العوائق، وفي ميدان التجربة الرومانسية عموما تتعرض التجربة دائما لعقبة من العقبات، بل أن الرومانسية لا تظهر إلا إذا كانت هناك عقبات كبيرة في داخل المجتمع، فقد ظهرت الرومانسية في القرن التاسع عشر في أوروبا، وبالتحديد منذ أواخر القرن الثامن عشر، وكان ظهورها تعبيرا عن مقاومة الضغط الذي يلقاه الفرد في تجاربه النفسية وعلى رأسها تجربة الحب، ومن أمثال هذه العقبات عقبة الاختلاف الطبقي، فقد يحب إنسان من الطبقة الفقيرة فتاقيفة، فيتشدد هذا الحب بالطبع. وهناك عقبة التقاليد الاجتماعية فقد يحب إنسان له أسرته ومكانته في المجتمع بغيا يرى فيها المجتمع إنسانة غير شريفة، إنسانة خارجة عليه لا يجوز لصاحب الوضع المستقر أن يرتبط بها أي ارتباط، وعقبة أخرى مثل نظرة المجتمع القديم إلى الحب باعتباره « عيبا » أو أمرا مشينا .. كل هذه العقبات كانت تفرض القيود الرهيبة العنيفة على الفرد ومن هنا ظهرت النزعة الرومانسية لتعطيم هذه القيود وتجاوزها، وظهرت هذه النزعة في الأدب، وكان الجو العام الذي تصوره هذه النزعة هو الحب الفاضل، والحب العاجز الذي لا يستطيع تحقيق أمانيه في ميدان الواقع، وما يرتبط بهذا كله من أحزان واللوان قاتمة، وما يدمو إليه من وحدة وانفراد والتماس للمزاء في الطبيعة أو في الظلام أو في مزيد من التخيل والوهم، وفي المقطع الذي ذكرناه من قصيدة « العام السادس عشر » يصور أحمد حجازي نوع الحب الذي يعيشه ابن العام السادس عشر، وهو نفسه نوع الحب الذي يعيشه الرومانسيون عموما ... فهو يحب فتاة ... « لا يراها » و « لم يكن يسمع منها صوتها » .. وفي ذلك دلالة على نفسية « ابن العام السادس عشر » ودلالة على « النزعة الرومانسية » التي تمنى أن ظروف الحياة تحمل من العقبات ما يحول بين الإنسان وبين تحويل حبه إلى حقيقة عملية، وقد كان العصر الرومانسي عندنا هو هذا العصر البسيط هو العصر الذي يضع العقبات والعوائق في طريق العاطفة، فالمرأة لم تكن تخرج إلى الحياة العامة، وإذا خرجت فهو الخروج المتردد الخائف،

« الخاصة » هي في حقيقتها اشكالات مشتركة بين عدد كبير هم أبناء الجيل المولود على فراش السلام الجريح بعد الحرب العالمية الأولى .. ولكن « الاشتراك » في هذه المشكلات لا ينفي أنها تعتري كل فرد على حدة، وتدعوه إلى معركة معها ... معركة لا يفنيه اشتراك الآخرين فيها عن احساسه بالوحدة والانفراد .

وشوقي لم يكن يعبر عن شيء من هذا .. لم يكن شوقي يعرف المشكلة الخاصة التي تجعل منه وحيدا منفردا، بل كانت حياته الخاصة دائما منسجمة متناسقة، لا تعترضها مشاكل ولا احتياجات ناقصة .. أما الذي كان يشغل ذهنه فهو المشكلات العامة، شأن « عليه القوم » آنذاك من الوزراء والحاكمين .. وأن اختلفت طريقته في التعبير عن تلك المشكلات فاختار الشعر وسيلة له وطريقة .

وعندما وجد الجيل الجديد طريقة إلى التعبير عن نفسه وقع على الفور في معركة مع شوقي ومدرسته، وتحدد مطلب الجيل الجديد في الشعر بالتعبير عن « الذات »، وتخليص الشعر من تلك الحالة التي تلوب فيها « شخصية » الشاعر إلى عمل فني يبرز هذه « الشخصية » ويعبر عن مشاعرها، وما يدور في وجدانها من خطرات وأحاسيس، وفي سبيل ذلك لا بد من التخلي عن جعل الشعر أداة للتعبير عن المشكلات العامة، ما لم تدخل هذه المشكلة في صميم التجربة الذاتية للشاعر . وارتفعت أعلام تشير إلى ميلاد جديد، وانبعثت الفرحة بهذا الميلاد، واخذ موكب شوقي يتوارى بعيدا عن الأفق، وعلى مسرح الحياة أخذت الجماعة الجديدة تحتل مكان الغائبين من سماننا في نهاية الربع الأول من القرن العشرين على التقريب .. وكان أعلام المدرسة الجديدة هم عبد الرحمن شكري والعقاد والمازني، وتلقف الدعوة جناح آخر مثله الفنان العربي اللبناني ميخائيل نعيمة أحد رواد الشعر المهجري، وقد لخص أحد أبناء الجماعة الجديدة وجهة نظر الجماعة في الفن عندما قال :

إلى يا طائر الفردوس س أن الشعر وجدان

وصاحب هذا البيت هو عبد الرحمن شكري، وقد جعل منه : مارا للجزء الأول من ديوانه، الذي أسماه « ضوء الفجر » .

منذ هذه اللحظة بدأت في حياتنا مرحلة « العام السادس عشر » ... وإذا استخدمنا الاصطلاح النقدي فإننا نستطيع أن نسميها بالمرحلة « الرومانسية »، وقد استمرت هذه المرحلة في حياتنا إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية بفترة غير قصيرة، وقد كان الجيل الأول من أجيال هذه المدرسة هو الذي دعم الأسس النظرية لمرحلة « العام السادس عشر » وجاء بعد ذلك جيل ثان هو الذي استطاع أن يخلق الفن الذي يمثل هذه المرحلة خير تمثيل فعلى محمود طه والياس أبو شبكة وإبراهيم ناجي وأبوس القاسم الشابي ومدرسة المهجر ... كل هؤلاء هم الشعراء الذين مثّلوا مرحلة العام « السادس عشر » في أحسن صورها الفنية ... ولتجاوز ان نستخلص شخصية هذه المرحلة من واقع قصيدة أحمد حجازي نفسها :

عامي السادس عشر

يوم فتحت على المرأة عيني

يومها ... وأصفر لوني

يومها ... درت بدوامة سحر

كان حبي شرفة دكنا أمشي تحتها

لأراها

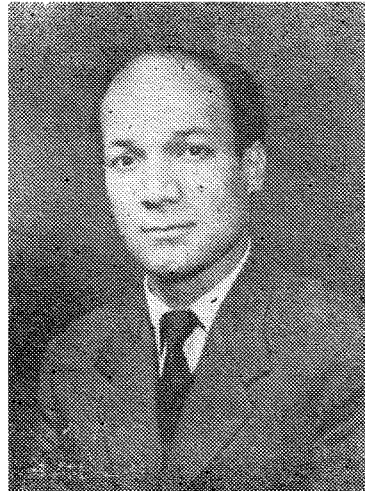


هذه المرحلة ... كانت منابها الرئيسية هي الحب المحروم ، ووحدة الفرد. وعزله عن المجتمع ، والارتقاء في أحضان الطبيعة بحثا عن الأمان وتهنئة للقلق ...

وكانت هذه النزعة واضحة تماما في شعر « علي محمود طه وإبراهيم ناجي والياس أبو شبكة وأبو القاسم الشابي » ، وقد ظلت هذه النزعة مهيمنة عليهم حتى آخر لحظة في حياتهم وفيهم من مات فوق الأربعم مثل علي محمود طه ، ومن مات فوق الخمسين مثل إبراهيم ناجي ... ومع تقدم هؤلاء الشعراء في السن لم تتغير هذه النزعة على الإطلاق ... ذلك لأنها كما قلنا كانت مرحلة في حياة اجتماعية كاملة ، لا مرحلة في حياة الأفراد وحسب .

وقد صور أحمد حجازي هذه المرحلة لا لأنه عاشها في تجاربه الأولى بينما كانت المرحلة نفسها في تجاربها الأخيرة ، وبعد أن صور هذه المرحلة في حياته تصويرا رائعا صادقا ، ينتهي من ذلك وفي نفس القصيدة التي أن هذه المرحلة لا بد أن تبدل وتتغير وتسلم الإنسان إلى مرحلة أخرى هي « العام التاسع عشر » .. وهو العام الذي يتحول فيه الشاعر تحوله الخاص ، وهو أيضا رمز لبداية هذا الشاعر في طريق الحياة ، فقد بلغت الحياة نفسها « عامها التاسع عشر » ، وانتهت المرحلة الرومانسية وبدأت مرحلة جديدة

يقول أحمد حجازي في ختام قصيدته الرائعة:  
اصدقائي  
نحن قد نفقو قليلا  
بينما الساعة في الميدان تمضي  
ثم نصحو ، فإذا الركب يمر  
وإذا نحن نفرنا كثيرا  
وتركنا الأقبية  
وخرجنا نقطع الميدان في كل اتجاه



أحمد عبد المعطي حجازي

اصدقائي

ها هي الساعة تمضي

فإذا كنتم صفارا فاحلّفوا ألا تموتوا

واحلّفوا عامكم السادس عشر !

... والرموز في القصيدة واضحة حتى لتكاد هذه الرموز أن تكون تعبيرا مباشرا لا رمزية فيه ... ف « الساعة » هنا هي الزمن ، هي أيام الحياة ... و « الركب » هو المجتمع الإنساني الذي يعيش فيه الفرد ... و « الأقبية » هي المنعطفات والزوايا التي كان الفرد ينزل فيها عن مجتمعه ودنياه ، ليلتمس لنفسه مجتمعا ذاتيا خاصا عناصره هي الوهم والخيال والصمت والظلام ... وأحيانا تكون الطبيعة هي عنصره الرئيسي يفني بها الإنسان الرومانسي نفسه عن الناس .. وهكذا تملن هذه القصيدة في رموزها البسيطة ، وبنائها الفني الذي لا يخدشه نقص على الإطلاق أن شاعرنا قد تجاوز مرحلة العام السادس عشر ، فترك دنيا « دون كيشوت » وما فيها من أحلام وأوهام ، إلى أرض الواقع بما فيها من صراع ومشكلات مع الحياة والأشياء ... لقد « حلف ألا يموت » وقرر « أن يحترق عامه السادس عشر » ... بل أنه يدعو الذين يعيشون معه ، ويمارسون تجربة الحياة في جيله أن يدخلوا أيضا معركة الوجود الاجتماعي ... وأن يدركوا

أما الحب فهو شيء تنكره تقاليد المجتمع وتآباه ، وقد انتضحت هذه التقاليد واستقرت سطوتها في نفسية الفتاة ، فهي لا تجرؤ على الاستجابة لنداء ذاتها المحتاجة إلى الحب ، أو الاستجابة لنداء الذي يدعوها للمشاركة في التجربة العاطفية ... لذلك فقد أصبح للرومانسية تقاليد هي الأخرى ... فالحب هو « الحب المحروم » .. الحب الذي يعتمد على الخيال والوهم ، لا على الواقع والتجربة ... الحب الذي يتغذى من السهر والقلق والخروج بالشعور والفكر عن منطقة الواقع الحي ... ويصور أحمد حجازي هذه التقاليد تصويرا دقيقا عميقا عندما يقول :

وأرى الحب ... شرودا وتهاويم ، وحزنا

والحب الحق .. من يهوي ويفنى

وعميق الحب ... حب لم يتم

ليقولوا ... يا للحن لم يتم !

ونفس هذه الصورة الرائعة لتجربة « العام السادس عشر » في عمر الأفراد وعمر المجتمعات ، هي التي يعبر عنها فتور هوجو أحد أعلام النزعة الرومانسية وأساتذتها على لسان أحد أبطال رواياته عندما يقول هذا البطل مخاطبا حبيبته :

« أحبك حبا صادقا ، وأأسفا ! أنني أحلم بك حلم الأعمى بالضوء . سيدتي ! اصفي إلي : عندي أحلام لا عداد لها ، أحبك من قريب ومن بعيد وفي جو من الظلام ، ولا أجسؤ على لمس طرف أصبعك » .  
أو كما يقول شاعر رومانسي من شعراء فرنسا في القرن التاسع عشر :

« أحب ، واستطيع أن أصرح دون مبالاة ، أحب وأنا وحدي الذي أدري ، وحبيب إلي سري ، وحبيب إلي عذابي ، وقد عقدت العزم أن أحب حبا خاليا من الأمل ، ولكنه ليس خاليا من السعادة « أنني أراك وهذا حسبي »

مثل هذه المشاعر هي التي تعيش في وجدان العصر الرومانسي تماما .. أنها على التحديد هي : الحب الخيالي المحروم ، والعزلة والانفراد ثم حب الطبيعة واتخاذها ملجأ آمنا تستقر فيه المشاعر والأحاسيس .. تلك هي العناصر الأساسية في تجربة « العام السادس عشر » وقد رصد أحمد حجازي هذه المشاعر رسدا فنيا أصيلا ذلك لأنه عاشها في فترة من حياته ، وكانت هذه الفترة هي بالمصادفة التي بدأ فيها العصر الرومانسي يعطي وجهه الأخير حيث يتوارى بعده ليفسح المكان لتجارب جديدة في الحياة وفي الفن .

بعد الحرب العالمية الثانية على التقريب كانت المدرسة الرومانسية تجمع كل طاقاتها وإمكاناتها محاولة أن تستمر في البقاء ، لأنها بدأت تشعر بتغير حاسم في الحياة ، وبدأت بلور هذا التغير تعكس نفسها في الأدب ، أي بدأت تعمل على خلق شخصيات أدبية جديدة ذات رسالة من نوع جديد ، وقد كانت المرحلة الأدبية التي امتدت منذ أيام الحرب العالمية الأولى ، منذ أن قال عبد الرحمن شكري « يا طائر الفردوس ، أن الشعر وجدان » إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية ... كانت هذه المرحلة هي مرحلة « العام السادس عشر » ... كانت تحمل في تمبيرها الأدبي والشعري على وجه الخصوص ، كل

الحقيقة ... لقد مضت مرحلة العادم السادس عشر .. ولن تعود من جديد ..

وهكذا يصل الفنان الى نقطة البداية ، او نقطة الانطلاق .  
وهكذا تبدأ قصة الانسان الذي يعبر عنه هذا الديوان . انها تبدأ كما قلنا بالثورة على مرحلة في حياة الشاعر الذاتية ، تقابلها ثورة مشابهة على مرحلة في حياتنا الاجتماعية .. وتصل « مراسيم » هذه الثورة الى تمامها عندما يأخذ شاعرنا اهبتة لمفادته بلده « تلا » الى مدينة « القاهرة » ... و « تلا » هذه ليست مدينة بالمعنى الصحيح ، فهي مدينة صغيرة ، وقرية كبيرة في نفس الوقت ... ولكنها على الاجمال تتميز بكل ما يتميز به الريف في مصر من ميزات وخصائص ، وهي تريد على ذلك انها قريبة الى عدد من المدن وعلى رأسها مدينة القاهرة ، ولذلك فان اعضاء المدينة وضواحيها تصل الى حدودها ، ثم تخترق هذه الحدود في هدوء وبلا عنف ، فان هذه الحدود هي آخر مدى يمكنها ان تصل اليه ... على ان العين البصيرة الدقيقة ، كانت تتعلق بخيوط النور الوافدة من المدينة الكبير ، لانها تعرف ان وراء هذه الخيوط عالما جديدا اخر ، يجذب اليه النفس الممتلئة بالامكانيات ، الفنية بالوان الطموح ، الرغبة في مزيد من تفوق الحياة ، ومعرفة اعماق تجربتها الحقيقية البعيدة ... وقد تعلق شاعرنا فعلا بهذه الخيوط ، وارتبط مصيره بها ، وصمم على ان يركب مركبه الصغير الى محيط المدينة العنيف ... ذلك المحيط الذي تصل اليه اصدااء امواجه العاتية وهو قابع في مامنه في « تلا » .

وتستطيع ان تتصور شاعرنا وهو يستعد للرحيل الى المدينة الكبيرة ، الى اكبر مدينة في الوطن العربي بل اكبر مدينة فسي الشرق الاوسط كله ولن تبخل عليه بكل عواطف المحبة والاشغال وانت تتصور آنذاك ... انه ينطلق بجناحه البسيط الذي لم يعرف مرارة التحليق في الافاق الواسعة حيث العواصف تلو العواصف لا ترحم العاصف ولا السور ... وهو ينطلق بزد من المشاعر الفطرية الخالصة التي لم تتفقد على الإطلاق ، وهو ينطلق من المسافات الضيقة والشوارع المحدودة ، والمجتمع الصغير الذي يعرف فيه الناس سن بعضهم بعضا الى مسافات واسعة وشوارع لا حدود لها وناس كثيرين جدا قلما تستطيع ان تكتشف فيما بينهم اي نوع من العلاقة ... فالمدينة الكبيرة هي بحق كما يصورها اليوت « وحش ضريع او هوة للموت تتلعن من فيها وتحيل الفرد الى قزم » .... لقد جاء احمد حجازي الى « القاهرة » وحيدا لا يملك الا موهبته .. لم يكن يملك عملا بعد ان رفض عمله المحدود الضيق كمدرس في قريته ، ولم يكن يملك سكنا مستقرا ياوي اليه عندما ياوي الناس الى عوالمهم الخاصة ، ولم يكن له في المدينة الكبيرة اصدقاء يعرفهم ويعرفونه ... كل شيء تركه في قريته الصغيرة وراه ... وجاء الى المدينة متصورا ان موهبته سوف تكفل له ما ينقصه من عناصر الحياة ، وهو تصور فطري طبيعي ... ولكن كم كان امام هذا التصور من عقبات واقعية تحول بينه وبين التحقيق! وقد لمس شاعرنا هذه الحقيقة الصلبة منذ اللحظة الاولى ، وكانت صدمة لوجدانه ومشاعره ظلت تمكس آثارها على شعره ، حتى اليوم .. بطريقة ما ... والتكامل الاجتماعي ، بان يتم انسجام الفرد مع المجموع والواقع ان هذه التجربة العنيفة المبررة ليست تجربة احمد حجازي وحده ، ولكنها تجربة الكثيرين جدا من ابناء جيله ، وهذه التجربة نفسها هي الامتحان القاسي الذي يخرج الناس منه الى فئات وانماط مختلفة ، فلا بد من حل هذا الاشكال والوصول الى طريقة للخلاص ، فالهدف

البعيد الدائم للحياة الانسانية هو « التكامل » ... التكامل الداخلي الذي يصنمه انسجام الذات مع نفسها ، وتسوية القلق والانقسام النفسي بطريقة ما .. والتكامل الاجتماعي ، بان يتم انسجام الفرد مع المجموع الذي يعيش معه ، طالما انه لا يستطيع الاستغناء عن الحياة المشتركة مع الجماعة ... ولقد عرفت هذه المشكلة لكل ابناء الجيل الذي ينتسب اليه احمد حجازي .. واذا كانت المشكلة واحدة امام هذا الجيل ، فطريقة الحل تختلف تماما ... هناك الذي اراد ان يتغلب على المشكلة عن طريق « العقيدة السياسية » التي يؤمن بها تمام الايمان ، ويجد فيها ماواه وامانه ، كما كان الانسان في العصور السابقة يجد مامنه الكامل في الاساطير مثلا ، او كما يشعر الانسان المتدين نحو دينه ... ان دينه ليس « واجبا » وحسب ، بل انه بالدرجة الاولى طريقة للخلاص ، طريقة لتطهير النفس من ازماتها ، وتدريبها على التخلص مما يعرض للحياة من عناصر الشقاء ، وما يعرض للنفس من تجارب فاشلة واسئلة لا تجد الاجابة الكاملة ... هناك من لجأ الى العقيدة السياسية كحل للمشكلة الكبرى التي تعرض له وما يتفرع عنها من تفاصيل وجزيئات ... وليس معنى هذا ان كل صاحب عقيدة سياسية انما يرتبط بعقيدته فقط لانها حل ذاتي لا يعتريه من قلق وانقسام نفسي وحين الى التكامل الداخلي والتكامل الاجتماعي على السواء ... بل معناه على التحديد ان العقيدة السياسية الى جانب وظيفتها العامة انما تقوم بوظيفة ذاتية ، ولا يمكن تجاهل هذا العنصر على الإطلاق اذا ما اردنا ان نعرف حقيقة النماذج النفسية الموجودة في عصرنا ....

الى جانب العقيدة ، التي يلجأ اليها نمط من الجيل الذي يمثلها وينتسب اليه احمد حجازي ، فاننا نجد طرائق اخرى للخلاص من مشكلة هذا الجيل ... هناك نمط « المنحل » الذي يجد في اللذة الحسية عقيدة تكفيه ، وتحقق له الانسجام النفسي الكامل ... ويجد « المنحل » اكتفاه وخالصة في الجسد الانثوي ، وفي الشراب وفي الطعام ، وفي اكتساب كل المظاهر الاجتماعية الشكلية من العناية بالبالة باللبس وطريقة الحديث وغير ذلك ... وهناك نمط ثالث يلجأ الى حل المشكلة عن طريق لا مفر لنامن تسميته بـ « الانتهازية » ... انه مجامل منافق لا يقيم وزنا للقيمة الانسانية في سبيل الوصول الى مكان اجتماعي ، او سلطة مادية تمكنه من تحقيق مطالب حياته ، والوصول الى الاكتفاء النفسي ، واحاطة مشاعره بسياج يحميها من تسلل ذرات القلق والتمزق ... وهناك نمط آخر هو « المفار » .. ذلك الذي يملأ فراغ حياته بخلق الاشكالات المنيفة المفتلة ، والتماس التجارب الحادة التي تثير الحماس وتستنفذ الطاقة الانسانية ، وتبوء طريقا للخلاص .. وهناك في آخر الامر ذلك الذي يختار الانطواء والعزلة ، يقتات في « مفاه » باي شيء ... ربما بالقراءة ، ربما بالوهم والتخيل ، وربما بالاكتفاء بموقف التفرج السلبي الذي قرر ان يقول امام كل اشكال يعترضه كما كان يقول احد ابطال سارتر ... « وما الفائدة ؟ » .

هذه هي الانماط الرئيسية في الجيل الذي ينتسب اليه احمد حجازي ، وهذه هي طرائق الخلاص الكبرى بالقياس الى هذا الجيل ، فاي طريق اختارها شاعرنا واي حل ارتآه ؟ .... اننا نود ان نقف لحظة لنرى كيف صور المشكلة ، وكيف عبر عنها .. وذلك قبل ان نبحث عن الطريق التي اختارها كحل اخر ... وفي هذا الديوان نجد اربع صور للمشكلة التي يعانيها الشاعر ، والتي تلغ وجدانه ، وتهز مكان الابداع فيه ... والصورة الاولى لهذه المشكلة ، والصورة الباهرة الكبرى ، هي قسوة المدينة

وتقدمها ... وتكاد هذه الصورة تلقاك في معظم قصائد الديوان ، وعلى  
الاخص قصائده التي يرتفع فيها الشاعر الى التمجيد من اعظم ما لديهم من مشاعر  
وانفعالات ، فهذه القصائد تضرب دائما على وتر « الاحساس بالغربة » ...  
ففي قصيدته الرائعة العملاقة « كان لي قلب » يقول الشاعر :

وذات مساء

وعمر وداعنا عامان

طرفت نوادي الاصحاب لم اعثر على صاحب

وعدت تمنني الابواب والبواب والعاجب

يدحرجني امتداد طريق .

طريق مقفر شاحب ،

لاخر مقفر شاحب

تقوم على يديه قصور

وكان العاطل المعلق يسحقني

ويخونني

وفي عيني ... سوال طاف يستجدي

خيال صديق

تراث صديق

ويصرخ انني وحدي

ويا مصباح مثلك ساهر وحدي

ويتحدث عن « البشر في المدينة » في قصيدته « الطريق الى السيدة »

فيقول في تصوير صادق باهر وان كان اقل لوعة واخف صوتا من ذلك

الصراخ الداخلي المتمزق العالي في « كان لي قلب » :

والناس يمشون سراعاً

لا يحفلون

اشباحهم تلمس تباعاً

لا ينظرون

حتى اذا مر الترام

بين الزحام

لا يفزعون

لكنني اخشى الترام

كل غريب هاهنا يخشى الترام

.... ولنلاحظ « خوفه الريفي » من « الترام » تلك الالة التي هي

علامة ظاهرة من علامات المدينة بالنسبة للريفي الغريب الذي لم يعرفها

من قبل ، ولم يالفها ... فهي شيء جديد على حياته ..

وفي قصيدة « مقتل صبي » نقف امام صورة تدلنا دلالة واضحة على

مدى ما يعانيه الشاعر في المدينة .. فالقصيدة تتحدث عن طفل صغير

داسته عربية في الطريق ... ولكن الناس هنا بلا اسماء ، لانهم كثيرون

متزاحمون ، وكل مشغول بنفسه عن الاخرين ... من هو الطفل الذي

داسته العربية ؟ من صاحب ذلك الدم الوردي الصغير الذي داسته اقدام

قاسية ممزقة ومزجته بالتراب والغبار والزحام ؟ ابن من هذا الذي

مات ذات صباح ... ذات مصادفة ؟ ... من امه ومن ابوه ومن شقيقته

وشقيقه ؟ ... لا احد يعرف ، لان الناس هنا لا يعرفون الاطفال ، ولا

يعرفون آباء الاطفال وامهاتهم ... لقد مات الولد الصغير وحمل ممسه

« سره » :

الموت في الميدان لمن

المجلات صفرت ، توقفت

قالوا : ابن من

ولم يجب احد

فليس يعرف اسمه هنا سواء

ولم يجب احد

فالناس في المدائن الكبرى عدد

جاء ولد

مات ولد

وفي قصيدته « انا ومدينتي » لا يجد نفسه الا « وريقة في الريح

دارت ، ثم حطت ، ثم ضاعت في العروب » .. ثم

لقد طردت اليوم

من غرفتي

وصرت ضائعا بدون اسم

هذا انا !

وهذه مدينتي !

و « الغرفة » هنا قد تكون غرفة حقيقية ، وقد تكون غرفة رمزية ، تدل

على المامن المفقود ، او تدل على الريف الذي كان يعيش فيه من قبل ، ثم

فقدته او رحل عنه ... او « طرد » منه كما يتراءى لشموه في لحظة

الصيق والضياع ... فما يستطيع ضائع ان يقول انني اخترت الضياع ..

ولكنه دائما مرغم عليه ... لقد صار « ضائعا بلا اسم » .

وفي قصيدة « الى اللقاء » تطل التجربة .. تجربة الشعور بقسوة

المدينة ... على ان تفاصيلها قد ازدادت وتعمقت عناعرها ، ان القصيدة

لا تعبر عن « الصدمة الاولى » للتجربة ، ولكنها تعبر عن التجربة بعد

الممارسة ، ومحاولة اكتشاف الوسائل المختلفة التي تيسر على الشعور

الرهف امكانية تحمل التجربة القاسية ، ما دام لم يعد هناك مفر من

تحمل هذه التجربة ، وفي هذه القصيدة يصور احمد حجازي نهار

المدينة ، وليلها ... انه في المرحلة الاولى من تجربته لم يكن يعرف

التفاصيل ، بل كان يعتمد على الانطباع الاولى العام ... اما الان فقد

عرف ان :

شوارع المدينة الكبيرة

قيمان نار

تجتر في الظهير

ما شربته في الضحى من اللهب

يا ويله من لم يصادف غير شمسها

غير البناء والسياح ، والبناء والسياح

غير المربعات ، والمثلثات ، والزجاج

ثم يتحدث عن ليل المدينة بعد ان تحدث عن نهارها :

الليل في المدينة الكبيرة

عيد قصير

النور والانعام والنساء والشباب

والسرعة الحمقاء والشراب

عيد قصير

شيئا ... فشيئا ، يسكت النغم

وبعدا للرقص وتتمب القدم

وتكنس الرياح كل مائدة

فتسقط الزهور

وترفع الاحزان في اعماقنا رؤوسنا الصغيرة

... ولكن هذه الرؤوس الصغيرة تظل تنمو وتنمو حتى تصبح كائنات

تسيطر على النفس ، وتشيع فيها الكآبة والاسى

وفي قصيدة « حب في الظلام » يعبر عن التجربة بطريقة أخرى ، فهو وحيد طريد يريد ان يقول لحبيته انه يحبها فلا يستطيع ، وعندما ينفرد بنفسه ينسى احزانه ، ويلتمس في ضوء المدينة وحيويتها انيسا له ، فيتصور مدينة جميلة ، الناس فيها يعرفونه ويعرفهم ، ويتحدثون اليه ، ويسالونه عن حبه ، عن اشيائه الخاصة ... انه في هذه المرة لا يحكي عن فسوة المدينة بطريقة خاصة مباشرة ، بل يتحدث عن هذه الفسوة على طريقة نفسية خاصة ، فهو يتصور المدينة كما كان يتمناها لا كما هي موجودة في الواقع ، ويمنح هذه الصورة الوهمية حبه ... وهمسه . وانت لا تستطيع ان تهمس الا لحبيب ... وهو في هذه القصيدة يتحدث عن حب لم يستطع ان يبوح به لصاحبه ... ثم

ولكنني في المساء ابوح

اسير على ردهات السكينة

وافتح ابواب صدري

واطلق طيري

انا جي ضياء المدينة

اذا ما تراقص تحت الجسور

اقول له يا ضياء ارو قلبي فاني احب

اقول له يا انيس المراكب والراحلين احب

لماذا يحب الحب وحيدا

لماذا تظل ذراعي تضرب في الشجرات بفم ذراع

ويبهمني الضوء والظل حتى ،

احس كاني بعض ظلال ، وبعض ضياء

احس كان المدينة تدخل قلبي

كان كلاما يقال وناسا يسرون جنبي

فاحكي لهم عن حبيبي

تلك هي المدينة التي يحلم بها... ان تكون هناك « كلاما يقال وناسا يسرون جنبي » .... وهو يتخيلها ويتصورها طالما انها صعبة التحقيق في الواقع الملموس .

وفي قصيدة اخرى تطل المشكلة بعنف ومرارة من جديد ، تلك هي قصيدة « رسالة الى مدينة مجهولة » ... وهو يبعث فيها برسالة الى والده الذي مات ، يحكي له فيها حكايته هو .... وفي هذه القصيدة يقول :

ابي

وكان ان عبرت في الصبا البحور

رسوت في مدينة من الزجاج والحجر

الصيف فيها خالد ، ما بعده فصول

بحثت فيها عن حديقة ، فلم اجد لها اثر

واهلها تحت اللهب والفبار صامتون

ودائما على سفر

لو كلموك يسألون كم تكون ساعتك !

... هذه مرحلة اخرى من مراحل الصورة الاليمة المريرة التي يلحظها في الناس داخل المدينة ، فالشيء الذي يحكم علاقاتهم هو السرعة ، والعجز عن الارتباط الانساني المتاني الانيس... حتى اذا سالوك عن شيء فعن « الساعة » ، وهي نفسها رمز من رموز « السرعة » ... انها رمز

للطرف الثاني من اطراف الصراع داخل هذه المدينة المليئة بالاحزان .. هذا الطرف هو « الوقت » فما اكثر ما يتحمله انسان المدينة من اعباء صغيرة لا تنتهي ، ومن خلال هذه الاعباء المتراكمة تلد مطالبه الانسانية الحققة .

هذه اول صورة للمشكلة التي يعانيها شاعرنا كائنات والتي يعبر عنها في شعره تعبيراً صادقا نابضا مليئا بعمق الرؤية وعمق الاحساس، حتى انك تستطيع ان ترى في هذا التعبير جيلا بأكمله ، او ترى بتعبير اخر « قلق جيل » يسلك عددا من الطرق ويستخدم اكثر من وسيلة كي يصل في نهاية الامر الى التكامل الذاتي ، والتكامل الاجتماعي ... كي يتغلب على الانقسام نفسه وتزقها وغرقها في مشكلات متلازمة بلا حل ، وكي يتغلب على الانقسام بينه وبين المجتمع الذي يعيش فيه اما بتغيير هذا المجتمع او بتغيير ذاته ... هذا كله يصوره شاعرنا في ثلاث صور اخرى غير الصورة السابقة وهي فسوة المدينة .

فهناك من ناحية : « الشعور بالاماسة » ... ذلك الشعور الذي يشيع في قصائد الديوان ، وفي اختيار التجارب التي يعبر عنها .. والديوان في مجمله هو « تراجيديا » عنيفة .. هو شعور غامر باماسة ، وتعبير متعدد الجوانب عن هذه الاماسة ، فمعظم القصائد التي يمكن ان نسميها قصائد ذاتية انما تنبعث من هذا الشعور ، ولكن القصائد « الذاتية » لا تدل وحدها على عمق الاماسة الفائرة في نفس الشاعر بل تدل على ذلك القصائد ذات الموضوعات الخارجية ... القصائد التي تتكون خامة التجربة فيها من موضوع خارج ذات الشاعر ... ان هذه القصائد كلها تعبر عن اماسة وتنبع منها ، واذا كان الشاعر يجد في تجاربه الذاتية عناصر الاماسة تتسرب الى حياته ، ثم تظهر في شعره ، فان شيئا اخر يواجهنا في هذا الديوان هو ان يلجأ الشاعر بمحض اختياره الى الموضوعات الخارجية التي يكون جانب الاماسة فيها واضحا بارزا قويا .. هناك غير التجارب الذاتية المباشرة في الديوان قصائد تستمد تجاربها من موضوعات عامة ، وهذه القصائد هي : مذبحة القلعة ، بغداد والموت سوريا والرياح ، صبي من بيروت ، قديسة ... وفي هذه القصائد كلها يطل علينا « الشعور بالاماسة » بارزا واضحا ... فمن الواضح ان الذي اغرى شاعرنا بصياغة القصة التاريخية المعروفة عن مذبحة القلعة هو ما في هذه القصة من جانب تراجيدي وما فيها من تشابه الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر والرؤى التي تملا دنياه ... فالعنى المباشر الذي يسود هذه القصيدة هو ان المالك كانوا متاهين للفرح بالحياة ، فاستعدوا لافراحهم ، ولبسوا اجمل الثياب ، وركبوا خيولهم القوية التي تبعث في النفس مزيدا من الاحساس ، ثم سار هؤلاء المالك في « الموكب » تدق امامهم موسيقى وتستثير خيالهم احلام حلوة ، واماني جميلة ... وبينما هذا الموكب السائر الفرحان بالحياة ، الراغب في مزيد منها والمتطلع الى مختلف جوانبها ... بينما هذا الموكب يمضي في طريقه اذا بالكارثة تقع :

دخلوا القلعة ثم التفتوا في بعض ريبه

فاذا بالباب يرتد هناك

واذا صوت الجموع

صادر من خلف باب .. من هناك

« اطلقوا » !

قالها قائد جند الارناؤوط

أردية ملونه  
غطت ضلوعا من هشيم  
وامرأة تطلق في وجه المساء بابها  
تبكي على أخشابه أحبابها  
وأوجه منقبات لا تبوح

وهذا الحزن الغامر ، ليس صورة من أحزان بغداد في فترة من فترات تاريخها وحسب ، بل ان هذه الصورة تتطابق مع أحزان الشاعر نفسه ... انها في نفس الوقت صورة من عالمه الداخلي ، على انها صورة خاصة من ذلك الحزن الكئيب الذي أجده طول الكفاح فالتمس العزاء في نوع من الففوة والسكون ... وهي حالة أخرى غير حالات التمرد والصراخ والعنف ، وان كانت تحتوي في داخلها على استعداد لمقاومة الصراع ... انها تلك اللحظة التي تنساب فيها دموع العين بيسر وهواة وغزارة فاذا ما وصلت الى النغم بلغ الاستسلام المتخف الصابر بالإنسان ذلك الحد الذي يشرب فيه دموعه دون مقاومة ، ودون تغيير لمجرى تلك الدموع ... هذا هو نوع الحزن الذي يصوره شاعرنا في ذلك المقطع الكئيب ، انك تكاد تحس ان كل شيء قد أصابه الركود والتوقف عن الجريان ... اما النغم المختار لتصوير التجربة فهو « الرجز » ... ذلك النغم الشعري الهاديء المنساب ، المتماثل مع طبيعة تلك الحالة تماما .

وفي قصيدة « قديسة » يلقي الشاعر بنظراته الى الجانب الذاتي الحزين في مأساة البطلة جميلة أبو حريد ، ذلك الجانب الذي تتطابق فيه « أحزان جميلة » مع أحزانه هو ، وأحزان أبناء جيله ، هؤلاء الراغبين أشد الرغبة في الحياة ، والعاجزين في ذات الوقت عن تحقيق تلك الحياة .... هؤلاء الذين يمثلون في جانب من جوانب حياتهم اسطورة « سيزيف » اليونانية القديمة ... « سيزيف » يريد ان يرفع صخرة الى قمة الجبل ، ويظل يسعى ويناضل حتى يصل الى بداية القمة وقد ركب الاهوال من السفح حتى تلك الغاية ... واذا « بالصخرة » تتدحرج لتعود الى السفح ، ويعود معها « سيزيف » لبدأ الكفاح من جديد ثم تتكرر القصة باستمرار ... واسارع فاقول ان قصة « سيزيف » هذه لا تنطبق على جيلنا من جانب : انها تصور العجز عن البلوغ الى غاية معينة ، وعدم جدوى الكفاح في تحقيق تلك الغاية ... كلا ، فالجيل الذي يعبر عنه احمد حجازي يعرف لنفسه غاية ، بل وغايات كثيرة .. ولكن ما هو السبيل لتحقيق تلك الغايات ؟ ... ان الاضطراب والقلق والحزن تنبع كلها من التفكير في الوسائل ... واحيانا كثيرة يصبح الإنسان البصير بقايته ، الذي يعرف نهاية المطاف ، في مازق نفسي مرير ... ان قلقه ليس في البحث عن « غاية » و « هدف » ... بل القلق ، فيما يحول بين تلك الغايات والاهداف من عقبات ... ان « سيزيف » عصفرا يعرف انه يريد ان يضع الحجر على قمة الجبل ، ويعرف قيمة هذا الامر تماما ... ولكن الغاية السليمة ... ينبغي ان تتوفر لها الوسيلة السليمة ايضا ، حتى لا يتدحرج الحجر كلما شارف البلوغ الى القمة .. هذه هي المحنة ، هذا هو مصدر القلق .

وقد اختارت « جميلة » وهي من أبناء جيل احمد حجازي ... اختارت لنفسها طريق التضحية لتصل الى قمة الجبل ... ولكن كم كان في هذا الطريق من متاعب .... يصورها لنا الشاعر خير تصوير ، ويعبر بها عما يحسه في نفسه هو ، ولكنه لا يقول لنا ابدا : توقفوا عن التضحية لانها طريقة شاقة متعبة محزنة ... كلا بل يقول شيئا آخر ... انه

## (( مدينة بلا قلب ... ))

- تنمة المنشور على الصفحة ٣٠ -

« اطلقوا » !

فالنار تهوي كالخيوط

كالطر

زغردات مستترية

تتردى بين اسوار وابراج رهيبه

وهكذا يقع الاعتراض على « الرغبة في الحياة » على « الرغبة في الفرح » ، وتتلوث كل الشباب التي استعد بها الممالك لخلق دنيا من السرور المجنح والسير في موكب النشوة بلا مخاوف او احزان ... هذا هو ما حدث للممالك ، وهذا ما يحدث لشاعرنا الانسان كل يوم : رغبة عارمة في الفرح ... رغبة عارمة في الحياة .. ارادة تريد ان تنطلق في عالم السرور والتجربة ... جناحان فيهما حنين لاختراف تلوح الحزن واذا بها فاذا هي امواه غدير ، وطيور حلوة تحسو القطرات العذبة ، وربيع اخضر يتثنى هنا وهناك ... ولكن هذه الرغبة العارمة ما تكاد تولد ، حتى تعرضها العقبات تلو العقبات ، ومن هنا ترتد هذه الرغبة النابعة من مكان الفرح في الذات الانسانية لتصبح جزء من احزان تلك الذات والامها ... وهذا هو الخيط الذي امسك به شاعرنا في مأساة مذبحة القلعة ، لقد استعاد التفاصيل الانسانية ، لا السياسية ، في هذه المأساة التاريخية ، واعاد بناء هذه التفاصيل ، واستجابات له ملكاته الشعرية استجابة فذة لانه وهو يعيد بناء هذه المأساة ، كان في الواقع يلوح التناوب بينها وبينه فكل رغبته في الحياة تذبح امام العقبات فيما يشبه المؤامرة او التدبير ، وثياب افراحه الزركمة لا يكاد ياتي الليل الا وقد تناثرت فوقها بقع حمراء من الدم ، بعد ان كسرت الاحداث والعقبات رقبة كل عصفور حلو من عصافير افراحه وامانيه .

نفس المطابقة بين الذات والموضوع في القصائد الاخرى ذات الموضوعات العامة .

في « بغداد و الموت » تطل صورة الشهيد صلاح الدين الصباغ لتحكي حكاية انسان يريد الحياة ويدافع عنها ... حكاية « حيران بالحلم النبيل » ... ويبلغ الشاعر قمة روعته وهو يعبر عن احزان بغداد ، ويرسم في صورة باهرة ما تعانيه من الالام في ذلك العهد الكئيب من عهود تاريخها ...

بغداد درب صامت ، وقبة على ضريح

ذبابة في الصيف لا يهزها تيار ربح

نهر مضت عليه اعوام طوال لم يفض

واغنيات محزنة

الحزن فيها راكد لا ينتفض

وميت ، هيك انسان قديم

سيف على صدر الجدار ، خنجر من النصار

يقول : اعرفوا قيمة التضحية لان ثمنها غال ... فلنزد من اعجابنا بتضحية « جميلة » ولنعرف لها عظمتها الباهرة .... انها انسانة عظيمة ... قديسة :

لم تبتسم جميله

لم تفتش عشبا بجنب عاشق تحت القمر

لم تعرف الاشما

لم تعرف الغرام الا خطرا ، حلما

فقد مضى كل فتى في سنه الى الجبال

.....

وكلما تذكرت ياسين

كادت تطير

ياسين تحت الارض يمسك المدينه

ياسين من خمس سنين لم ينم

ياسين عندما يراها يبتسم

يجب ترديد اسمها

يسألها عن امه عن امها

وهذا هو الذي يفضيه ضنى التمردين لا ضنى المستسلمين العاجزين ... ان امام الرغبة في الحياة عقبات تخلق الحزن ، واحزان جميلة كاحزانه ، كاحزان ابناء عمره وعصره . فمأساة جميلة في معناها الانساني تتطابق مع احزانه تماما ... ما وجه الشبه كما يقولون ؟ .... ان وجهه انشبه هو : رغبة فطرية حارة في الحياة تحول بينها وبين التحقيق عقبات وعقبات ... على ان هذه العقبات لا تؤدي الى السلبية والسكون ... ولكنها تؤدي الى نوع عنيف من الايجابية يشوبه الحزن ، ويقطر منه اسى لا يفلته الشاعر وانما يتبناه ... وكل صاحب قضية كبيرة مثل جميلة انما يدافع في الاساس عن قضايا فطرية طبيعية كالحب والامن وطمانينة النفس ... وصاحب هذه القضية عندما يدخل ميدان المعركة فانه يدخلها بنفس قوية ولكن هذه النفس مع ذلك تستشعر الحزن الذي يمتزج بقوتها فيزبد بها رصانة .

وفي « صبي من بيروت » و « سوريا والرياح » تتطابق الاحزان في الموضوعات التي يعبر عنها شاعرنا مع احزانه هو .

ذلك هو « الشعور بالمأساة » الذي يشيع في التجارب الذاتية لاحمد حجازي ، ويشيع في الموضوعات العامة التي يعالجها بمحض اختياره ، او التي يعالجها عن طرق الاختيار ايضا ولكن بدافع من الضمير الانساني والوطني الذي يستجيب له قلبه الموهوب .

وصورة اخرى من صور المشكلة التي يعانها شاعرنا ويعبر عنها ... تلك الصورة هي « الفراغ النفسي » .... « الوحدة الروحية » .... وتتمثل هذه الصورة على التحديد في تجربة « المرأة » في حياته ، او تجربة الحب ... فابن الامام السادس عشر ، عندما انتقل الى دنيا كفافه في عامه التاسع عشر كان لا بد لقلبه ان يرتوي وهو ظمان ... انه لم يعد ظمان بالطريقة الرومانسية التي تعتمد على الوهم والخيال .. ولكنه اليوم يشعر بذلك الظما الفني الواضح الذي هو احتياج حيوي اصيل يحس به الشاعر الانسان ... ولكن ما افرغ الجراب من حصاد النهار ، وحصاد المساء ... ان شاعرنا محروم من واحدته ، فارغ الوجدان ، بينما دنيا هذا الوجدان الموهوب مفتوحة النوافذ والابواب ... وما من طارق يعن ، وما من طائر يريد ان يستقر هنا ويفني على هواه

... ربما كان سبب هذا الحرمان هو الصائقة المادية التي فرضت على الشاعر وعلى ابناء جيله مزيدا من العمل والكفاح ، والانطلاق بلا اعتماد على شيء في ميدان الحياة ... الانطلاق من نقطة الصفر ... .. وربما كان السبب هو ضيق الافق الذي يسيطر على المجتمع فيخلق فيه كل التجارب المفتوحة ... والذي اوشك ان يدفع بهذا الشاعر ، لولا قوته وصلابته واصالة منبته في دنيا المواهب ، الى ان يكون نديما يفني للناس ... وهم يشربون ويضطربون ... ثم يتفرق السامرون الى اعشاشهم .. ولا عش يؤويه ، ولا طائر يضم جناحيه حول روحه الوحيدة المنفردة الاسيانه ليدفء عظامه ، ويشعل عناصر الحياة فيه ... ولكن الشاعر الموهوب وقف امام المشكلة يعرضها ويفنيها ويصرخ صرخات الذي يعرف انه مسلوب الحقوق .. في هذا الديوان تعبير صارخ رائع عن تجربة الحب ... وهو دائما حب واضح ... ولكنه حب ناقص او حب فاشل ... وقد تعود الى الذهن هنا ذكريات عن الرومانسيين وطريقهم في الحب ، فهم ايضا كانوا يضربون على وتر الحب الناقص او الحب الفاشل .... ولكن الفرق جوهرى رئيسي ... فالحب المأزوم هنا حب مفهوم لا غموض فيه ... العقبات التي تعترضه واضحة ، ويمكن ادراكها .. ليس مثل ذلك الحب الرومانسي الذي ينشأ في غموض ، ثم ينسل او ينهار ايضا - في ميدان التعبير الفني - بطريقة غامضة ... على ان هناك فرقا اخر بين الحب هنا ، والحب الرومانسي ... ذلك هو الفرق في طريقة الاداء الفني .... وهو فرق جوهرى سنعرض له بعد قليل .

في قصيدته العملاقة « كان لي قلب » يفشل حبه ، لان هذا الحب كان يتناقض مع الفكرة المثالية التي رسمها الشاعر لنفسه عند ميلاد هذا الحب .. لقد كان الشاعر في البدء « خامة » فيها امكانيات التشكل في قالب ما ، ولكنها لم تكن قد تشكلت بعد .. لا بد ان تتحول « الهولي » - كما يعبر ارسطو - الى صورة ... ولم يكن امام الشاعر طريق غير الفن ... ان الصورة التي يريد ان يصيح عليها هي صورة « الشاعر » .. يريد ان يكون شاعرا في سلوكه كما كان شاعرا بموهبته .... ولكن اي شاعر ؟ .... لقد اختار اول صورة وقعت عليها عيناه ، واراد ان يحققها ويطبّقها في مجال الحياة .... ان الشعر في هذه المرحلة من حياته كان هو الحياة ، لم يكن قد شعر باحتياجات اكبر من احتياجه للتعبير الفني ... كان ما زال في بدء الحياة .. وكانت نظراته الى الامور تتشكل حسب علاقتها بشعره ، اذا كان الانسان او الموقف يؤكد ايمانه بشعره فهذا هو الشيء المرغوب فيه تماما .. وكان هذا هو السبب الذي ادى الى فشل حبه :

.....

وكان وداع

جمعت الليل في سمتي

ولفقت الوجوم الرحب في صمتي

وفي صوتي

وقلت ... وداع !

واقسم لم اكن صادق

وكان خداع

ولكني قرأت رواية عن شاعر عاشق

اذلته عشيقته ... فقال وداع

ولكن انت صدقت !

والمقائدي ، والثاني هو ان الفتاة نفسها مثقفة وعقائدية ، وما كان يخطر على بال الفتى ان هناك شيئاً اقوى من الثقافة والعقيدة في ازالة الفوارق المصطنعة الشكلية ... ولذلك اندفع الفتى في حبه حسب القاعدة البسيطة التي تقول : ان السلوك والعقيدة وحدة كاملة ... فالفتاة تظهر ايمانها بالاشتراكية عندما تقول :

قلبي على طفل بجانب الجدار  
لا يملك الرغيف

ويقول لها الفتى آنذاك :

سيدتي انا فتى فقير

لا املك الماس ولا الحرير

وانت في غنى عما تضم اشهر البحار من لآل

فقلبك الكبير جوهرة

جوهرة نادرة في تاج عصرنا

ولو قضيت عمري الطويل اقطع البحار

وانشر القلاع

وابسط الشباك ، اقبض الشباك

لما وجدت مثلها

لكنني وجدت هنا

وجدتها لما سمعت لحنك المنساب كالخريف

بيكي لطفل نام جائعا

لكنها قالت له بعد ان خدعته عن حقيقتها طويلا :

... لا ، انت شاعر كبير

يا سيدي انا بحاجة الى امر

وهذا التناقض بين السلوك والعقيدة ، او بين السلوك الواقعي والرأي النظري ... هو واحد من اكبر الاشكالات التي تؤدي بشاعرنا الى قلقه وتمزقه .. ذلك لان ارتباطه بافكار الآخرين واشتراكه معهم في النظرة الواحدة الى الاشياء .. هذا الارتباط يخلق له مجتمعا معينا ، ولكنه اخر الامر لا يجد نفسه في هذا المجتمع على حقيقتها ... ان المجتمع المكون من شباب وفتيات يقدمون الإعجاب بفنه ، او يلتقون معه على هذه الآراء او تلك يشبهون في جانب من جوانب علاقتهم به سوفيا كبيرة ... تجتمع هذه السوق وتآلف في وقت معين ... ثم تنفص السوق ، ويبحث شاعرنا عن السؤال الذي كسبه من اندماجه العنيف في تلك السوق فلا يجد الا اشياء عائمة غير ملموسة .. أين الصديق يملأ فراغ النفس عند الوحدة والانفراد ؟ أين الفتاة التي تملأ القلب عندما تنصرف الجموع ، ويعود هو الى عزلته وماواه ؟ .. اليس في هؤلاء جميعا الا كلمات اعجاب ومودة وموانيق لفظية حول الاتفاق في الافكار والآراء ؟ ... ان الخلاف القديم قائم لا يزال ... انه واحد من ابناء الطبقة الوسطى الصغيرة تقدم بوعيه وفنه الى ان وجد نفسه في وسط من الوعي هو وسط الطبقة الوسطى الكبرى في المجتمع العربي كله ... ولا يمكن ايجاد العلاقة الحيوية الحاسمة بين هذين المستويين عن طريق الفن او عن طريق الالتقاء المقائدي ... سنظل هناك درجة من الاختلاف والانفصال ... تظهر هذه الدرجة عندما يعود كل انسان من هذه الجماعة الى عالمه الخاص ، فماله الخاص قلق ، والآخر ذوو عوالم خاصة اكثر استقرارا وراحة .

والحُب الفاشل او الناقص يظهر في عدد اخر من القصائد لاسباب اخرى متعددة ، انه يتوهم حبا ولقاء في « حلم ليلة فارغة » ، ويحب

وهكذا فشل حبه ، لانه كان يقيس هذا الحب بمقياس « الشعر » .. كان يريد لهذا الحب ان يفشل ، طالما ان الشاعر الذي يتمنى ان يكونه قد فشل في الحب ... وفي هذه الصورة الرائعة تصير عن نمط من المشاعر المعروفة ، بل ونمط من الناس يقضي حياته على هذه الطريقة ، فيتصرفون تقليدا لنموذج يصفونه امامهم ، فلا يصدر سلوكهم عن مصدر ذاتي ، وضرورة خاصة بهم هم .. على اننا نحسب الامر يبدو بسيطا محدود الجوانب اذا ما كان هذا هو السبب الوحيد لفشل الحب الاول لهذا الشاعر ... اما السبب البعيد ، فهو ان طاقة الطموح التي تفجرت فيه آنذاك كانت تريد ان تتجاوز كل ما يوحي اليه بالاستقرار ويجذب به الى الدعة والهدوء ... ما من نفس انسانية يشغلها هذا النوع من الطموح الى تحقيق امكانياتها يمكن ان تجعل الحب في الدرجة الاولى من اهتمامها ... ان النفس في هذه المرحلة تكون مثل المياه المخزونة على مر الايام امام سد من السدود ... وفجأة ينفث السد فتندفع هذه الامواه بعنف يكتسح التفاصيل والجزئيات ... وبعد فترة يتخلص مجرى النهر من اندفاعه ويعود الى هدوئه وانسيابه الطبيعي ... وهذا ما حدث بالنسبة لشاعرنا ، لقد كان كل شيء يجره الى المدينة ، وكان يدعو الى ان يترك قريته الواحة الساكنة احيانا الى حد الجمود ليخرج الى مجال فيه صراع اوسع واعمق ليبعث لنفسه في هذا المجال من مكان ... وبعد ان دخل هذا الصراع وعرف اطرافه واصبح الشعر وسيلة للتعبير ولم يعد غاية بدا يفكر في تجاربه ... وبدأ يشعر انه وحيد .. وان صداقة الفن لا تكفي قلق الروح وما فيها من ظمأ عنيف الى الحياة ، عندما يلفحه الواقع بنيران الوحدة القاسية المريعة ..

انه يقول في نوع من الاستسلام الذي يعني انه اصبغ يعرف ، بعد طول صراع ، معنى ان يكون وحيدا ، ومعنى ان يكون له في دنيا الآخرين حبه وهواه :

ملاكي ! طيري الغائب

تعالى ... قد نجوع هنا

ولكننا هنا اثنان

ونمرى في الشتاء هنا

ولكننا هنا اثنان

تعالى يا طعام العمر

ودفع العمر

تعالى لي

وتفشل تجربة الحب مرة اخرى في « قصة الاميرة والفتى الذي يكلم المساء » ... والجانب الموضوعي في هذا الفشل هو مصدر آخر من مصادر القلق المرير في حياة الشاعر ... ذلك الجانب هو ضعف الانسجام بين العقيدة والسلوك في حياة النماذج التي يلتقي بها .. اما هو فريد ان يأخذ العقيدة والسلوك مأخذاً جدياً فيوحد بينهما ، ويتصرف مع الاشياء والناس حسب ما تمليه تلك الوحدة الكاملة بين العقيدة والسلوك ... وها هو بطل قصيدته الباهرة يلتقي بفتاة ، وهو وهي يشتركان في عقيدة واحدة ، ومن خلال العقيدة ينطلق شعور بالحب في قلب « الفتى » ، وبسبب العقيدة يتصور « الفتى » انه حب طبيعي وسوف ينجح ... اما « الاميرة » فكانت تتكلم عن العقيدة ، وتعلن ايمانها بها ، فتزداد شغلة الإعجاب في نفس الفتى تالفاً ، ويظن ان الفارق الاقتصادي والاجتماعي بين مستواه التواضع ومستواها المرتفع لا قيمة له امام امرين ، الاول هو كفاحه وارتفاع مستواه العقلي

ولا يستطيع ان يكشف عن حبه في قصيدة « حب في الظلام » ... وهكذا في فصائد متعددة اخرى .

على ان الفراغ النفسي ليس مظهره الوحيد هو « فراغ العاطفة » وان كان هذا الحرمان العاطفي هو العنصر الرئيسي في الفراغ النفسي ... ولكن المشكلة تنعكس في صورة احتياجات وجدانية اخرى يعبر عنها في موقفه من الآخرين ... وفي عدد من فصائد الديوان تنطلق صرخات نفسية حادة يتكلم فيها الشاعر من ان العلاقة بينه وبين « الآخرين » علاقة مزقة .. ومن هم الآخرون على وجه التحديد ؟ ... ان الحب الفاشل او الحب الناقص قد احوجا ذاته بعنف مرير الى الصديق ، ولكن ماذا يفعل الصديق ، وابن يلقاه ... ان الصداقة في عالم المدينة عمرها قصير ... انها لقاء ثم تطويه المسافات الواسعة ، والزمن المشحون بالاشياء الصغيرة .. فهما كانت الصداقة فانها في نهاية الامر تتركه وحيدا ، بحيط بوجوداته الاعاصير والانواء ... ففي نهاية رحلة الصداقة هناك كلمة هي « الى اللقاء » ... وكلمة اخرى هي « الوداع » :  
يا اصدقاء  
لشد ما اخشى نهاية الطريق  
وشد ما اخشى تحية المساء  
الى اللقاء  
أليمة الى اللقاء و « اصبحوا بخير »  
وكل الفاظ الوداع مرة  
والموت مر  
وكل شيء يسرق الانسان من انسان  
وفي قصيدة اخرى هي « كان لي قلب » تنطلق هذه الصرخة الباقية :  
.....  
وفي عيني سؤل طاف يستجدي  
خيال صديق  
تراب صديق  
ويصرخ .. انني وحدي

وهكذا فقد مزقت المدينة بقسوتها ومسؤولياتها حبه ، ومزقت صداقته ، وبالأحرى جعلتها علاقة انسانية لا تشغل ذلك الفراغ المرير الذي يواجهه كل لحظة ، لان الاصدقاء في نهاية الامر يتركونه وحيدا فريدا يفتات احزانه الفائرة ، ويلحق جراحه الكبيرة ... فماذا بقي له من علاقة بالآخرين ؟ ... هل تكفي تلك العلاقات اليومية ، القائمة على اساس المنفعة ، او الضرورة ؟؟؟ هل تكفي تلك العلاقات القائمة بين ناس يلهثون ولا يسألون الا عن الساعة ... هؤلاء الذين تزدهم بهم مدينته ؟ ... في احدى قصائده ، يستعير فكرة من « سارتر » ليعبر بها عن المشكلة .. هذه الفكرة ، هي ، ما تجسده العيون من حقائق نفسية داخلية في اعماق الانسان وما تكشف من خبايا الوجدان والمشاعر ، يأخذ شاعرنا الفكرة وبلتقطها ليعبر عن موقف الآخرين ، او عن موقفه مع الآخرين ... انهم ليسوا من هذا النمط الذي ينفجر معه جرح الحب الفاشل او الحب الناقص ، وهم ليسوا من ذلك الذي يقوم بسدور الاصدقاء ، بما في المدينة الكبيرة من احتجاجات واعتراضات على الصداقة ... ولكنهم نمط ثالث ، نمط عام : قد يلقاه في العمل او في الشارع او في الترام او في معاملاته المادية الاخرى داخل نطاق المجتمع .. وهؤلاء تكشف العيون عن خباياهم ، وليس في هذه الخبايا الا كل شيء يخيف ... هم هنا مثل بائع الفحم في قصة « فرانز كافكا » التي اسماها

« حامل الوعاء » ... ان حامل الوعاء تتقلص ضلوعه من برد الشتاء ، وهو يريد ان يشتري بعض الفحم ، ولكنه لا يملك ثمنه ، وقد ذهب الى بائع الفحم ليطلب منه بعض فحمه لعله يتقلب على ذلك البرد القاتل بما في الوقود من دفء .. وظل حامل الوعاء يصرخ وينادي على بائع الفحم ، وبائع الفحم يؤكد لزوجته ان احدا لا ينادي عليه ، وانما هي اصدااء العاصفة أتت من هنا او هناك ... وهو في الحقيقة يسمع جيدا ، ولكنه لا يريد ان يستجيب الى محاج لن يعطيه ثمن الفحم الان ... هكذا عيون الآخرين :

لو انني افصحت عما في العيون

عريت قوما من ثيابهم

لو انني جسدتها قولا سحابات الظنون

لاغلق الناس العيون

لهول ما يشاهدون

هذه هي عيون الآخرين ، وهي الاخرى تدعم احساسه بالوحدة ، واحساسه بالفراغ النفسي بكل ما فيه من مرارة وعنف .

بقيت صورة من صور المشكلة التي يعبر عنها احمد حجازي ، فالى جانب « فسوة المدينة » و « الشعور بالمأساة » و « الفراغ النفسي » نجد ان « الحنين الى الريف » يتردد في عدد غير قليل من قصائده ، و « الحنين الى الريف » ليس الا مظهرا من مظاهر القلق والضيق بالمدينة ، وليس الا تعبيرا عما يلقاه في هذه المدينة من عقبات تقف في وجه رغبته العارمة في الحياة ، ففي المدينة حيث التشتت والقلق والوحدة والانفراد ومزق العلاقات الانسانية وفسونها في الحب والصداقة وعلاقة العمل .. في المدينة حيث هذا كله يحن « ابن الريف » الى الحياة الوادعة الطيبة الضيقة المنسجمة مع بعضها في معظم الفضايا والعلاقات ... ولقد يكون هذا الانسجام الموجود في حياة الريف انسجاما سلبيا معتمدا على عناصر من الوهم والخرافة ويطء الحياة ، ولكنه على اي حال يمثل شيئا بالنسبة لشاعرنا .... شيئا يفتقده فلا يجده ... شيئا يحن اليه فلا يعثر عليه ... والحنين الى الريف هو شعور شائع لدى الفنانين الذين يعبرون عن القلق والضيق بالحضارة المصرية ، فالشاعر الانجليزي الامريكي العالمي « ت.س. اليوت » يعبر في شعره كثيرا عن الحنين الى العالم الزراعي ، بل والحنين الى عالم المصور الوسطى حيث لا صناعة ولا ضجيج ولا « رجال جوف » ... بل انسجام وهدوء وطبيعة انسانية متصلة بالظاهر الكونية المختلفة ... وليست العلاقة بين شاعرنا وبين اليوت هي علاقة تشابه كامل في هذ الميدان ، ولكنه تشابه له حدوده .... فالحنين الى الريف عند اليوت ناتج عن الضيق بالمدينة ، وحضارة المدينة الصناعية الالية ، وهذه الفكرة هي جزء من فكرة شاملة تكاد تشبه النظرية ... تلك هي : الدعوة الى حضارة الزراعة ... حضارة القرون الوسطى ، والدعوة الى التخلي عن الحضارة الصناعية المعلقة ... ولكن شاعرنا احمد حجازي لا يتبنى وجهه النظر تلك ، وانما يعبر فقط عن تجربته في المدينة ... انه قلق في هذه المدينة الواسعة المزقة ... وهو يدافع من هذا القلق يحن الى الهدوء والدعة والاستقرار في رحاب الريف كما يفعل اليوت ... على انه لم يتبين ابدا وجهة نظر اليوت في الدعوة الى نبذ الحضارة الصناعية ، وما يتصل بهذه الدعوة من ايمان ديني ، ودعوة الى سيادة هذا الايمان على العقل والروح والحياة المادية كما يفعل اليوت ... فشاعرنا يذكر الريف لانه منبعه ، ولانه مأمنه ، ولانه الدنيا الخالية من اكثر ما لقيه بعد ذلك من هموم واحزان



ففي الوقت الذي يتعذر عليه ايجاد علاقة بينه وبين المدينة ، فانه يجد هذه العلاقة قوية بينه وبين الريف ابتداء من قبر ابيه حتى داره الصغيرة التي يملكها هناك :

وانا ابن ريف

ودعت اهلي وانتجعت الى هنا

لكن قبر ابي بقريتنا هناك يحفه الصبار

وهناك ما زالت لنا في الافق دار

ويشيع هذا الحنين في عدد من قصائده ... مثل «لن نفني» «حب في الظلام» «رسالة الى ابي» «سلة ليمون» ... ان هذا «الحنين الى الريف» هو نتيجة للقلق الذي يشعر به ، وتعبر عن حلمه بالاستقرار والحياة الوداعة ، والريف رمز لهذا الحلم وتعبر عنه .

هذه هي المشكلة التي يعانها حجازي وسائر ابناء جيله كما عبر عنها في الصور الاربعة ، التي عرضنا لها وهي : قسوة المدينة ، والشعور العام بالاماسة ، والفراغ النفسي ، والحنين الى الريف .

وامام هذه المشكلة انقسم ابناء الجيل الذي ينتسب اليه شاعرنا الى انماط ... هناك - كما سبقت الاشارة - من لجأ الى «العقيدة السياسية» يلتمس الحل ... وهناك من لجأ الى «السلوك الانتهازي» وهناك من لجأ الى الانحلال والبحث عن المتعة الحسية ، وهناك من لجأ الى العزلة والانفصال والسلبية والتأمل .

فأي موقف اختار شاعرنا ، وأي موقف يرسمه لنا خلال فنه ؟

ان القراءة المتأنية لهذا الديوان تضع ايدينا على مبدأ اساسي يقننه الشاعر ويندفع اليه ويملا الايمان به عروقه وخلاياه ... هذا المبدأ هو «حب الحياة» او «الرغبة في الحياة» ... فهو ليس شاعرا عمليا ، وليست احزانه من ذلك النوع القاتم القاتل .. فورا احزانه والوان حرمانه تشتمل الرغبة في الحياة والحب لها والضيق بالعقبات التي تقف في طريقها ... والواقع ان الشاعر لم يصل الى حل نهائي واحد للمشكلة ، ولم يجد طريق الخلاص الاخير فيها ، على اننا نستطيع ان نجد في هذا الديوان بعض الملامح المعينة التي تصور طريق الخلاص التي اختارها الشاعر ... في الحدود الضيقة التي وصل فيها السى اليقين .

فشاعرنا يرفض منذ البدء ذلك «الانسان الرومانسي» الذي يعيش في عالم غامض خيالي ، انه يختار الحياة في دنيا الصراع الواقعي الواضح ، وفي محيط هذا الصراع توجد بعض الموانئ التي يستريح اليها حيناً بعد حين ، وفي هذا المحيط تظل مبررات القلق واسبابه قائمة بعيداً عن تلك اللحظات التي يجد فيها الشاعر مأمناً يستريح اليه .

فما هي الموانئ او المرافئ التي يستريح اليها هذا الشاعر ؟ ان اول مرفأ هو الفن نفسه ، انه يجد في «التعبير» جانباً من جوانب الخلاص ، فهو كثيراً ما يمجّد «الكلمة» ، و«الكلمة» تقوم هنا بالنسبة للشاعر بنفس الدور الذي تقوم به «المأساة» على المسرح بالنسبة للمشاهد في رأي ارسطو ... فعملية «التطهير» التي تتم عندما يشاهد الانسان مأساة المسرح ، هي نفسها التي تحدث للفنان بعد ان ينتهي من عمله الفني. ان توتره وقلقته يتوابعان في عملية ضخمة واسعة النطاق ، وهو من خلال هذه العملية يسمو بحالته النفسية الى مستوى من الانسجام والتناسق لا يتوفر للنفس قبل عملية الابداع الفني نفسها ... ففي ثلاث قصائد هي : «لن نفني» و«ميلاد الكلمات» و«دفاع عن

الكلمة» ... يظهر بوضوح ايمان الشاعر بالكلمة كوسيلة من وسائل الخلاص ، وكمرافاً آمن تلجأ اليه النفس في حالة قلقها واضطرابها وتعرضها للمشكلة التي يصرخ الديوان بالتعبير عنها ... ومن الواضح ان «الفن» كوسيلة من وسائل الخلاص قد شاع بين ابناء الجيل الراهق ، وعبر عنه اكثر من شاعر تعبيراً يتفق في مدلوله ومفراه وان اختلف في اسلوبه الفني .. فقد كتبت نازك الملائكة قصيدة تعبر عن نفس الاحساس هي «اغنية حب للكلمات» وكتب صلاح عبد الصبور قصيدة يناجي فيها فنه وكأنه في معبد يقنن احد الالهة ، هذه القصيدة هي «اغنية ولاء» وكذلك عبر عن نفس التجربة نزار قباني في قصيدة له هي «رسائل لم تكتب لها» ...

يعبر احمد حجازي باخلاص عن ايمانه بـ «الكلمة» ويجردها دائماً من وظيفتها الموقفة او المترفة ، فـ «الكلمة» عنده صلة صادقة بالناس ، انها خالية تماماً من ثياب الاستعباد الذي ليسته في مراحل تاريخية طويلة :

.....

لن ياخذني الخوف

فانا الاصغر لم اعرف بعد مصاحبة الامراء

لم اتعلم خلق الندماء

لم ابع الكلمة بالذهب اللاء

ما جردت السيف على اصحابي فرسان الكلمة

لم اخلع لقب الفارس يوما ،

فوق امير ابكم

انه احتجاج على التاريخ الطويل الذي عاشته الكلمة «اسيرة» لبعض الضرورات الخارجية الزائفة ... احتجاج على التراث الطويل الذي لم تعرف فيه الكلمة كيف تكون طليقة متحررة من القيود والسلاسل التي طالما افسدت وظيفتها الانسانية السامية

وهو يؤمن بالكلمة عندما تجد صداها عند الآخرين ، وعندما تؤدي قدراً من رسالتها في قلوبهم وافكارهم :

من اجل ان تنفجر الارض الحزينة بالفضب

وتظل من جوف المآذن اغنيات كاللهب

وتضيء في ليل القرى ، ليل القرى كلماتها

ولدت هنا كلماتها

.....

يا ايها الانسان في الريف البعيد

يا من يصم السمع عن كلماتها

ادعوك ان تمشي على كلماتها بالعين لوصادفتها

كيلا تموت على الورق

اسقط عليها قطرتين من العرق

كيلا تموت

فالصوت ان لم يلق اذن ضاع في صمت الارق

ومشى على آثاره صوت الغراب

وهكذا فان ايمانه بـ «الكلمة» الحرة الطليقة ، كوسيلة لـ «تطهير» نفسه مما فيها من قلق واضطراب وضيق ، وكوسيلة لعلاقته بالناس الذين يحبهم ويرتبط معهم باكثر من رباط ، بعيداً عن تمزق المدينة وزيفها ... هذا الايمان بالكلمة هو وسيلة خلاصه ، وهو وسيلة عرفها

انها « دليل للعمل » وليست « العمل نفسه » كما يقول المعلم العقائدي الكبير ماركس .. ان احمد حجازي يلمح دائما الفرق بين العقيدة العقلية النظرية .. وبين الواقع الموجود .. والتساؤلات بين « النظرية » و « الواقع » كان باستمرار متبعا من منابع الفن عند شاعرنا الموهوب. لقد استقر احمد حجازي اخر الامر على عقيدة سياسية معينة ... استقر عليها بعد تجربة وبحث طويل عن الطريق ... وهذه العقيدة ذات جانبين ، اما الجانب الاول فهو الجانب الانساني العام .. انه محب للانسان مؤمن به ، يرمق بمشاعر حارة كل كفاح للانسان في سبيل التغلب على ما يعترضه من عقبات كثيرة ، وهذا الشعور الانساني شائع تماما في هذا الديوان لان صاحبه يفهم عذاب الانسان ، ويفهمه بالتجربة العريضة المريرة التي عاشها بين الريف والمدينة قبل ان يفهمه عن طريق الافكار النظرية العاملة ولتستمتع الى صوته العميق النليل وهو يخاطب الانسان الربي الذي يصارع العذاب كل يوم .. انه يحذره بكل ما يملك من حب للانسان وهو في معركة الحياة :

اين الطريق الى فؤادك ايها المنفي في صمت الحقول  
لو انني ناي بكفك تحت صفصافه

اوراقها في الافق مروحه ،

خضراء ههههه

لاخذت سمعك لحظة في هذه الخلوة

وتلوت في هذا السكون الشاعري حكاية الدنيا

ومعارك الانسان ، والاخوان في الدنيا

ونفخت كل النار ، كل النار في نفسك

وصنعت من نغمي كلاما واضحا كالشمس

عن حقلنا المفروش

ومتى نقيم العرس

ونودع الالام

وتظهر هذه النزعة الانسانية التي تنبثق من ايمانه بضرورة التغلب على الالم في عدد كبير اخر من قصائده .. لعل من ابرزها قصيدة « دفاع عن الكلمة » :

انا في صف المخلص من اي ديانة

يتعبد في الجامع او في الشارع

فكلا الاثنين تعذبه الكلمة

والكلمة حمل وامانه

انا في صف المخلص مهما اخطا

فالكلمة بحر يركب سبعين مساء ،

حتى يعطى اللؤلؤ

انا في صف التائب مهما كان الذنب عظيما

فطريق الكلمة محفوف بالشهوات

والقباض في هذا العصر على كلمته

كالمسك بالجمهر

... وهذه مجرد امثلة ، فالنزعة الانسانية شائعة في الديوان على صور مختلفة .. وهذا هو الجانب العام في عقيدة الشاعر ، ولكن هناك جانبا اخر في هذه العقيدة ، جانبا يتضح في بعض قصائد هذا الديوان .. وهذه القصائد هي على التحديد : « ... قديسة » و « سوريه والرياح » و « صبي من بيروت » و « عبد الناصر » : فهو مؤمن بالثورة العربية ، مؤمن باهدافها طامح الى المساهمة في مراحلها

ابناء هذا الجيل القلق ، وعبر عنها عدد من فنانيه القادرين المبدعين وعلى راسهم احمد حجازي . ومن طرائق الخلاص التي لجأ اليها الشاعر عن ايمان : « العقيدة السياسية » ... و « العقيدة السياسية » في عصرنا تقوم مقام « الدين » في العصور والايال السابقة ، فقد ارتفعت العقيدة السياسية حتى اصبحت تصدر عن فلسفات كبرى تفسر الانسان والمجتمع ، وترسم الحلول المختلفة لما يعرض للعصر من مشكلات ... وقد اشرنا من قبل الى ان العقيدة السياسية الى جانب وظيفتها الموضوعية ودورها الايجابي في المرحلة الراهنة من تاريخ التطور الانساني ، تمثل ايضا حلا ذاتيا تلجأ اليه بعض النفوس بحثا عن الاستقرار والطمأنينة ، وعندما يبدأ الانسان مرحلة من مراحل الوعي ، يرتبط هذا الوعي بنوع من الشك ومراجعة الامور والبحث عن منطق للاقتناع الذاتي بما يعرض للعقل والشعور من مشكلات .... ولا يمكن للانسان ان يستقر بعد ان يبدأ هذه المرحلة من الوعي دون ان يصل الى فكرة منسجمة ... الى نظرية شاملة تحدد له موقفا من عدد رئيسي من المشكلات ، وعندما يصل الانسان الى هذه الفكرة المنسجمة الشاملة يصبح اكثر استقرارا وطمأنينة من ذلك الذي لا يزال يبحث عن عقيدة او ذلك الذي يرتبط بعقيدة لا يطمئن اليها ولا يجد فيها ما يكفي للاقتناع الكامل بها ، ما يكفي لتفسير ما يعرض له من اسئلة ... ولقد لجأ كثيرون من ابناء جيل احمد حجازي الى العقيدة السياسية بدرجات متفاوتة ، فهناك الذين تمصبوا لعقيدتهم وذابوا فيها تماما ، لانهم وجدوا في هذه العقيدة اخر ملجأ لمشكلاتهم النفسية الكثيرة ، ومنهم من اخذها بحكمة وحذر ، ومنهم من ارتبط بها عن تردد وشك ...

واحمد حجازي يبحث عن عقيدته منذ تفتح وعيه على رؤية الحياة ، ولقد اتيج لي ان اطلع على ديوانه الاول الذي رفض شاعرنا ان ينشره لانه يحتوي على اولى تجاربه في ميدان الفن والتعبير ، وهي تجارب قلقة غير مستقرة على اسلوب . وقد كتب حجازي معظم قصائد هذا الديوان الاول في فترة كان يؤمن فيها بالعقيدة الدينية ، ولكن نظرة متأنية الى قصائد الديوان تكشف عن ان ايمان الشاعر العقلي بتلك العقيدة كان يشوبه شك شعوري جامع في مدى امكان هذه العقيدة ان تحل الاشكالات التي تعرض لذهنه ووجدانه .. ففي الوقت الذي كان يؤمن فيه بالعقيدة الدينية كان يقول في قصيدة قديمة له في ديوانه القديم ذلك موجها الخطاب الى « الله » :

دع لنا الليل والنساء وتناوب مع القمر

انت يا رب في السماء فاترك الارض للبشر

انت يا رب بعثني عندما ذقت حنطتك

فاترك القلب يجتني جنتي وارح جنتك

وفي القصيدة يلوح ذلك الشك العاصف في الفكرة الدينية ، لانها ، كما يراها انذاك ، تصطدم مع رغبته القوية في الحياة ، ان تلك العقيدة تمجذ عن ان تطلق طاقته الحية من قيودها العنيفة ، بل انها تعترض على تلك الطاقة ، وتدعو الى ترفيفها في مجال تجديدي مليء بالمفوض وعدم الجبوى ، وهذا المثال يشير الى حقيقة هامة في موقف شاعرنا لم يكن مثالا الوحيد هو موقفه السابق من العقيدة الدينية ، هذه الحقيقة هي ان الاقتناع العقلي لم يفسد رؤية الشاعر للامور ، وذلك مرض معروف من امراض ادبنا الجديد بشكل عام ، فعدد من اصحاب العقائد السياسية لا يكاد الواحد منهم يبصر الدنيا الا بعين تلك العقيدة دون عمق او ادراك بعيد ... والعقيدة السياسية ليست هي الحياة ، بل هي وسيلة للحياة ،

المختلفة ، وهو يجد السكينة النفسية في رحاب هذه العقيدة .  
ولكنه هنا ايضا ، كما كان في الماضي ، لا يفغل عن الفارق بين العقيدة  
من الناحية النظرية وبين الواقع .. انه يرى الصدق ، ولا يقتل تفاؤلا  
في واقع اسود مليء بالتشاؤم ، ان « التناقض » قائم وهو يراه ويعبر  
عنه .. فالعقيدة لم تحسم المشاكل القائمة في الحياة الانسانية  
والاجتماعية التي يعيشها ويمارسها باستمرار ، فهو مع الناس يجد واجبا  
داخليا عميقا ينبع من الفهم والشعور يدعو للامان بعقيدته تلك ، انما  
هي التي تدفع الانسان في بلاده الى امام .. ولكنه عندما يعود الى  
نفسه يجد امامه عديدا من المشاكل لم تقنه العقيدة عن عبثها المضمنى  
ومراتها العادة ، ذلك لان العقيدة اذا كانت تملأ حياته العامة ، وجانباً من  
حياته الخاصة ، فان منطقة غير ضئيلة من حياته الخاصة تظل عريانة  
من الحنان ، فلا تمتد اليها يد العقيدة بما يكفيها من احتياجات .. وربما  
كان ذلك لان العقيدة لم تغير بعد حياة المجتمع بصورة نهائية حاسمة  
توحد بين السلوك والفكر ، فينعدم بينهما هذا التناقض القائم فعلا ...  
ففي قصيدة « الاميرة والغتي الذي يكلم النساء » يرسم هذه الصورة  
الرائعة لحالته ، وحالة العديدين من ابناء جيله حينما يخلصون مع  
انفسهم ومع حياتهم :

.... وفي ليالي الخوف طالما رايتة يجول في الطريق

يستقبل الفارين من وجه الظلام

ويوقد الشموع من كلامه الوديع

ففي كلامه ضياء شمع لا تنطفئ

ويترك اليبدين تمشيان بالدعاء

على الرؤوس والوجوه

ونمسحان ما يسيل من دموع

« الصبح في الطريق

يا اصدقائي انني اراه

فلا تخافوا .. بعد عام يقبل الضياء »

وعندما يمشون تمشي فوق خديه الدموع

ويفلت الكلام منه يفلت الكلام

« هل يقبل الضياء حقا بعد عام ؟ »

... تلك صورة رائعة من الحقيقة النفسية التي يعيش فيها صاحب  
العقيدة الذي يصدق مع نفسه ومع الناس ، انه لا يترك تلك العقيدة  
تحجب امامه كل شيء ، فلا تربيه الا لونا واحدا ، وتصور له كل شيء  
بخير ، وتنفي عنه القلق والاضطراب النفسي .. كانه اله ، كانه ملاك ..  
ولكنه انسان في حقيقته ، وشعره تعبير صادق عن رؤية صحيحة لحالات  
انسانية واقعية .

ان رؤية احمد حجازي للتناقض الذي ما زال قائما بين العقيدة بما  
فيها من انسجام وتكامل ، والواقع بما فيه من نقص وقصور ، ان رؤية شاعرنا  
لهذا التناقض هو دليل رائع على انه يرفع صدق التصوير وصدق الرؤية  
على اي معنى اخر .. وهو يعلم تماما ان « الصدق » هو الطريق الصحيح  
الى بناء ما نطمح اليه .. وليس ابدا « الوهم » ... وليس ابدا ان نتخيل  
اشياء نموذجية مثالية لا تؤدي في نهاية الامور الا الى شعور بالسطحية  
وعدم الصدق ... فاذا كنا نقول بدعوة نظرية الى تحرر المرأة  
فليس سليما ان نقول ان نجاح هذه الدعوة من الناحية النظرية يحتم  
نجاحها الكامل من الناحية الواقعية ، حتى لو كذبنا التجارب في هذا القول ،  
فالحقيقة في هذا الميدان ان المرأة لم تتحرر تحررا كاملا ، ولا تزال المرأة

في مجتمعنا العربي تحمل فيودها في داخل شخصيتها بشكل يعكس  
هذه القيود على سلوكها .. ان تحرر المرأة عندنا لم يتم ، وهذه حقيقة لا  
يجوز انكارها ... والاعتراف بها هو الطريق الصحيح ... وكذلك الامر  
بالنسبة لقضايانا الكبرى مثل الاشتراكية والقومية العربية .

ان احمد حجازي قد وصل الى مرفأين هما : الفن ، والعقيدة  
السياسية الانسانية .. وقد وجد فيهما بعض الحل للمشكلة التي تعرض  
له وتعرض لابناء جيله .. على ان هذين المرفأين لم يحسما كل شيء ،  
ولم يمنحا الامن والسلام والطمانينة لقلبه ، ولذلك فما زالت في شعره  
علامات استفهام ، وما زالت فيه تجارب قلق ، وصرخات الذي لم يلق  
طمع الهدوء ولا الاستقرار ، والتعبير عن « القلق » في شعر حجازي تعبير  
سليم ، انه صورة لمتاعبه نفسية الجيل العربي الجديد .

على ان احمد حجازي واضح في قلقه يعرف جنوره ، وصورة الحقيقية  
... وهذا الوضوح في ذاته هو طريقة من طرق الخلاص التي يشير  
اليها الشاعر ، فهو عندما يتحدث عن قسوة المدينة وتمزق العلاقات  
البشرية فيها ، وضعية الانسان ووحده وغربته ، ثم ذلك العجز القاسي  
عن تحقيق الوجود العاطفي للانسان ، والعقبات التي تقف في طريق  
الرغبة الطبيعية السليمة في الحياة .. كل هذه الاشياء الواضحة التي  
نسبب حزنه وقلقه .. وتمثل مأساته ومأساة جيله .. تشير بنفسها الى  
طريق الخلاص ، وترسم السبيل الى مجتمع سليم .. ما هو هذا المجتمع  
على التحديد ؟ ... انه المجتمع الذي يخلو من كل تلك الاشياء التي  
يضج بالشكوى منها وجدانه وشعوره ، وتنعكس على شعره بصورة فنية  
كاملة عميقة ، ومن هذا كله يعرف الطريق الذي اختاره احمد حجازي  
للتغلب على المشكلة الكبرى التي امامه .

هذا هو شاعرنا في المشاكل التي يعبر عنها والقضايا التي تملأ حياته  
وتشغل ذهنه .. وتستطيع ان تقول عن هذه المشاكل وعن تلك القضايا  
انها صورة صادقة من العصر الذي يعيشه ، انها حكاية شاعر انسان ،  
ولكنها في نفس الوقت ، وبنفس الدرجة من القوة والصدق تحكي حكايتنا  
كلنا ، نحن ابناء الجيل العربي الجديد ، اننا نرى في هذا الديوان  
انفسنا ، نرى فيه مستقبلنا ، نرى فيه تلك العقبات التي تسد طريقنا  
وترفع علامة حمراء كلما اردنا ان نتقدم خطوة الى امام ، وسيمظل  
هذا الديوان وثيقة من وثائق العصر ، تدل عليه ، وترسم خطوه العميقة  
الكبيرة ، ولا تنسى من ملامحه الحقيقية خطأ هنا او هناك ... انه  
وثيقة نادرة ، وثيقة من تلك الوثائق القليلة التي لا تتكرر بكثرة  
وباستثناء ديوان « الناس في بلادي » لصالح عبد الصبور لم يظهر في  
مصر عمل شعري على جانب كبير من الخطر والاهمية في تصوير جيلنا  
وعصرنا مثل « مدينة بلا قلب » ، ولا شك ان هذه الحقيقة تضمن لهذا  
الديوان بقاء طويلا ، وتقدمه الى التاريخ عملا من تلك الاعمال الكبرى التي  
لا تمثل شيئا كبيرا في الادب وحسب وانما في الحياة ايضا .

★

على ان هذا الشاعر النادر في افكاره وآرائه ، والذي يحمل صورة  
دقيقة للامع عصرنا وجيلنا .. لا يقف بثورته عند الحدود الموضوعية  
الفكرية ، بل هو ايضا صاحب ثورة في ميدان الفن ، او هو واحد من  
الرواد النادرين في هذا الميدان . فما هي ثورة شاعرنا في ميدان الفن ؟  
ان احمد حجازي واحد من ابناء المدرسة الحديثة في الشعر ...  
انه ليس مبتكر هذه الطريقة الفنية الجديدة ، فهذه الطريقة في حقيقتها  
هي اسلوب صنعه كفاح اكثر من جيل واحد ، حيث كان الجميع يبحثون

من اسلم طرائق الاداء الفني للتعبير عما في نفوسهم من 'اشياء' جديدة ، لم يعد يحتفلها الشكل الفني القديم للقصيد العربية ... ولقد كانت النتيجة الاخيرة التي وصل اليها شعرنا العربي المعاصر اليوم هي ثمرة محاولات متعددة اشترك فيها عدد كبير من شعرائنا وادباءنا .. اشترك فيها : لويس عوض، وبدر شاكر السياب، ونازك الملائكة، وعلي احمدباكير وعبد الوهاب البياتي .. وبعد ذلك لمع في ميدان الشعر الجديد عدد من شعرائنا ، وكان من الملع هؤلاء جميعا شاعران من مصر هما : صلاح عبد الصبور واحمد حجازي .

والحق ان معركة الشعر الجديد لم تستقر بعد تمام الاستقرار . فما زالت هناك آراء متضاربة حول هذه القضية .. وما زال هناك نقاد يتساءلون : هل يستقر الشعر على شكله الاخير ؟ ... ام ان من الضروري ان يعود شعرنا الى شكله التقليدي القديم ؟ .. ونحن نستطيع ان نقول في هذا الميدان ان الشكل الجديد من الشعر قد بدأ مرحلة استقرار تؤكد انه صالح للبقاء .. ولذلك فانه سوف يبقى ... على ان الشئ الذي لم يكن واضحا من قبل هو مدى صلاحية الشكل القديم للبقاء في ميدان الفن الشعري .. واظن ان الامر قد اصبح واضحا اليوم بالصورة التالية : فالشكل الجديد للشعر ضروري واساسي ، وهذا الشكل سيصبح الشكل الرئيسي للشعر العربي خلال مدة طويلة لما فيه من عناصر تجعل منه اكثر استيعابا لروح عصرنا من الشكل القديم . على ان الفكرة التي كانت ترى ان الشكل الجديد معناه القضاء المطلق على الشكل القديم للقصيد .. هذه الفكرة لم تعد صحيحة ولا صائبة ، ان الشكل الجديد لا يمنع بقاء الشكل القديم ، بل اننا نجد ان القصيدة الجديدة تلجأ احيانا الى الاستعانة في بنائها بالشكل القديم كما حدث في قصيدة « بغداد والموت » المنشورة في هذا الديوان ، ففي هذه القصيدة يستخدم احمد حجازي الشكل القديم عندما ينتقل من مرحلة «التصوير» الى مرحلة « الفناء » ... انه يلجأ الى الشكل التقليدي ليفني ... فالفناء يتطلب نفسا طويلا ، وهذا النفس الطويل يتوفر بصورة رائعة في الشكل التقليدي الذي يحتفظ بوحدة البيت ، ووحدة الإيقاع ، ويعبر عن افكار مباشرة ... ونستطيع ان نشير الى شاعر عربي معاصر هو يوسف الخطيب ، الذي يستخدم الشكل القديم في معظم قصائده ، الا انه مع ذلك يصل فيه الى مستويات رائعة من التعبير الشعري مثل قصيدته المعروفة « اغان من فلسطين » ... اذن فالشكل الجديد هو الشكل الرئيسي للشعر ، ولكنه لا ينفي وجود الشكل القديم ، ولا ينفي استخدام هذا الشكل في بناء القصيدة نفسها .. ولا اظن ، كما تصور بعض النقاد ، ان الشاعر العربي سوف يرتد الى الشكل القديم بصورة نهائية في المستقبل .

على ان احمد حجازي يعتبر نصرا كبيرا للشكل الجديد في الشعر .. انه في هذا « الديوان » يتخلص من اكثر العيوب التي اخذت على الشعر الجديد ، ويثبت ان الشعر الجديد نفسه غير مسئول عن هذه العيوب وان العيب في الشاعر لا في الشكل الفني .. فهذا الشكل الفني عندما يتاح له شاعر موهوب ، فان عيوبه تختفي او تكاد .. او هذا هو ما حدث مع احمد حجازي .

ابرز عنصر في هذا الديوان هو عنصر « التشخيص » ... وهذا العنصر الفني يعطي للقصيد العربية ابعادا جديدة ، ويجعل منها كائنا فنيا اكثر صحة وسلامة وعمقا وتوهجا ... وهذا العنصر لم يكن في الامكان ان يظهر عن طريق القصيدة العربية القديمة ، وهي في مجملها

شكل فني بدائي محدود الطاقة والابعاد .. و « التشخيص » هو نفسه ما يسميه الاستاذ الناقد محمود العالم بـ « التعبير بالصور » .. ففي هذا الديوان نجد ان الشاعر لا يلجأ الى التعبير المباشر عن تجاربه وانفصالاته ، وذلك ما كان يفعله الشاعر العربي القديم ... هنا نجد ان « الصورة الانسانية المتكاملة » هي التي تعبر عن تجارب الشاعر وانفصالاته ، وذلك ما كان يفعله الشاعر العربي القديم ... هنا نجد نخرج منها بمجموعة من « الشخصيات » التي تحمل كل شخصية منها دلالة ما ، وتشارك هذه الشخصيات في النهاية لتخرج الدلالة العامة للديوان .. فالشخصية النفسية والعقلية بل والشكلية ايضا لانسان « العام السادس عشر » مرسومة بدقة ووضوح في قصيدة العام السادس عشر ، وشخصية الانسان الذي يشكو الوحدة والضيق ويرغب في الحياة ويصرخ لان امام طريقه عديدا من العقبات ... هذه الصورة مرسومة بعمق واصالة في قصيدة « كان لي قلب » .. وفي قصيدة « الاميرة والفتى الذي يكلم المساء » شخصيات انسانية تتحرك ، لكل منها ملامحه الخاصة ، وطبيعته النفسية والفكرية ، وبين هذه الشخصيات يدور صراع له مدلوله ومفراه ... فالاميرة هي الفتاة المثقفة التي تدخل الحياة العامة دون ان تتطور نفسياتها مع مبادئ هذه الحياة تطورا حقيقيا وانما تقف شخصيتها عند حدود التطور الشكلي الخارجي ، و « الفتى الذي يكلم المساء » هو مثال للشباب الذي يريد ان يساهم بدور في بناء الحياة ، وهو يلتبس هذه المساهمة عن طريق العقيدة التي تبهره وتفريه ، وهو يعامل الناس حسب مقاييس تلك العقيدة ، ويبني حبه وصادقته على هذا الاساس ... ولكنه يصدم خلال اختياره الواقعي للناس ، ف « الاميرة » التي تظاهرت بحب الاشتراكية عندما قالت : قلبي على طفل بجانب الجدار لا يملك الرغبة ...

هذه « الاميرة » لا تحب شيئا من هذه الافكار ولا تؤمن بها ، انما هي « زينة العصر » وحسب ... وعندما يجبرها « الفتى » يفشل في حبه بالطبع ... ويمضي الصراع على هذا المستوى ... انه ليس صراعا نفسيا غامضا ... بل هو صراع نفسي دقيق واضح ، وهو صراع « نماذج بشرية » وليس صراع « افكار تجريدية » .. ولو تناول الشاعر العربي القديم تجربة هذه القصة لاكتفى بان ينظم هذا المعنى : « لقد رايتك فاعجبتني حديثك وشخصيتك اللذان اضافا الى جمالك لونا باهرا ، فلما تقدمت اليك بعواطفى ، تبينت انك انسان غريب صادقة فيما تدعين ... وانك تظاهرين ... وليس هناك شيء ابعد من ذلك »

لم يكن الشاعر القديم يستطيع ان يفعل اكثر من نظم هذا المعنى في مجموعة من الابيات المحدودة المباشرة ... ولكن شاعرنا الجديد ، يتخلص من هذا المستوى البدائي المحدود في العمل الفني ، ويصل الى مستوى اكثر عمقا ، واكثر اتساعا ، وفيه ينبض المعنى الانساني العام الى جانب الملامح المحددة المرسومة بدقة للناس الذين يعيشون في عصرنا وللصراع الذي يدور في هذا العصر .

وطريقة « التشخيص » اي خلق « شخصيات » في مجال الفن الشعري ، وتعبير آخر تقديم « صور » لا « افكار » ... هذه الطريقة هي التي تميز شعرنا الجديد عن الشعر القديم تمييزا جوهريا ، وهي نفسها التي تمنحه الميزة ، والتفوق على الشعر القديم ... وهي الى جانب ذلك كله التي تربط شعرنا العربي بالشعر الانساني العالمي في اعلى صوره ، فطريقة التشخيص هي النبع الصافي في ارض الشعر ..

الشاعر لا ينتهي بانتها البيت ، وإنما ينتهي بانتها القصيدة ، والقصيدة أشبه بالقصة القصيرة ، ولا يمكن ان نجزيء القصة القصيرة الى اجزاء منفصلة ، انها وحدة منذ ان تبدأ حتى تنتهي.. وكذلك القصيدة الجديدة ، فانت لا تستطيع ان تصل الى المعنى العام من قصيدة « العام السادس عشر » دون ان تقرأها كاملة ... ان حذفت جزءا منها فانك لن تعرف اطلاقا ماذا يريد الشاعر ان يقول بالاجزاء الاخرى ، انها تقدم حياة الشاب في « العام السادس عشر » في مراحل متتابعة ومواقف لكل منها دلالة خاصة لا تستغني عنها « اللوحة الشعرية » الكاملة بحال من الاحوال ... ونلاحظ ان التشابه بين « القصة » و « القصيدة الجديدة » ليس كاملا ... ان الشاعر الجديد لا يصور كل تفاصيل لوحته، بل انه ينتقي من الحياة المواقف الدالة والتي يمكن ان تنتقل الى الشعر ... اما هؤلاء الذين يصورون كل التفاصيل الصغيرة لواقع الحياة، بلا دلالة من ناحية ، ولا تفكير في التفرقة بين « الموقف الشعري » و « الموقف غير الشعري » ... هؤلاء يفسدون الشعر الجديد ، ويسئون فهمه تماما ، فليست مهمة الشعر الجديد هي ان يصور كل شيء ... ان الصورة في الشعر الجديد مهمة حقاً، ولكن لتحذر التصوير «الفوتوغرافي» الذي لا يحمل رمزا ولا دلالة.. كما ان ذلك الشاعر الذي يستخدم الشكل الجديد ليعبر ايضا عن خواطر غير مرتبطة بطريقة « التداعي الحر » للمعاني .. مثل هذا الشاعر يكون الشكل القديم اصلح لتجاربه وانسب .. ان الصورة الكاملة اساس جوهري في الشعر الجديد ، وبدونها يصبح الشكل نفسه لا ضرورة له ولا مبرر ، فتداعي المعاني ، وتعدد الموضوع في القصيدة الواحدة ، كما هو شائع في القصيدة القديمة ... هذان العنصران لا يصلح لهما الا وحدة النغم وانتظامه كما هو الامر في الشعر القديم الذي يشترط وحدة القافية ، واكتمال البيت الشعري .

وقبل ان ننقل من الحديث عن « التشخيص » نود ان نشر الى ان احمد حجازي كان في بعض قصائده يلجأ الى الصور الجزئية ليعبر بها عن فكرة في داخل القصيدة ، وهذه الصور الجزئية رائعة ناضجة ، وهي تؤكد من جانب اخر ان ضرورة اعتماد القصيدة على صورة كلية شاملة ، لا ينبغي جمال الصور الجزئية التي ترد في البيت الواحد او المقطع ، وتعتمد على التشبيه او الاستعارة .. فعندما يقول الشاعر :

.....

ولدت هنا كلماتنا

ولدت هنا في الليل يا عود اللره

يا نجمة مسجونة في خيطماء

يا ندي ام لم يعد فيه لبن

يا ايها الطفل الذي ما زال عند العاشرة

لكن عينيه تجولتا كثيرا في الزمن

هذه الصور الجزئية المتتالية لها روعتها وجمالها ومن حقنا ان نستمتع بها كصور فنية رائعة لا يمكن للشعر ان يستغني عنها بحجة انه يهدف الى التعبير عن صورة اعم واشمل ، فالصور الجزئية لا تنافي ابدا مع عملية « التشخيص » التي يقوم على اساسها بناء القصيدة الجديدة .. فالصور الجزئية هي لبنات تقيم البناء الكبير للقصيدة كلها ، وكلما كانت هذه اللبنات رائعة حلوة اصيلة ، كلما ازداد البناء الكبير اصالة وروعة ... ونحن لا نملك الا ان نهتز امام هذه الصورة : « يا نجمة مسجونة في خيط ماء » كما كان يهتز القدماء تماما من الصور والتشبيهات التي تعرض لهم ففي هذه الصورة العذبة الجميلة يريد الشاعر ان يقول لنا

وحسبنا ان نشر هنا الى الشاعر العالم الكبير ت.س. اليوت « فمعظم شعر اليوت يقوم على « التشخيص » اذ ان قصائده تحتوي باستمرار على نماذج انسانية ، تعبر عن تجارب الشاعر بطريقة ابداعية ، وتشارك مع القصة في بعض عناصر بنائها ... ولندكر لهذا الشاعر الكبير قصيدته المعروفة « اغنية العاشق ج . الفريد بروفروك » ... وفي هذه القصيدة يتحدث « مستر بروفروك » عن نفسه ، وهو عجوز يتقدم الى خطبة « فتاة » عصرية تغشى الصالونات وتجيد الحديث السطحي .. وعلى ضوء هذه التجربة يبدأ العجوز في اكتشاف عناصر النفس في ذاته ، فهو ليس متكافئا مع هذه الفتاة ... هي صغيرة تضج بالصبا والحياة ، وهو عجوز جفت ينابيع الصبا والمواقف الحارة في جسده ووجدانه ، وهو اصلع تساقط شعره ، ولم يبق منه سوى شعيرات بيضاء ... وهو يلبس زيا رائعا ولكنه متهدم الاعفاء « ذراعاه عجفاوان ، وساقاه ضامرتان » ... ومن هنا فانه يتردد اشد التردد في الاستمرار في خطبة الفتاة « كيف اجرو على ازعاج الكون ؟ فلاخل لنفسي دقيقة لاتدبر ، ففي الدقيقة متسع للعزم وللمعدل ، وللمعدل عن المعدول »

وتتمليء نفسه بالتردد والقلق وهو في تجربته المريبة تلك .

وتستطيع ان تفسر قصيدة « اليوت » اكثر من تفسير ، على ان اقرب التفسيرات هي ان « الفتاة » رمز للحياة العصرية المتفتحة الخالية من العمق ، و « العاشق » هو الفكر الذي يشيخ ويذبل ويصطدم بعجزه الذاتي وضعفه امام اغراء الحياة وما فيها من دعاء ونداء ، وهذا « العاشق » قد يكون اليوت نفسه ، وقد يكون كل رجال الفكر والعقل في نظر اليوت .

لم يعبر اليوت عن تجربته تعبيرا مباشرا ، ولم يقل كما قال شاعرنا العربي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله واخو الجهالة في الشقاوة ينعم بل لقد صور القلق والتردد وعجز الفكر والثقافة ، بخلق تلك الشخصيات التي تعبر عن نفسها بقوة ... شخصية « الفتاة » الجميلة المفرية التي تكثر من الحديث السطحي عن « ميكلائجلو » وغير ذلك من الموضوعات ... والشيخ الذابل الذي يظهر باحسن مظهر ولكنه في حقيقته يحس بدبيب المدم والعجز ، وهو من هنا يحس بالتردد والقلق ... هل يتقدم الى خطبة « الفتاة » اي هل يقبل على الحياة ؟ ام يعزل عن ذلك .... اي ينعزل ؟

هذا هو الاسلوب الفني الذي يظهر في « مدينة بلا قلب » .... وتستطيع ان تجده واضحا في كل قصيدة من قصائد الديوان على التقريب ما عدا بعض القصائد الفنية العامة ... فالديوان مليء بنماذج انسانية ترمز ، وتعبر ، وتكشف عن الصراع الذي تدور فيه وتعيشه ، وهذه النماذج الانسانية يلتقطها الفنان من واقع الحياة لتدل على رؤيته لهذا الواقع وافكاره عنه .

وطريقة « التشخيص » هذه هي التي تفرض وتبرر ال شكل الجديد للشعر .. لم يعد الشعر كما كان في الشكل القديم للقصيدة مجموعة من الخواطر المناسبة ، لم يعد مجرد « تداعي معان » ... اذ كان الشاعر القديم يستطرد حسبما شادت خواطره من غزل الى وصف للاطلاع الى مدح او شكوى او هجاء او غير ذلك ... كلا فان شاعرنا الجديد مرتبط بضرورة تصوير « شخصيات » و « مواقف » ، وهذا التصوير يحتم عليه نوعا خاصا من البناء الفني تتوفر له « وحدة القصيدة » ، لا « وحدة البيت » ... ان المعنى الذي يريد ان يقوله

ان : ليل الريف ساكن هادىء عامر بالصفاء ... حتى ان « النجمة » في السماء تنعكس صورتها على الماء في الارض .... ولكن اي ماء ؟ .. انه خيط ماء .. ربما كان قنطرة او جدولا صغيرا لا عنف فيه ولا اندفاع .. على ان هذه النجمة « مسجونة » في خيط الماء ذاك .. وهذا معناه ان الوقت بطيء ، وان النجوم لا تتحرك بسهولة .. ان انعكاس صورتها على الماء بدون حركة سريعة منها .. يعني انها اصبحت سجينة هذا الخيط الهادىء الساحر .

وعندما يقول الشاعر لنا « يا ندي ام لم يعد فيه لبس » ... فان هالكا من الحرمان والضييق والمأساة يفتتح امام عيوننا ومشاعرنا ... وعندما يقول : « يا ايها الطفل الذي ما زال عند العاشرة ... لكن عينيه تجولتا كثيرا في الزمن » لا نملك الا ان نهتز بكل عواطفنا امام روعة الصورة واصالتها ... هنا عظيمة التجربة في الريف وعراقتها ، فالناس في الريف يعيشون في صلة مشتركة مع الكون ، ويظلمون التامل في ظواهر الحياة . انهم على صلة « شخصية ذاتية » مع دوابهم ، وهم على صلة « شخصية ذاتية » مع الشجر والزرع والماء ... مع الطبيعة ... والدنيا امامهم لا سرعة فيها ، انما تفاصيل هادئة بطيئة ، وهكذا فان « ابن العاشرة » في الريف يبدو عليه كبر التجربة ، وعمق المباشرة لظواهر الكون ، وذلك الاحساس الفائق بالزمن ... ذلك هو الريف الحقيقي .. وتلك هي دنياء كما ينقلها لنا الشاعر في صورة الجزئية تلك .

ان بلافتنا المصرية لا تهدم بلاغة القدماء ، انما تأخذها كما هي ، ثم تطورها وتعمل على امتدادها ونموها ، ولذلك فان طريقتهم في النظر الى الشعر ليست خاطئة ، وانما هي طريقة ناقصة .. وبالرغم من ان الاحساس قد تغير في بناء القصيدة الشعرية ، وفي النظر اليها .... فاننا سنظل ننظر الى الامور احيانا بنفس النظرة القديمة ونعترف ببعض ما وصلوا اليه ... ولذلك فنحن مثلهم نعجب بالصور الجزئية في الشعر ، مثل الصور التي اشرنا اليها بل ونحتاج الى وجودها ولكننا لا نستطيع ان نقف من حدودها وحسب ... ومثل هذه الصور موجودة بكثرة في هذا الديوان .

واذا كان ابرز ما في « التشخيص » هو خلق نماذج انسانية ومواقف نفسية داخل القصيدة ... فان عنصر « الحوار » يظهر هو الآخر واضحا في بناء القصيدة الجديدة ، ووضوح هذا العنصر يدعم خروج القصيدة الجديدة من الافكار المجردة العامة ، الى التجارب التي تجسد في شخصيات ونماذج ، وتستلزم وحدة في بناء القصيدة كلها لا في البيت وحسب ولا يوجد الحوار بمعناه الكامل في القصيدة العربية القديمة ، بل هو موجود بصورة بدائية محدودة ، ولكنه في القصيدة الجديدة يمثل عنصرا واضحا من بنائها الفني ، وفي قصائد : « الاميرة والغتي الذي يكلم المساء » و « مذبحة القلعة » و « حلم ليلة فارغة » و « الطريق الى السيدة » يظهر هذا العنصر بوضوح ليدعم وسيلة الاداء الفني التي اختارها الشاعر ، واصبحت من ابرز ما يميز الشعر الجديد وهي طريقة « التشخيص » او « التعبير بالصور » ، وهناك الى جانب الحوار الذي يدور بين شخصيتين ، حوار ذاتي هو ما يسمى « بالمونولوج الداخلي » ، وهذا الحوار الذاتي شائع في عدد اخر من قصائد الديوان مثل « العام السادس عشر » و « مذبحة القلعة » ، وهذا الحوار يميز الشعر الجديد ، وهو شائع ايضا في النماذج المشابهة له في الشعر العالمي ، مثل القصيدة التي اشرنا اليها والتي كتبها « ت.س. اليوت » ... فالعاشق ، في قصيدة « اغنية بروفرديل » كثيرا ما يتحدث الى نفسه مستبظنا مشاعرها مقترحا عليها نافذا لها ... الى غير ذلك من

المواقف التي تحدث عادة عندما تنقسم النفس على ذاتها في حوار داخلي عنيف ، والحق ان هذا النوع من « الحوار » هو « المونولوج الداخلي » لم يعرفه الشعر العربي ، لان الشعر العربي كان يعنى بـ « الخواطر » ، والخواطر عادة ما تكون متسقة منسجمة وذات اتجاه واحد ، فهي اما حزينة ، واما فرحة ... وهكذا ، اما « المونولوج الداخلي » فيولد مع الانقسام النفسي ... مع حالة القلق والاضطراب ، وغموض الامور وعدم تحدها امام عين الانسان حيث يتجاذب نفسه امران او اكثر .

ومن الاشياء التي تؤخذ على الشعر الجديد عادة انه اقرب الى النثر منه الى الشعر بسبب ضعف « موسيقاه » فمعظم قصائد الشعر الجديد تكتب في بحر شعري واحد هو بحر « الرجز » ، وهذا البحر معروف عند العرب انه اقرب البحور الشعرية الى النثر وقد « يجيء الكلام على وزن الرجز دون عمد او قصد بل يكون وزنه عفوا وبمحض المصادفة » .. وقد كان « الرجز » في الجاهلية هو البحر الذي ينظمون فيه اشعارا كانوا ينظرون اليها على انها نوع من « الادب الشعبي » في جدير بالتسجيل ... ذلك ان « الرجز » كما يقول احد علماء العروض العربي « كان فنا مستقلا من فنون القول ، فالناس في لهوهم وعشيم ، في اسواقهم وبيعتهم وشرائهم ، في بعض افانيهم وغزلهم ، في دعاباتهم وفكاهاتهم في القصص والحكايات ، في كل ما يعرض لهم من شئون في حياتهم العادية التي تخلو من الجد والجلال كانوا يعمدون الى الرجز فيروحون به عن انفسهم ويمضون به عما يمكن ان يجيش في صدورهم من معان هي ملك لهم جميعا ، واخيلة وصور في متناولهم جميعا : العامة منهم والخاصة » ... فهذه الوظيفة القديمة للرجز توضح تماما ان العرب كانوا ينظرون بهذا البحر على انه قريب جدا من النثر ... والانتباه الذي يوجه الى الشعر الجديد هو في نفس الوقت غاية من غايات هذا الشعر وهدف من اهدافه ، فالشعر الجديد يقوم على اساس من التعبير عن وظيفة اجتماعية جديدة ، وقد دفعته هذه الوظيفة الاجتماعية الى البحث عن قالب اكثر عمقا واتساعا ودفعته الى ان يتخلص من بعض الخصائص الظاهرة في القصيدة ، ومن هذه الخصائص : النظم الخارجي الواضح ... فالقاريء للشعر العربي القديم كثيرا ما يشغل بما فيه من موسيقى صاخبة من معانيه الداخلية ، والشعر الذي كانت وظيفته في الماضي هي التأثير في الناس عن طريق الالتقاء اصبحت وظيفته ان يؤثر في الناس عن طريق القراءة ، ويحتاج الالتقاء الى الطابع الخطابى ، وتحتاج القراءة الى « الهمس » .. الى « الايحاء » .. ان النظم لم يعد الشغل الشاغل للشاعر الجديد ، بل هناك التجربة التي يمر عنها وهناك الصورة التي يرسمها والبناء الفني الذي يصمم للقصيدة كل هذا شيء جديد على الشعر يحتم التخلص من النظم الصارخ العنيف الواضح .. وقد اتجه الشعر الجديد ، وهذا الديوان من اهم نماذجه الفنية ، الى طريقة « التشخيص » للتعبير عن التجارب المختلفة ، وقد خلقت هذه الطريقة في القصيدة طابعا قريبا من طابع القصة ، ويحتاج مثل هذا الطابع الى التخلص من النظم الصاخب ، والاهتمام بالنظم الهادىء اليسير الذي يصلح لرواية شيء ما .. وهذا هو الذي دفع الشاعر الجديد الى اختيار الرجز وتقليبه على فيه من البحور الشعرية و« الرجز » هنا يقوم بالدور الذي رفض القدماء للشعر ان يقوم به وهو التعبير عن تجارب الحياة اليومية ، لا عن التجارب العامة مثل الحرب والفقر وما الى ذلك من تجارب الحياة العربية في مجتمع القبيلة .

والشاعر الجديد يقول تماما كما قال الشاعر الانجليزي المعروف (بيتس) :

على ذاته مشاعر لم تنبع بصدق من هذه الذات ... انها « خطابية »  
جديدة تختلف عن الطابع الخطابي القديم للقصيدة العربية .

✱

وبعد هذه الرحلة الطويلة في ديوان « مدينة بلا قلب » نترك هذا  
الديوان للقاريء والتاريخ .. لقد قال احد المفكرين ذات مرة « ان الكتب  
هي ، بعد الناس ، اهم شيء في هذا العالم » .. وتلك فكرة صحيحة  
صائبة ، فالعمل العظيم في ميدان الفكر او الفن يحمل بين سطوره اهم ما  
في الشخصية الانسانية من عناصر ، سواء كانت هذه الشخصية هي  
شخصية فرد او شخصية جماعة ... او شخصية فردية تدل على  
مجموعة كبيرة ولا تقتصر على دلالتها الذاتية .. وفي اوائل هذا القرن  
قال الزعيم الاشتراكي الكبير لينين « لقد عرفت عن فرنسا من خلال  
روايات بلزاك اكثر مما عرفت عن طريق كتب التاريخ » ... ذلك ان  
العمل الفني العظيم يحمل صورة حية عن العصر الذي يعيش فيه ، حتى  
وهو يصور نفسية صاحبه وافكاره ، فانه في نفس الوقت يصور الآخرين  
من خلال هذه الصورة الذاتية التي لا تخص الفنان وحده ، وانما هي  
صورة لما يدور في نفوس الفم وفي اذهانهم .. وفي هذا الديوان صورة  
لعمرونا ، وهي صورة نادرة في صدقها وعمقها واصالة ارتباطها بجوهر ما  
يجري في حياتنا ، لا بالسطح الخارجي الذي يبهج النفوس المحدودة ،  
ويخطف ابصار الذين لا يستطيعون النظر الى بعيد ، وعندما يعبر احمد  
حجازي عن تجاربه الخاصة نجد ان هذه التجارب ليست ابدا صورة  
لنفس واحدة لا تتكرر ، ولكنها صورة حقيقية لنفسية جيل بأكمله ،  
للصراع الذي يدور في العالم النفسي لهذا الجيل ، وفي العالم الواقعي  
الخارجي الذي يتصل به ويتحرك فيه .

فالى القاريء والتاريخ هذا العمل الفني العظيم ... الذي هو  
وثيقة تشد على عصمنا ، وتصور جيلنا .. انه عمل فني يقول لنا  
بوضوح : من نحن ، وفي اي عصر نعيش .. ثم هو فوق ذلك فن مكتمل  
الاداء موفور النصب في ميدان المهبة والاجتهاد على السواء .

رجاء النقاش

القاهرة

المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر

تقدم

قصص الحياة

تأليف :

حاك لندن

ناتانيال هوثورن

امبروز بيرس

سوزان غلاسبيل

ستيفن فنسنت بنيت

سكوت فترزجيرالد

ترجمة :

اميل خليل بيدس

تكفي أسماء هؤلاء جميعا لجعل هذا الكتاب

رائعة تفخر بها المكتبة العربية

التمن ليرة لبنانية واحدة

«لقد كنا نريد التخلص لا من مقاييس البلاغة وحدها فحسب بل من  
المبارة الشعرية ايضا ، لذلك حاولنا ان نخلع كل ما يتسم بالتكلف ، وان  
نختار اسلوبا اقرب الى الكلام بسيطا كابسط انواع النثر ، كانه صيحة  
تخرج من القلب » .. هذا هو بالضبط ما يريده شاعرنا الجديد ، وهذا  
ما الجاء الى بحر الرجز ، وهو البحر الشبيه في الشعر الانجليزي بحر  
« الايامب » ذلك البحر المستخدم كثيرا عند الانجليز ، ولا يمكن التعبير  
عن القصة الشعرية في الادب الانجليزي الا عن طريق هذا البحر المشابه  
لبحر الرجز .

وشاعرنا يستخدم بحر « الرجز » في اكثر من ثلاثة ارباع قصائده  
هذا الديوان ، اما القصائد الاخرى فموزعة بين عدد من البحور المختلفة ،  
والاساس الذي دفع بشاعرنا وبغيره من شعراء الجيل الجديد الى اختيار  
هذا البحر هو تبسيط العبارة ، والتخلص من النغم الخارجي العنيف  
الحاد حتى تتاح فرصة للعناصر الاخرى في القصيدة ان تبرز بوضوح  
في جو من الهدوء الذي تتميز فيه الاشياء ، لا في جو من الضجيج الذي  
يخفي التفاصيل والجزئيات .

ومع ذلك كله فان احمد حجازي يعتبر من اكثر الشعراء الجدد تنوعا  
في انغام بحوره ، فعدد كبير من الشعراء يقفون بشكل واضح ملموس  
عند حدود نفمة لا يتعدونها ابدا .. ولكننا نجد في هذا الديوان عددا  
من القصائد الهامة الرائعة والتي تعتبر من اجمل قصائد الشعر الجديد  
على الاطلاق قد كتبت في بحور غير الرجز مثل العام السادس عشر  
« رمل » وكان لي قلب « هزج » ولن نغني «كامل» .

ونحن نعتقد ان شاعرنا سوف يتوسع مستقبلا في استخدام البحور  
الاخرى في الشعر ، ففي شعره بذور نزع « خطابية » جديدة ، سبب  
هذه النزع هو ارتباطه في بعض مواقفه الفنية بالتعبير عن قضايا عامة  
تتصل اتصالا مباشرا بالجماهيم ، بل ان احمد حجازي من اكثر شعراء  
الجيل الجديد الذين يتصلون بالجمهور ويقومون ب « القاء » شعرهم  
في جماعات ، فقد رصد جزءا من شعره للتعبير عن قضية يؤمن بها اشد  
الايمن ويشترك في الايمان بها مع عدد كبير  
من الناس ، ولذلك فهو يستخدم النداءات احيانا ، ويستخدم  
الشعارات احيانا اخرى ، ولكنه استخدام مقبول لانه ينبع من حاجة  
نفسية اصيلة للاتصال بالجمهور ، وللتعبير عن الفكرة التي يؤمن بها ،  
ويبنى عليها مجموعة من الاحلام في دنيا القد ، بل وفي دنيا الحاضر  
ايضا ، وهذا الموقف يتكرر في العهد الحديث لدى عدد من الشعراء  
الذين يمرون عن قضايا عامة مشتركة ، مثل « كبلنج » الشاعر الاستعماري  
الذي كان يستشر النزع القومية المتدبة عند الانجليز ، وكانت افكاره  
بالقياس اليها افكارا استعمارية وعدوانية ، ولكن طريقة الاداء الفني عنده  
كانت متفوقة جميلة .. ومثل ناظم حكمت الشاعر التركي الانساني ،  
والذي يكثر من مخاطبة الناس حول قضية عامة ، ومثل النشيد الانساني  
الخالد المعروف ب « المارسلينز » للشاعر الفرنسي ، فهو من الناحية الفنية  
مكتمل رغم نزعة الخطابية .. وكذلك في شعر « والت وينتمان » الشاعر  
الامريكي الديموقراطي الكبير وسوف نجد هذه النزعة عند احمد حجازي  
في قصيدة طويلة رائعة لم تنشر بعد هي قصيدة « اوراس » كما انها  
تبرز في بعض اجزاء قصيدة « بغداد والموت » و « سورية والرياح » ..  
وبعض القصائد الاخرى المشابهة ، والنزع الخطابية هنا وبهذا المعنى  
ليست نزعاً مكروهة او مرفوضة ، انها لا تعثر بالبناء الجديد للقصيدة ، اذا  
كان الشاعر قويا قادرا مؤمنا بما يعبر عنه ، ولا تفرض العودة الى الشكل  
القديم بما فيه من بدائية وقصور .. كلا فهي نزع جديدة ، تملأها حاجة  
من حاجات العصر ، اذ يعود الشاعر الى الاتصال بالجمهور اتصالا مباشرا  
ولكنه لا يفقد نفسه وسط هذا الجمهور ، ولا يفقد مواهبه ، ولا يفرض



# في حيّ القصبة

بقلم حنفي بن عيسى

وكنا هناك على احد الكراسي الخشبية نعلق على اخر الاخبار .  
قالت لطيفة : لقد اقترب اليوم الذي كنا نخشاه .  
فاستفسرت زكية : هل تقصدين الفحوص ؟

- نعم ، ويشاع انها السنة ستكون في منتهى الصعوبة .  
واردت ان اغير مجرى الحديث ، لانني على اي حال ، لم اكن انوي  
ان اشارك في الامتحانات ، ولا يهمني ان يقترب موعدنا ولا يقترب :  
ب بالناسبة يا آنسة جميلة . لماذا يتخلف اخوك عن الحضور في هذه  
الايام الاخيرة ؟ هل هو مريض ؟

فبادرت زكية إلى معاكستي كما تعودت دائما ان تفعل :

- انها تسال عن مخلوف . هي دائما تسال عن سي مخلوف : كيف  
حال سي مخلوف يا جميلة ؟ لماذا يتغيّب سي مخلوف ؟ هل سي مخلوف  
مريض ؟ قضيتك معه واضحة .

ورن ضحك الفتيات ، عاليا ، صافي النبرة ، وتبادلن النظرات . اما  
انا فقد بقيت في وسطهن ، واجمة ، محمرة الوجه ، لا ادري ماذا اجيب .  
وانقذتني جميلة من موقعي الحرج عندما قالت :

- فيما يتصل بالامتحانات ، لا اعتقد اننا سنشارك فيها . فقد قرر  
الاتحاد العام للطلبة الجزائريين الاضراب عن الدراسة الى اجل غير  
مسمى .

واخرجت من محفظتها التي كانت ثقيلة ذاك الصباح اكثر من المعتاد ،  
كومة من المناشير ، ووزعتها علينا وقرأنا بيان الاتحاد العام ، وسرى الحماس  
بيننا ، وفي مدى ربع ساعة وصل الخبر الى كل مكان . وكانت المناشير  
تنطلق ايدي زميلاتنا الفرنسيات في شيء من الدهشة والاستغراب  
وغير قليل من الوجوم . اما نحن فقد كنا ندخل غرف الادارة ، وقاعات  
المحاضرات ، وكنا نلصق البيان على الجدران .

ورن الجرس مؤذنا ببداية الدرس . وتزاحم الطلبة الفرنسيون على  
القاعات . اما نحن فقد سلكتنا طريقا اخر ، فخرجنا في مظاهرة عبر  
الشوارع ، نعبّر ذاك الصباح عن مشاعرنا بالهتافات والاناشيد .

\*\*\*

- لا شك ان هناك طريقة .

هكذا قالت جميلة ، ثم سكنت لحظة ، واجالت نظرها في الوجوه  
الفتية التي التفت حولها . كانت تتكلم في مركز جمعية العلماء ، حيث  
اعتادت خليتنا السرية ان تجتمع . وكان المركز بحي القصبة ، وكانت  
بيوت القصبة تشكل مخايب للارهابيين الذين ينشرون الرعب والفرع في  
قلوب المستعمرين . ان المظليين يخافون من القصبة . الجنرال ماسو  
يخاف من القصبة : كل الفرنسيين يخافون من القصبة . ان ازقتها مليئة  
بغلايا الارهابيين السرية . وكانت جميلة على رأس خليتنا .

- لا شك ان هناك طريقة لمعالجة هذه الحالة . كل واحدة منكم تعرف  
جيذا ان معظم الشبان قد التحقوا بجيش التحرير في الجبال ، واما الذين

الى تلك التي وقفت الى جانب الرجل لتدافع عن حياض الوطن ، الى  
جميلة وامثال جميلة بوحيرد من النساء العربيات ، اهدي هذه القصة .

✱

لا ادري كم مر من الوقت منذ ان جلست امام نافذة بيتنا في حي  
القصبة بمدينة الجزائر . انني احقد في الناس وراء الزجاج ، واطيل  
فيهم التحديق ، وابصرهم يعمرون في شيء من العجلة والاضطراب فمنهم  
العمال في ثيابهم الرثة البالية ، ومنهم الطلاب ، ومنهم النساء ، وقد  
لبسن لحافا ابيض يسترهن عن اعين الناظرين ، ومنهم ماسحو الاحذية  
الذين يرددون الاناشيد الوطنية التي تملوها في حياتهم المضطربة المليئة  
بالؤس والشقاء .

ان حقيقة بلادي تبدو في هذا الزقاق الضيق من حي القصبة ، والواقع  
المرير الذي يعانيه وطني يتجلى في هذه البيوت التي لا ينفذ اليها النور،  
وفي هذه المخلوقات التي تردد على هذه البيوت كل مساء ، وتخرج منها  
في الصباح ، وبالرغم من ان بلادي مشهورة بشمسها الساطعة ، وسمائها  
الصفاية الاديم ، فلم تعد كذلك منذ عدة اشهر .

كان وطني حلم السواح الاجانب الذين يبحثون عن الجمال والهدوء  
والسكينة ولكن البارود ورائحة الحريق قد انتشرت اليوم في كل مكان .  
ستطيع السواح الاجانب اذا اتبع لهم ان يزوروا وطني في هذه الظروف، ان  
يتحدثوا عن الجثث التي تتساقط في شوارع المدن من غير ان تجد من  
يدفنها . يستطيعون ان يسمموا دمدمة المدفع الرشاش ، وفرقة القنبلة  
اليديوية ، وازيز الطائرة التي تبحث عن المجاهدين في كل مكان من غير  
ان تثر لهم على اثر . ويستطيعون ان يشاهدوا هجوم المظلمين على حيننا ،  
حي القصبة ، بامر الجنرال ماسو .

ورغم هذه الظروف ، فينفي لي ان افكر في امر مستقبلي كسائر  
اللواتي بلغن سن العشرين فتفتحت عيونهن ذات يوم على عالم مليء بالمصنف  
والقسوة . ان علي ان اقرر مستقبلي ، وانا اشعر تمام الشعور ان البقاء  
على مثل هذه الحالة لا يطاق . كيف يمكن لي ان اتقدم الى فحص  
الجامعة في هذه الظروف المضطربة ؟ كيف يمكن التفكير في مواصلة  
الدراسة ؟ وانا لا امن على نفسي ان يعتدي علي المظليون في طريقي الى  
الجامعة ؟ كيف يلذ لي ان اجلس على كرسي الدراسة ، وانا اعلم ان  
بعض زميلاتي ، ولا اتحدث عن زملاء ، قد هجرن مقاعد الدراسة ،  
والتحقن بجيش التحرير ؟

لا . بكل تأكيد ، لا اعتقد انني سأتقدم الى الفحوص ، ولا يهمني ان  
انجح في هذا العام او في العام المقبل ولا انجح ابدا .

ذاك الصباح ، كانت الشمس ترسل اشعتها الذهبية خلال اشجار  
التوت التي تملأ حديقة الجامعة . وكانت الاشعة تنفذ الى النفوس رقيقة  
لذيذة ، وكانت تداعب الوجوه في نعومة ، وكانت رائحة الارض المبتلة  
بالندى تختلط ذاك الصباح برائحة الياسمين التي تنتشر من الحديقة ،



لا يزالون في العاصمة فهم مراقبون مراقبة شديدة ، ولا يستطيعون ان يحملوا السلاح لانهم معرضون في كل حين للتفتيش .

وتوقفت قليلا لترى اثر كلماتها في الوجوه ، ثم استأنفت كلامها .

— منذ اليوم ، سنقوم بدور الشبان في العاصمة ، سنحمل القنابل اليدوية تحت لحافنا الابيض ، سنخرج الاسلحة المدمرة من حي القصة الى الحي الاوروبي لينشر شبابتنا هناك الرعب والفرع .

ووزعت علينا مهماتنا ، وكان علي ان انقل عدة قنابل يدوية من القصة وان اعطيها لمخلوف ، وان اساعده في مهاجمة احد مراكز البوليس .

اذن سأل بس اللحاف الابيض الخاص بنا بنساء العاصمة ، وساضع فوق وجهي برقما ، ولن يبدو من وجهي سوى الجبين والعينين ، لم اتعود اذن سأل بس اللحاف الابيض الخاص بنساء العاصمة ، وساضع مني اليوم ان ارتدي هذا اللحاف الذي يوحى بالظهر والبراءة . وعلي بعد ذلك ان اتكلف الرزاة والوقار ، وان اكون هادئة الى اقصى الحدود ، علي ان امر امام المظليين في مدخل الحي العربي وان لا اظهر اثرا للخوف والارتباك .

ساحس بالقنابل اليدوية ثقيلة ، وساشعر بعيون الجنود تحاول في اصرار وعناد ان تستشف ما وراء اللحاف . ساحس بالعيون الزرقاء المليئة بالقسوة والمكر تنفذ الى اعماقي لتطلع على السر الرهيب ، وعند ذلك ساشعر بمفص في معدتي ، وسيصيب عرقي ، وتدور الدنيا امام عيني ، وفي ذلك الحين ساعرف الخوف الاكبر الذي لم اعرفه خلال حياتي الهادئة .

ومع ذلك فانا واثقة ان مخلوف سيشرف على العملية بحكمة وبراعة وما علي الا ان اتبع تعليماته . لاشك انه يعرف معنى الخوف . ساطلب منه ان يشرح لي ذلك . انه ارهابي . اخته جميلة ارهابية . زكية التي يلد لها بين الحين والاخر ان تشير الى علاقتي مع مخلوف هي ايضا ارهابية . انا لست ارهابية . لم اصبر بعد ارهابية ، ينبغي ان امر باللحظة الحاسمة ، وان احس بالمفص في معدتي حتى اكون ارهابية .

\*\*\*

مرت امام المظليين في مدخل الحي العربي ، ولكن لم تخفني عيونهم الزرقاء المليئة بالقسوة . وكان مخلوف يسير على بعد خطوات ، فلما بلغ الحي العربي امره المظليون ان يرفع يديه وان يستدير مواجه الجدار . ثم رايتهم يفتشونه ، ثم طلبوا منه الهوية وسجلوا اسمه . وبعد قليل رايتهم يضع اوراقه الثبوتية ، ويصلح هندامه ، ويسير هادنا مطمئن البال . ثم جاءت اللحظة الحاسمة ، ووجدت نفسي امام المظليين ، ورايت رشاشاتهم الصغيرة المعلقة على اكتافهم العريضة ، ولحت الوحشية والقسوة تلمع في عيونهم الزرقاء . ثم اتجه بصري الى مخلوف ، ولم اعد ارى المظليين والرشاشات المعلقة على اكتافهم ، ووجوههم القذرة . كانت عينا معلقين بمخلوف ، وكنت احس ان جميع كياني يتجه اليه في شوق وحرارة . وانتظرت الكلمة الرهيبة التي نامرني بالوقوف ورفع اليدين ، ومواجهة الجدار ، ولكن الكلمة الرهيبة لم تأت ومررت بسلام .

\*\*\*

ذاك المساء ، كانت الشمس ترسل اشعتها الاخيرة ، فتتسلل عبر الشوارع الضيقة وتحاول عبثا ان تبعث شيئا من الفرح والسرور في النفوس ، ولكنها لا تستطيع ان تعيد لهذه المدينة نشاطها القديم . فقد اغلقت ابواب الدكاكين ، وظلت السابلة في الشوارع ، ولجا الناس في حزن دفين ،

والم كبير الى بيوتهم . ولحقت بمخلوف ، وكان ينتظرنني في منعطف الشارع .

كنت التقي بمخلوف في الكلية مع اخته جميلة . وكان يحييني تحية سريعة ، وكنت ارد عليه بابتسامة احاول ان احملها من المعاني ، وانا اعترف بذلك ، اكثر مما تطيق . ولكن الامر لم يتجاوز في يوم من الايام التحية السريعة من جانبه ، والابتسامة المشجعة من جانبي . وما انا اليوم اسير معه في شوارع المدينة واحس ان مهمة واحدة قد جمعتنا ، واشعر بقوة ، ان مصيرا واحدا ينتظرنا هناك ، في منعطف الشارع حيث يقع مركز البوليس . وسرنا خطوات لم نتحدث خلالها ، ثم سألته :

— قل لي يا مخلوف ، هل شعرت في يوم من الايام بالخوف ؟

— من الطبيعي ان اخاف . كل الناس يخافون في بعض الاحيان .

— ولكنك ارهابي .

— الارهابي انسان قبل كل شيء يا زهور .

— هل ينجح الارهابي في مهمته اذا خاف ؟

— لا يشعر الارهابي بالخوف عندما يؤدي مهمته . انه يمسك القنبلة اليدوية بيد قوية ، ثم ينزع الحلقة ، ويرمي القنبلة وهذا كل ما في الامر . ليس لديه الوقت الكافي حتى يشعر بالخوف ، لان تفاصيل الخطة تكون قد استولت على جميع تفكيره .

— ولكن كيف لا تشعر بالخوف وانت مقبل على الموت ؟

— عندما انتهت من المهمة ، وارجع الى البيت ، واستلقي على فراشي عندما اشاهد لهفة والدي واشفاقهما علي ، عند ذلك فقط احس بمفص في معدتي يستولي على جميع كياني ، وانصور انني اشرفت على الموت . عند ذلك اشعر بالخوف .

وكنا آنذاك قد اقتربنا من مركز البوليس .

— افتحي العلبة يا زهور . ناوليني قنبلة . اختبئي هنا ، وراء الجدار . وبعد دقيقة واحدة ، دوى انفجار رهيب هز اركان المدينة ، وسمعت زجاج المدينة يتساقط هنا وهناك .

— ناوليني القنبلة الثانية .

كان ينوي ان يرمي القنبلة على نفس المركز ، ولكنه ابصر دورية افرنسية مقبلة من شارع مجاور .

واندفع نحوها حتى صار بالقرب منها ، ورمى القنبلة . وسمعت دويا قويا اعقبته طلقات مدفع رشاش ، وخلال الطلقات التي لم تنقطع سمعت صوتا قويا يصرخ بافتخار وتحد :

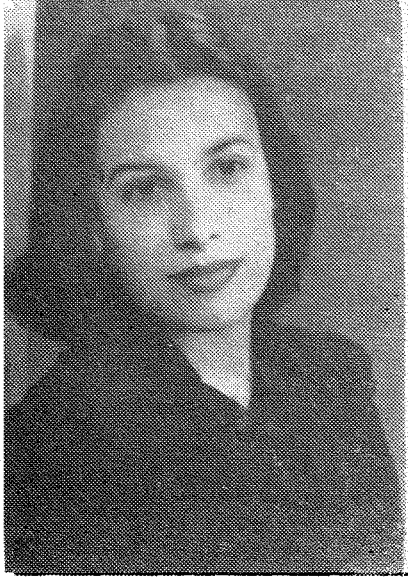
— تسقط فرنسا المجرمة . تحيا الجزائر !

اما انا فقد كنت اعدو بكل قواي ، متعثرة في اللحاف الابيض الطويل . وابصرت امامي دورية ثانية ، وسمعت ورائي احذية الجنود تدك الرصيف بقوة ، وشعرت بانفاسهم المحرقة على ظهري . ثم رايت اللحاف الابيض قد احمر في منطقة الكتف ، ومرت غمامة سوداء امام عيني ، ولكنني لا ازال اعدو بكل قواي . وفجأة سمعت صوت مخلوف يرن في الفضاء واضحا صافي النبرة ، وتبينته خلال الضجيج . وخيل الي ان الصوت ياتي من كل مكان : من السماء ، من الارض ، من الامام ، ومن الخلف . انه صوت مكبر ملايين المرات . واغلقت اذني حتى لا اسمعه ، ولكن الصوت ارتفع وراء السياج الذي وضعته ، داخل راسي ، وانفجر هتافا طويلا قويا :

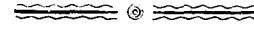
— تسقط فرنسا المجرمة . تحيا الجزائر !

ثم لم اعد اذكر شيئا .

حنفي بن عيسى



## السطورة الوفاء



باعماقنا واستحالت  
الى صورة زائفه  
انانية يا رفيقي تعشش فينا  
تسير رغباتنا في الخفاء  
ونحجبها بنقاب كثيف نسميه نحن وفاء

★

بلى يا رفيقي  
بلى قد يطل  
هنالك ظل  
لبعض رفات  
رفات غرام تلاشى ومات  
يطل ونجهل كيف يطل  
فتوقد شمعه .  
لديه ونحضن ذكراه فتره  
ونرجع من بعد نؤويه قبره  
وندفنه من جديد  
وما في الجوانح لوعه  
ولا في المحاجر دمه  
ونمضي نلبي النداء القوي نداء الحياه  
وتحملنا الريح في كل صوب وكل اتجاه  
وننسى القديم ونحيا الجديد  
ونرجع نسال : اين الوفاء  
اما من وفاء !!!

فدوى طوقان

نابلس

وتسال اين الوفاء  
اما من وفاء ؟  
واضحك في وجهك المتجهم اسأل مثلك : اين الوفاء ؟  
وماذا عن الاوفياء ؟  
واين هوالك القديم واين النساء  
مئات النساء اللواتي حببت، وكل امرأة  
تظنك ملك يديها  
وتحسب حبك وقفا عليها  
تظن غرامك ابقى من الشمس ارسخ من راسيات  
الجبال

وتابى تصدق ان الوفاء  
يظل خرافه  
يظل خيالا ووهما  
واسما لغير مسمى  
وشينا محال

★

نريد من الآخرين الوفاء  
تصفدهم نحن ، نربطهم بالرجاء  
بحبل سراب كذوب  
ببرق خلوب  
ونمضي لنشرب كأسا جديد  
ونمضي لنطعم لونا جديد  
لنحيا غرما جديدا لنعبد وجهها جديد  
ونرجع نسال : اين الوفاء !

★

نريد من الآخرين البقاء على عاطفه  
ذوت وتلاشت

# نقطة العرب .. وأمل بحسريته

## بقلم زوقان فرقوط

على صهر كل ما تتلقاه من الاصدقاء والاعداء وتحويله لصالحها وصالح الانسانية بروح جديدة وعلى مستوى جديد .

★

كان انقسام العالم الى معسكرين ، انقساماً حول نظريتين تتنازعان السيطرة على هذه الكرة وتدعيان - كذبا او صدقا - الايمان برسالة انسانية شاملة . ولكن العالم لا يدور كله في فلكي هاتين النظريتين . ان اكثريته تنوء تحت وطأة اوضاع بالية ويتحكم فيها الجهل والفقر والاستغلال والاستعمار . غير ان جماهير هذه الاجزاء الواسعة من العالم بدأت تتململ وتسعى في سبيل حياة افضل . والورقة الرابعة والوحيدة ، المكشوفة بيد المعسكر الشرقي هي لصالح هذه الجماهير . بينما اتجه المعسكر الغربي الى الطبقات الحاكمة والطامعة في الحكم والمستثمرين تمشياً مع طبيعة نظامه واهداف مصالحه . ولكن ، على الرغم من ان اكثرية الجماهير العالمية تعادي المعسكر الغربي الا انها ليست مع المعسكر الشرقي في الاستجابة لنظريته . انه يحاول جذبها ولكنها ترنو الى افاق ابعد منه .

وقد بات من المستحيل - بعد تطور القوى والمخترعات - توصل احدي النظريتين الى بسط نظامها على العالم . فالى متى يمكن ان تستمر المبارزة بين المعسكرين في حرب الاعصاب المسطرة على البشر دون ان يؤدي الاحتكاك اخيراً ، في منطقة ما ، الى حرب عالمية لا يستطيع احد تقدير نتائجها على الحضارة الانسانية والعقل البشري؟ ان الخطر ، كل الخطر ، يكمن في انفراد هاتين النظريتين بالمبارزة نيابة عن البشر .

★

اذا كان مصير الانسانية ، اليوم ، بين ايدي المعسكرين فان انقاذها حتماً بات بعيداً عنهما . لقد اجتازت الشعوب مرحلة المفاضلة بين النظامين الشرقي والغربي وتقدير عدالة احدهما على حساب الاخر . ذلك ان اتساع رقعة هذا المعسكر ، او ذاك ، لا يبعث على تسكين القلق ، الذي يملأ قلب كل انسان على الوجود البشري ، اذا لم يكن هذا الاتساع ، على العكس ، باعثاً على زيادته . فالامل في تبديد القلق وفي الاستقرار ، بل والامل في انقاذ الانسانية ، بات موقوفاً على وجود القوة الفعالة ، الايجابية بين المعسكرين ، فهل اصبح الاختيار بين النظامين ، فرضاً كالقضاء والقدر؟! هل ضاق العقل البشري وعجزت قدرة الانسان عن الوصول

لم يكن من عبث القدر ان يبدأ تفتح القومية العربية على اثر انقسام العالم الى معسكرين متناحرين ، متضادين . فالعرب الذين بلوا الحكم الاجنبي في ازيائه المختلفة وعانوا تجارب عديدة من الخطأ والصواب بداوا يعرفون كيف يشقون طريقهم في كفاح الاستعمار وينفصلون عن فلكه كما انفصل النور عن الظلام ، ويطغى عليه ، دون ان ينحازوا الى الفلك الاخر . ذلك ان القومية العربية التي تفتتح في نفوسهم وتضيء جوانب ذهنيهم ليست مجرد لفظة مستعارة من الخارج ، تطغى عليها النظريات الدارجة ، ولكنها قومية متميزة تنبع من صفات عربية تبلورت على مر العصور ، وهي كلما ازدادت احتكاكاً مع تيارات العصر المتضاربة ، وتفاعلاً مع الاحداث ، التي تضغط عليها ، او تقويها كلما تكشف عن منابع جديدة وخطت نحو تأكيد ذاتها . وهي ، بخلاف كثير من القوميات ، ذات ماض حضاري عربي في القدم عانت فيه الامة العربية وجوها عديدة من حاجات الانسانية ، واستجابات لها . فلا عجب اذا وجدنا وراء هذا التفتح ارادة اصيلة ، صلبة تعرف كيف تقول « لا » ومتى تقول وتمتنع على كل ما يضر بسلامة هذا التفتح .

ان القومية العربية منيعة على الاستعمار ومغرياته لانها تستهدف القضاء عليه في ارض العرب ، وهذا يعني القضاء عليه في اهم مراكزه ومصادر قوته في العالم . لذلك - ما دام العرب قد شقوا طريقهم - فان تحرر الشعوب المستعمرة قد اصبح مرتبطاً الى حد ما بتحرر العرب . وهي منيعة على « النظريات الثورية » القديمة ، الرائجة اليوم ، لانها غير ملائمة لطبيعة العرب الحرة فحسب ، ولكن ، لانها لا تفي ايضاً بحاجاتهم ونزعاتهم الذاتية واندفاعهم للتجدد . ان حاجة العرب للانقلاب على واقعهم الفاسد المتراكم ، منذ مئات السنين ، والظروف الاستعمارية المختلفة ، التي تضغط عليهم وتحيط بهم ، هيأت للقومية العربية جميع الاسباب لتصبح اغنى واعمق ثورية ، على الصعيد القومي والانساني ، من تلك « النظريات » ، وان التجارب المتعددة ، المختلفة ، التي تمر بها كافة الاقطار العربية ، في طريقها الى وحدتها ، وتحرورها ، ستخط هي نفسها اشمل النظريات الثورية واصدقها انطباقاً على الواقع العربي والانساني ، وتعبيراً عن آمانيه .

وتلك المناعة لا تعني ان القومية العربية جامدة لا تأخذ ولا تستفيد بل على العكس فان حرارة الثورة فيها قدرة

الى تحقيق نظام ثالث او رابع يقيم العدالة الاجتماعية، ويكون اكثر استجابة لرغبات البشر ؟ ليس من العلم في شيء ولا من الخير ولا من الايمان بتطور البشرية وتقدمها ، ان يقال: امامكم طريقان لا ثالث لهما: اما الماركسية او الاستعمار .

ان آفاق العقل البشري قد اتسعت كثيرا وكشف التقدم العلمي ووسائل الحضارة الحديثة عن اتجاهات جديدة ، توالدت ، اما نتيجة للتناقضات الموجودة في كل من النظريتين الساعيتين الى السيطرة على العالم ، او نتيجة للاحتكاك بينهما . وبين اتجاهات دفيئة . واذا كانت القوانين الاقتصادية المثلى تنطبق على كل المجتمعات ، فهل تنطبق تجربة مجتمع ما ، على بقية المجتمعات ؟ مع ان لكل مجتمع ظروفه التاريخية والسياسية وبيئته الجغرافية وحاجاته الخاصة للنمو والتطور ودوافعه الذاتية . ليس بمستطاع اي نظرية من النظريات الاحاطة بالعالم كله ، حتى النظرية الماركسية التي تبدو اكثر تماسكا من غيرها قد اصبح لها - بعد الاخذ بها في ثلاث دول مختلفة : روسيا ويوغسلافيا والصين - ثلاثة وجوه مختلفة نوعا ما ، لولا الظروف السياسية المحيطة بالعالم ، لانكشف التباين بينها اكثر وضوحا ، سيما اذا جاءت دوافع هذه التجربة حية من الداخل ، خالية من التصنع ، والتقليد الاعمى .



لقد نشأ النظام الاستعماري على اثر الاكتشافات الجغرافية والاختراعات العلمية وتقدم الانتاج ، على حساب شعوب العالم ، لصالح اقلية منها ، وكان في الواقع ، استمرار النظام العصور الوسطى وما قبلها في الاستغلال وسيطرة القوى ، على الرغم مما بين العصور الحديثة وتلك العصور من تناقض وتفاوت في المستوى العلمي والفكري .

كانت اوربا نائرة فحول الحكام ثورتها الى الخارج ، وغمرت نافات الابداع ، فادخل في روعها ان الاعجاز الذي حققته بمخترعاتها ، انما مبعثه ان العناية الالهية اناطت بها مهمة القيادة في العالم . وكانت كلما توغلت في استعمار العالم ومعرفة احوال شعوبه الفارقة في الاوهام ، كلما ازدادت قناعة . وايمانا بمهمتها تلك .

ولم تعتبر اوربا نفسها، التي قادت تقدم علم النفس، ومعرفة قوانين العقل والاكتشافات التاريخية والاثريّة ، بالحقيقة المنطقية التي تؤدي اليها هذه المعارف الا وهي: مبدا المساواة بين العقول والشعوب . والامكانيات البشرية ، ولا بمبدأ نشوء الحضارة وانقراضها ، وانما بقيت تعتقد ، نسجا على منوال المراحل التاريخية الماضية ، انه في مقدور شعب ما ، او مجموعة متجانسة من الشعوب ، اقامة حضارة رائعة على انقاض الحضارات الخاوية ، واستغلال الشعوب الاخرى ، بينما تتميز المرحلة التاريخية التي نمر بها الان ، بان العلم جعل في مقدور شعوب العالم جميعا ، ان تمضي معا ، وفي الوقت نفسه ، قدما ، في النهوض والابداع واقامة الحضارات الخاصة بها ، كل شعب في المجموعة البشرية يعزف لحنه المهيأ له .

استوحى ماركس من جميع الثورات التي وردت الى علمه في التاريخ وخاصة الثورة الفرنسية وما تلاها من حركات . ومما لا شك فيه انه استطاع ان يثور على كل شيء ولكنه عجز عن الثورة على الشيء الوحيد والاساسي في تكوين نظريته: وهو يهوديته . ومن مميزات الفكر اليهودي مركب النقص الذي يحرك كل نزعاته ، بانه شديد ومضطهد ، اينما كان ، وانه على صواب ، والمجتمعات الانسانية كلها ، على خطأ . فتقويض كل شيء في العالم يساويه بالناس جميعا ، ويهيء له الوضع المناسب ، للتفوق عليهم . ولقد خبت اليوم جميع التيارات الاجتماعية والدينية والاقتصادية والسياسية التي كانت تسلط على اليهود في اوربا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بصورة خاصة كما خبت بالمقابل تصرفات اليهود ونزوعهم للتحكم او اخفاقهم . ولكننا ما زلنا نعثر لهاعلى صور اديبة متفرقة منتشرة في اثار الكتاب من سجون القيصرية في سيبيريا شرقا حتى غرب اوربا . فكما ان مشكلة العمال وارباب العمل وهجرة الفلاحين من الريف الى مراكز الصناعة كانت تضغط على عقول المفكرين لايجاد الحلول الملائمة ، فكذلك كانت مشكلة اليهود الاجتماعية احدى مشاكل المثرة ، وكل انتاج يهودي لابد وان يكون احد مراميه التوصل الى حل لقضية اليهود ، وحتى ماركس لم يشذ عن هذه القاعدة في الصورة التي رسمها للدولة العالمية والفردوس المنشود .

ولقد استعار الناثرون على القيصريّة في روسيا هذه النظرية التي صيغت بوحى من ظروف اوربا ، ولما تكن ظروف الشعوب السوفياتية ، مهياة بعد ، نفسيا وفكريا واقتصاديا ، لقبولها ، وان كانت معبأة حقا ، للثورة على نظام الحكم القيصري الاقطاعي الفاسد ، دون ان يعني ذلك تطبيق النظرية الماركسية ، الا في راي قلة ضئيلة .

ولكن توضع الشعوب السوفياتية الجغرافي ، وانعدام منافذها الاقتصادية والسياسية الا باتجاه موسكو جعل لها وضعاً خاصا يكاد يكون فريدا في العالم . فقد اصبح ارتباطها ببعضها ببعض ، بعد مراحل تاريخية عديدة مرت بها ، فدرا لا مفر منه . فلما اجتاحتها الارثوذكسية وسقطت بيزنطة اوهمها القيصرية بانها الوريثة الشرعية وبالتالي اناطت بها العناية الالهية حمل رسالة الارثوذكسية الى العالم . وجاء طابع الشمول الذي تحمله النظرية الماركسية يملأ الفراغ في نفسية الشعوب السوفيتية الذي احده اسقاط المهمة الارثوذكسية عنهم بسقوط القيصرية .

اتجهت نظرية ماركس الى العمال « الذين لا وطن لهم » والذين جذبهم تطور الصناعة في المدن فهجروا الارض ، ولكنهم ، واجهوا قلة المأوى وسوء التغذية والتحكم بالاجور ، وكثرة المشردين من ابنائهم وضيق المدارس . وكانت اكثرية هؤلاء العمال تنحصر في مدن اوربا . اما الريف في اوربا فلم يحس بهذه المشكلة وكانت مشكلته الهامة قلة الايدي العاملة . وعلى العكس من ذلك تماما كان الوضع في

الروسيا . لم تكن المصانع تتجاوز عدد اصابع اليد الواحدة ، وكان العمال في المدن ، قلة ضئيلة ، الا ان الريف ، على سعته ، كان يعج بالمشردين وبلاسر المعدمة التي كثيرا ما كان يبتلعها غول الشتاء المخيف ، لانها لا تجد ما يسد رمقها . لذلك فان الثورة فرخت هناك ، وحملها ابناء الريف الى مدارس المدن الكبرى ومصانعها ونواديها . وكانت الثورات كلها في اوربا ، لا الماركسية وحدها ، قدوة لتلك المشاعر الثورية تغذيها وتؤنبها على تخلفها . وجاءت الفضائس واخبار الانكسارات واخبار الاسرة الحاكمة ، فاستقطبت قدسية البورائة ، وحطمت اخر الامال في ابوتها الروحية .

★

تدعي الماركسية ان التاريخ يتطور لصالحها . لذلك فان استباق الروسيا لهذا التطور - اذا صح ما تدعيه - اضطرها الى استعمال القسر على نطاق واسع في البداية ، لان النظرية ، كما يقال ، كانت فجأة . والواقع انها تضمنت كثيرا من الاحكام الخاطئة ، المستعصية على التطبيق . كان المفروض ان يساند عمال اوربا هذه الثورة ، التي هي في واقع النظرية - ثورتهم . ولكنهم لم يتعرفوا عليها . لماذا ؟ الان القومية وقفت في وجهها ؟ ان القومية السليمة لا تقف في وجه ثورة انسانية . غير ان القوميات في اوربا قامت على الاحقاد ولم تنبع من الشعوب ، لذلك لم تنضج فيها المشاعر الانسانية ، وانما كانت مصطنعة ينفخ فيها الحكام من روحهم . وجاءت الظروف التي اعقبت الثورة فطبعها بطابع التحدي .

لذلك اصيب النزوع الثوري في جماهير اوربا بنكسة مزدوجة : من جهة لانها لم تكن تتصور ان تحقيق امالها يتطلب ذلك المقدار من الماسي الذي ارتكبته الثورة بحق مختلف الطبقات ، وادركت من جهة اخرى ان الفردوس الذي حلمت به لم يكن في الواقع كصورته المرسومة على الورق صورة منطقية ، مترابطة ، فلما استقرت الاوضاع في الروسيا وحقت نهضة عظيمة وظهرت مقدرة مدهشة في استخدامها لطاقتها البشرية والطبيعية ، كانت المشاعر الثورية ، ليس في اوربا فحسب بل وفي نفوس الجماهير العالمية ايضا ، قد تخطت ، بمراحل ، المستوى الثوري في النظرية الماركسية . ذلك ان شعوبا جديدة - لم تدخل في حساب ماركس - اقتحمت المسرح العالمي ، مزودة بذخائر تاريخية وقيم ، وتجارب ثورية جديدة .. ومهما كانت التفاسير التي تساق ، اليوم ، تبريرا لانحلال « الامميات » الثلاث ، فان تحول المشاعر الثورية عن الاستجابة للنظرية الماركسية ككل ، وتلمسها لاتجاهات جديدة ، هما اهم التفاسير .

لم يكن ماركس « نبيا » ولم يكن في كل ما قاله « علميا » بالمعنى المراد اليوم ، اي قادرا ، وبلغة الارقام ، على تصور التطورات التي تطرا على البشرية . لم يكن نبيا ، لانه تنبأ بقيام الثورة الشيوعية في اوربا ، المجتمع المتقدم صناعيا ، فاذا بها تنطلق من مجتمع زراعي متخلف جدا ، ولم يكن

علميا في كل ما قاله لان كثيرا مما قاله بدا مخالفا للحقيقة العملية . لقد حصر تطور المجتمع في الانقسام الى طبقتين بينما نجد وسائل الحضارة الحديثة وطبيعتها ان تخلق انواعا عديدة من الطبقات ، تتكون مع كل منها ، افكار وتصورات واخلاق مختلفة . وكثيرا ما نرى بعض الماركسيين يحاولون عبثا البرهان على ان طبقة الاطباء او المحامين او الاساتذة او الكتاب في عداد طبقة البروليتاريا الكادحة ، لئلا يعترفوا بان ماركس قصر عن قدرة التصور التام لتطور المجتمع ، مع العلم بان البروليتاريا كانت تعني فقط ، عمال المصانع وليس كل العمال . وليس من الضروري - لكي تسود العدالة -

ان تصبح الارض ، ملكا للدولة او ان تستغل جهد العمال في شراء محصولاتها ، او تمتلك جميع المصانع ، وليس من الضروري ليكون الحكم باسم الشعب وللشعب ان تقام الدكتاتورية البروليتارية ، او ان لا يكون هناك اية ديمقراطية صحيحة بدونها . وكذلك ليس من الضروري - لاقامة مجتمع عادل - الايمان بالمادية الديالكتيكية والاقارب السابقة العامل المادي ، كما ليس من الضروري حبس العقل البشري او التضيق عليه لارغامه على الاعتراف باتجاه واحد .

ولقد كشفت محاولة تطبيق النظرية الماركسية سلسلة من الاخطاء ، وحقا ان اسباب كثير منها تعود الى بقايا الترسبات من الجهود السابقة . ولكن كثيرا منها ، ايضا ، يعود الى ما في النظرية نفسها من مجافاة للواقع والحقيقة . ولذلك وبعد مرور واحد واربعين عاما على هذه الثورة ، يقال عنها انها ما زالت في المرحلة الاولى من الاشتراكية . ولم تدخل المرحلة الشيوعية . ومن هنا ايضا نشأت فكرة « تطوير الماركسية » . وكلمة التطوير لا تعني ، دوما ، في اذهان الماركسيين ، التقدم بالنظرية الى الامام ، بل كثيرا ما تؤدي عمليا الى المخالفة ، وان كانت لا تعترف بذلك ، كما تحمل احيانا اخرى معنى التبرير . ومصدر هذه المغالطات الايمان الاعمى بعصمة ماركس عن الخطأ . وهكذا يقع الماركسيون ، في احبولة المغالطات نفسها ، التي يقع فيها اتباع المذاهب الغيبية ، للبرهان على انطباق مبادئ هذه المذاهب ، على تطورات الحاضر والمستقبل . ويبدو ان مقدار ما في الماركسية من حقائق علمية لا يكفي للاقتناع بها لذلك كان الايمان الاعمى ضروريا ، ليس بما دون الكتب ، ولكن بكل القيادات المحلية وتفسيراتها وتحالفاتها وتصرفاتها ايضا .. حتى اشعار اخر .

★

ان الظروف التي جعلت من المجتمع السوفييتي مجتمعا ثوريا ممتازا وخلقته فيه ارادات جبارة قد زالت من داخله . نعم بقيت الظروف نفسها او ما يشابهها تحيط به من الخارج ، ولكن هل تكفي الظروف الخارجية وحدها ، وهي البعيدة عن التأثير المباشر في كل شخص ، لتخلق في الاجيال الجديدة المقدار نفسه من الطاقات الثورية ، والاحساس بالمهمة ؟ لقد اصبح من حق هذه الاجيال ان تميل الى التمتع بنتائج جهدها .. بينما نجد شعوبا اخرى تستيقظ

اليوم ، تشترك فيها ضغوط الظروف الداخلية والخارجية بدرجة الغليان ، لتولد طاقات ثورية عظيمة ، خليقة بان تبني مجتمعا اكثر تجاوبا مع الطبيعة الانسانية ، لانه اجد تجربة واقرب الى المستقبل . اليس في ذلك علامة كافية ، على تحول ميزان القيادات الثورية في العالم ؟

لقد ظن القلقون على مصير الانسانية ان تقرير مبدأ التعايش السلمي والاعتراف بامكانية الوصول الى تحقيق الاشتراكية بطرق مختلفة سيخففان من حدة التوتر . ذلك ان مبدأ التعايش السلمي ، معناه - ضمنا - اعفاء الشعوب السوفيتية والجيش الاحمر من مهمة تحرير العالم من الرأسمالية ، تلك المهمة ، التي اراد الماركسيون القدامى ، وخاصة ستالين ، ان يضطلعوا بها . ومبدأ الاعتراف بوجود طرق عديدة لتحقيق الاشتراكية معناه اعادة كل من الاحزاب الشيوعية المحلية في العالم ، الى العيش مع الشعب الذي انبته ، والتفاعل معه ، تفاعلا صحيحا . وهيهات ، لمن قطعوا اوصالهم من الارض ، وتذكروا طويلا لتاريخ بلادهم ، ان يعودوا اليها طائعين ، مستغفرين .

اذا امكن للنظامين ان يتعايشا ، فهل تستطيع الشعوب المستعمرة الصبر على الاستعمار ؟ ان طبيعة الامور تدعو الشعوب ، لا الاحزاب الشيوعية في العالم ، الى رفع الراية في كفاح الاستعمار . ذلك ان الاستعمار يتهم المسكر الشرقي ، بانه يحول دون امتداد نظامه على العالم ، وبالمقابل يعتبر المسكر الشرقي ، ان النظام الرأسمالي الغربي هو اخر المراحل التي تؤدي الى الشيوعية العالمية . وبين هذا وذاك يفغل الدور الايجابي المبدع الذي يمكن لهذه الشعوب ان تفاجيء به المسكرين .

★

تحلم الشعوب العربية بالسلم والتخلص من ويلات الحروب منذ بداية العصور التاريخية على الاقل . وحتى وقت قريب كانت جميع النزعات الاخرى تتغلب على الرغبة في تحقيق هذا الحلم . اما اليوم فان الحرب التي قد تشتمل من بقاء هذين المسكرين وحدهما يتبارزان على المسرح العالمي ، تهدد الوجود كله بالفناء . **لذلك فان نزع البقاء وهي اقوى النزعات والفرائز جميعها ، تدفع فكرة الحياض الايجابية بين المسكرين الى الوجود .** ففكرة الحياة الايجابية لم تولد اذا من طبيعة التضاد بين الكتلتين او تضارب التيارات الفكرية ، والسياسية في العالم ، او عدم القناعة بصحة احد النظامين المتنازعين ، او من وعي الشعوب وبقطة تاريخها ، فحسب ، وانما من كل ذلك معا . ولقد القيت هذه الفكرة ببساطة حتى خيل انها فقيرة المحتوى . ولكن غناها - ككل الافكار العظيمة - كان في بساطتها ، فما ان القيت حتى انتشرت كالسحر واستجابات لها الشعوب ، وعثرت فيها على طريق الانقاذ .

تلك هي الظروف التي تفتتح فيها القومية العربية ، تنسم المتطلبات الانسانية وتعب رياحها ، وقد تهيأت امامها جميع الوسائل والظروف لتصبح قدوة لجميع الشعوب المناضلة

في سلوك الطريق الصحيح : انها تعاني من الاستعمار وضعا نموذجيا تجد فيه جميع الشعوب ما يماثل اوضاعها ، لذلك فان كل انتصار تحرزته هذه القومية على الاستعمار يشق طريقا لتلك الشعوب ويبعث املا . وهي تعاني الواسع عديدا من محاولات الغزو الاجنبي العقائدي ، لا في هذا العصر وحده وانما من عصور عديدة ومن وراء اشكال مختلفة ، ولكنها صمدت لها وتغلبت عليها . وكل خطوة تتجاوزها لتأكيد ذاتها وابرار صفاتها المميزة تبعث الثقة في تلك الشعوب ومزيها من اليقين بالحفاظ على مقوماتها الخاصة . والقومية العربية بالتالي تتمتع باهم موقع جغرافي بين الكتلتين من جهة وبين الشعوب الثائرة ، المناضلة من جهة اخرى كما ان ارضها تحتوي على اكبر ثروة بترولية في العالم وتمتلك امكانيات مادية قلما تيسر لقومية اخرى . وعلى ارضها تجري اكبر ملحمة في التاريخ ففيها يتقرر مصير الاستعمار ويتصفي صراع التيارات الفكرية والسياسية .

★

ان واقع الانسانية المعذبة يستحث هو ايضا القومية العربية : والعرب الذين فطروا على حب العطاء والذين تأخذهم التشوة كلما شعروا بعبء المسؤولية ، يغتبطون بمواجهة قدرهم في هذه المرحلة التاريخية العسيرة من حياة الانسان .

لذلك فان جميع قوى الشر في العالم تقف اليوم في وجه اندفاع القومية العربية الجديد ، وتحشد كل امكانياتها لتأخيرها او تشويه نوعيتها : فالاستعمار وشركائسه والصهيونية العالمية ومؤسساتها ، ليس في الدول الرأسمالية فحسب وانما في الدول الاشتراكية ايضا ، تتعاون كلها وبايقاع واحد على القومية العربية . وهذه القوى الشريرة ، وان اختلفت فيما بينها بنوعية اهدافها ومصالحها في البلاد العربية ، الا انها جميعها قد استندت الى حد كبير في انشاء فلسفة وجودها على استمرار علاقتها بالبلاد العربية وتحقيق مصالحها فيها . لهذا الفت منذ البداية العمل مع الفئات الحاكمة ورؤوس الطبقات الرجعية والانتهازيين في بلاد العرب ورهنت بقاء مصالحها بتعاقب نوعيات معينة على الحكم . واذا كانت ركائزها تنهار الواحدة تلو الاخرى اليوم فان وسائلها ما زالت عديدة ، متنوعة : الوان من الافساد الخلقي والثقافي ، ضغط مباشر ، تحريك قوى خارجية ، . . الخ اذ اصبح هدفها الرئيسي - وهي تتراجع امام اندفاع القومية العربية لا ان توقف تحرر العرب ووحدتهم ، فقد بات هذا حقيقة لا مفر منها . وانما هدفها الرئيسي تشويه واضعاف اصالة هذه القومية وتحويلها الى غير اهدافها الحقيقية .

هكذا نرى ان القضايا التي يعانها العرب سواء اكانت خاصة ام عامة ، داخلية ام خارجية ، قضايا ذات نوعية شاملة ، وثيقة الصلة بآمال الانسانية . لذلك فان تصفيتها لا تقتصر على الكفاح الموضعي . وانما تقتضي كفاحا عالميا ، ولذلك فان تفوق القومية العربية عليها لا يرفعها الى

المستوى العالمي فحسب وانما يصلها بجميع قوى الخير في العالم .

★

تشير جميع الثورات والحركات التحررية في بلاد العرب الى انها لم تتخذ لها « نموذجاً » ثابتاً تقتدي به في تاريخ العالم أو حاضره ، كما انها لم تتخذ طابعاً رجعياً مستمداً من ظواهر الاشكال الجامدة في واقعها نفسه أو ماضيها . انها لم تعش في بطون الكتب ، وانما كانت اندفاعات ذاتية بلب الحياة وتلقفتها بكل جوارحها: يتمازج فيها معاً: الشعور بماضي العرب العظيم وكبريائهم الجريحه ، بالادراك لمستوى الصراع العالمي ، بالنزوع الواعي الى المستقبل . وعلى الرغم من الجواجز المصطنعة بين اقطار العرب والتباعد المفتعل - فان هذا المنطلق الذاتي الاصيل رفعها جميعها منذ البداية الى الايمان بشعارات واحدة ، سرعان ما وجد العرب - انى كانوا - انفسهم في كل قطر واستجابوا لامانيه . وعلى الرغم من ان الاستعمار ، تعاونه كل قوى الشر ، يستفرد كل قطر يقيده ثم ينقض عليه ، فان اشد الصعوبات والمآسي لم تدفع اي قطر للانحراف عن هذا الخط السليم . ذلك ان كل قطر لا يفقد في احلك الظروف، شعوره، بان العرب معه، ان لم يكن اليوم ففداً ، فهو يكافح صابراً بقوة التاريخ والمستقبل ، فخير له ان يفنى ، ضارباً المثل للأجيال المقبلة بثباته على قيمه ومبادئه وايمانه بقدرته على الابداع وتحقيق الخير ، من ان يدلل على عقمه باستعارة ما هياه غيره . واذا كانت ثورة الجزائر اعظم معجزة للعروبة في التاريخ الحديث بصمودها وتنظيمها وتحديها للاخطار واستنهايتها للحياة نفسها ان لم تكن حياة عربية منيعة ، فانها كذلك ايضا لانها

الدليل على ان العروبة الفنية لا تتسع للاستعارة وانها حريصة - وهي تدق ابواب المستقبل - على ان تنقل اولاً للانسانية ما في تجربتها من ابداع .

★

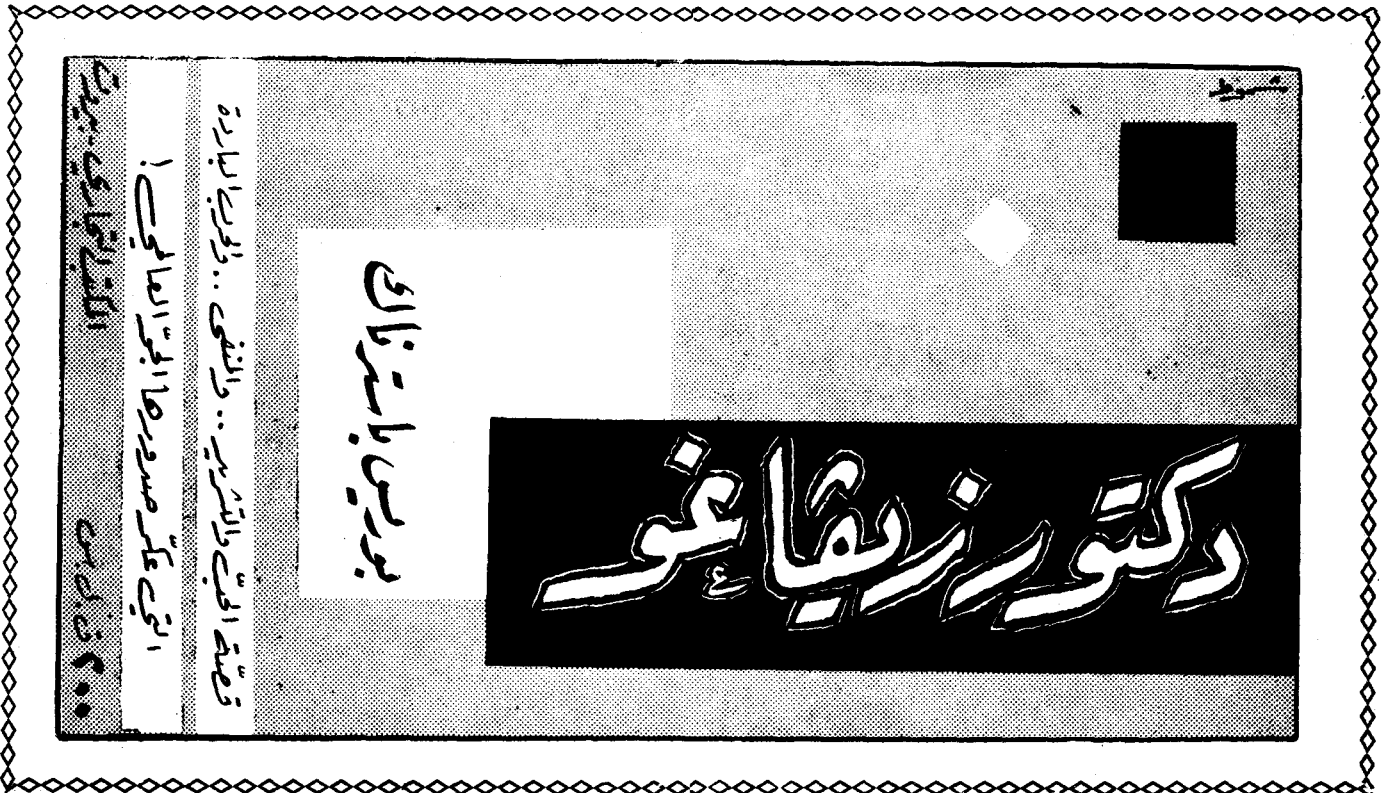
هذا الطريق ، الذي تسلكه طلائع الثورة العربية ، هو طريق المستقبل . انه طويل، صعب محفوف بالاطار، ولكنه كذلك لانه الطريق السوي . فهو طريق الاقوياء ، الصادقين الواثقين بانفسهم وبامتهم وبالانسانية المبدعة ، انه طريق الاوفياء الذين يخلصون لجذورهم في ارض العرب وسمائهما، احببت عليهم فحق عليهم ان ينقدوها ويحققوا ما احتضنته من خير بلا تدنيس . وليس طريق الضعفاء ، المتشككين ، الذين تقطعت اوصالهم ، وفقدوا جذورهم في الارض والتاريخ والذين يجبنون عن القتال الا اذا كان لهم ظهر منيع .

ولقد بهرنا شعوب العالم ولم نخض بعد سوى القليل من معارك كثيرة تنتظرنا . فماذا عندما ينتصر الشعب العربي في كل مكان وتلتقي تجاربه وتتفاعل ، فاية ثقة نبعثها في شعوب العالم ؟

فهل كثير علينا الايمان بان نجعل من مستقبلنا، الذي نزرع اليه ، مناظ امل الانسانية ؟ نحن ابناء الامة التي نشأت في ربوعها الرسائل الاولى فكانت تباعاً ارقى الرسائل الى البشرية؟! كيف نستكبر على هممنا او يستكبر علينا بعض الدخلاء قدرة الاضطلاع باعباء مهمة انسانية ؟

ذوقان قرقوط

دمشق



# قصة في رقيقة

بقلم يوسف الشاروتي

ويبدو ان ابنتي كانت تفكر في طريقة تعبر بها عن عرفانها بجميل هذا الطبيب، ذلك اني بعد اسبوع اصطحبتها الى نفس الطبيب ، وافهمتها في الطريق اننا ذاهبون اليه ، وعليها ان تبدي نفس الشجاعة التي ابدتها في المرة السابقة . وقبل ان تدخل العيادة سألتني - كماداتها احيانا - ان اشترى لها بعض قطع الحلوى ، فاشتريت لها ما ملأ جيوبها رشوة مني لابت الشجاعة في قلبها .

وامام الطبيب وقفت في هدوء وهو يفحصها فلما انتهى من عمله فوجئنا بها تسأله قائلة : انت عندك اولاد صغيرين يادكتور ؟ فأجابها الطبيب مبتسما : ايوه عندي ولد صغير زيك يا حلوة .

فما كان الا ان قالت : طيب من فضلك ادى له البونبونيه يا دكتور ، ثم رايناها تخرج من جيوبها كل قطع الحلوى التي اشتريتها لها منذ دقائق ، وهي لا تكاد تملأ كفها الصغير فيتساقط بعضها على الارض ، ثم قدمتها الى الطبيب بينما كنا جميعا نبتسم .

يوسف الشاروتي

القاهرة

صدر حديثا

عند

شعر

بقلم عبد الفتاح عكاري

يطلب من جميع المكتبات

كنت كثيرا ما اذهب بابنتي الى اطباء الانف والاذن والحنجرة فقد كان لديها التهاب يكاد يكون مستمرا في اللوزتين ، وكنا نحاول ان نؤجل اجراء عملية استئصالهما .

وكانت ابنتي في الرابعة من عمرها ، لا تخاف شيئا مثلما تخاف الاطباء ، لا سيما اطباء الانف والاذن والحنجرة ، فهم بسبب ضيق وقتهم ، بسبب كثرة زبائنهم ، بسبب شهرتهم ... يرغمونها بمجرد ان تدخل غرفة الفحص على ان تفتح قمها ، ويضعون فيه ما يشبه الملعقة ، ثم يلحون عليها ان تخرج صوتا معيننا من حلقها ، حتى لتكاد تنقيأ ، ثم يمسكون باذنها ، ويطلون في تجويفها بعين يضيئها نور كهربائي ، ثم يمدون فيها شيئا معدنيا طويلا ، وهي خلال ذلك كله تصرخ محاولة ان تغفل من بين يدي الممرض . وعندما ينتهي الفحص يكون وجهها قد تلتطخ بالدموع والعرق .

لكن حدث ذات يوم ان اصطحبتها الى طبيب كان يبدو انه يفهم الطب بمعنى اوسع مما يفهمه الاطباء الآخرون ، فرغم ازدحام عيادته بعدد كبير من المرضى ، الا انه عندما دخلت ابنتي غرفة الفحص - وكانت مضطربة كماداتها تكاد تبكي - اخذ يحاول تهدئتها ، ويفهمها انه لن يؤذيها على الاطلاق ، وقد يسر له وجهه البشوش نجاح مهمته ، كما كان لابتسامته اثرها في طمأنينتها ، وكان من اهم ما فعله انه ابعد ممرضة عنها ، مما جعل هدوءها كاملا حتى اتم الفحص الذي يريده ، ووصف لنا الطبيب جملة ادوية ، ثم طلب ان اعود بابنتي بعد اسبوع ليفحصها مرة اخرى . وفي الطريق كان واضحا ان ابنتي فخورة بانها استطاعت - لأول مرة - ان تغلب على خوفها من الاطباء وهو الخوف الذي طالما عيرناها به وطالما خجلت منه ، وكان يبدو انها سعيدة بهذا الطبيب الذي اتاح لها هذا الانتصار . وفي المنزل قصت على امها كيف لم تطفر منها دموع واحدة عندما كان الطبيب يفحصها ، وكيف فتحت فمها كما اراد ، وقالت آه كما اراد ، واعادت القصة على جارة لنا ، كما اعادتها على جدها عندما اتى لزيارتنا .





## السَّمْسُ خَلْفَ غِيَمَةِ الْخُرَيْفِ

ما زلت تهواني  
حقاً ، فاين لمسة الحنان  
ولثمة الجبين ساعة الرقاد  
ساعتنا تدق نصف الليل  
ونام طفلانا

ولم يبح بالحب قلبانا  
وانت لم تنزل مسند العيون  
يغيم في مرآتك الظل  
سبتمبر الكئيب والليل  
ترى شباك مقدم الخريف  
اشباحه مقرورة الطيوف  
انفاسه ، نسيمه العاني  
تذوب في عيون سهران  
وتوقد الرماد في الضلوع  
اطفىء مجامر السهاد  
فاجمل الاحلام  
في هدأة المنام  
انعم مساء يا حبيبي

★  
حبيبتي ، اغنية الكنار قد تغيب  
في وحشة الدروب  
وقد يطول ليله الحزين  
فلا تقولي عائق النسيان  
فؤاد محبوبي  
ففي سمائنا الضحوك يا حبيبتي  
يهوِّم الخريف بالغربان

وترتقي شرفتنا عيون  
تخالس النسيم خطونا  
وتسدل الظلام حولنا  
يا ويل شاديك الحبيب  
تنقتر الغربان عشه الصغير  
وتوصد العيون دونه الطرية  
تخاف ومضة الشروق  
ان تسقط القناع عن ضميرها الشرير  
والفجر ان يوقع الغناء في القلوب

★  
حبيبتي ، كنارك الحزين لن يغيب  
هتافه الطروب  
ولن يطول ليله الكئيب  
فالسَّمْسُ خلف افقنا تدور  
تشق غيمة الخريف  
للتلقي بطيرها الاسير  
وتنفض السهاد عن فؤاده القرير  
حبيبتي هل تسمعين  
اغرودة الكنار في القمم  
وصيحة الغربان والعيون  
تهوي الى قاع العدم  
حبيبتي لتنعمي مساء  
سيشرق الصباح بعد حين

حسن فتح الباب

القاهرة

# الأمير عبد القادر: بطولة وشعر

بقلم أحمد الخطيب

معسكر عام ١٢٢٢ هـ - ١٨٠٧ م . وشب في بيئة طبيعية وصفها بقوله :  
ما في البداوة من عيب تدم به الا المروءة والاحسان بالبدر  
وصحة الجسم فيها غير خافية والعب والداء مقصور على الحضر  
من لم يمت عندنا بالطعن عاش مدى فنحن اطول خلق الله في العمر

اما نشأته الاجتماعية فقد كانت نشأة مترفة غير مسرفة ، شأنه في  
ذلك شأن اولاد الامراء وكبار القوم ، غير ان والد الامير كان من الهبة  
والوقار ما جعل الوعي والتهديب يشبان مع ابنه حتى عقد له - دون  
اخوته - لواء الامارة والجهاد .

## ثقافته

تلقى الامير علومه الاولى على يد والده الشيخ محي الدين الذي كان  
يعد من العلماء الاجلة في المغرب العربي ، الى جانب ما كان يتمتع به  
من زعامة دينية وسياسية في عموم الجزائر وعلى الاخص في مقاطعة  
وهران .

ولم يلبث الامير ان سافر الى مدينة وهران حيث تابع تعليمه العالي  
في احدى كلياتها . وخلال زيارته الاولى للشرق العربي مع والده اخذ  
العلم عن الامام ابي احمد عبد الرحمان الكبري والامام ضياء الدين  
النقشبندى السهرودي (١)

وعاد الامير الى مسقط راسه في الجزائر حيث شرع يؤلف كتابا في  
العلم والفلسفة ، الى جانب اقراضه الشعر . ومن هذه المؤلفات كتاب  
« الواقف في علم الحقيقة » الذي تبلورت فيه عبقرية الامير العلمية  
والفلسفية . وانه لمن دواعي الاسف المؤلم ان يفقد هذا الكتاب مع  
غيره من الكتب التي هي بحق عصارة افكاره في شرح شبابه ، والتي  
احرقها الفرنسيون ومزقوا من الكتب الثمينة ، والمخطوطات الالفة ،  
حين هاجموا مكتبة الامير في قصره - الذي كان خاليا آنذاك وقد وصف  
الجنرال « آزان » التأثير العميق الذي كان يحز في نفس الامير من  
جراة فعل الفرنسيين الهمج بقوله : « كان الامير عبد القادر يتنزه من  
الالم وهو يتبع خطوات الفرنسيين نحو المدينة . بالاوراق المتناثرة في  
كتبه الثمينة على طول الطريق الطويل ، فقد كانت هذه المكتبة ثمره  
تعب اجيال في التمحيص والجمع والنسخ » .

لست ابغي في هذا المجال التعليق على اعمال الفرنسيين، ولكنني ادع  
القارئ العربي يتصور ممي قوما مسلحين يسرون في طريق طويل منهم  
الراكب والراجل ، يسكون اوراقا ومؤلفات يمعنون فيها تمزيقا وتفتيتا  
وهم يقهقهون قهقهة المنتصر على هذه الكتب ، تماما كما فعل هولوكواترتي  
بمكتبة بغداد ، بينما كان يتبعهم الى الخلف رجل جبار لكنه وقور ، يرى  
عصاة افكاره واتماح يراعه في الجمع والنسخ تدوسها ارجل من بلاد  
روسو ومولير .

(١) ( الثورة الجزائرية ) للمؤلف

لقد تربث قليلا قبل البدء بدراسة مقتضبة عن الامير عبد القادر ،  
ذلك الرجل الذي لا يكاد يعرف عنه الناس اكثر مما اورده الكتاب  
الفرنسيون في ابحاثهم التاريخية عن الاحتلال الفرنسي للجزائر . فالامير  
عبد القادر في نظرهم ليس سوى قائد شجاع ، قاوم القوات الفرنسية  
بضع سنوات ثم لم يلبث ان انهار ، شأنه في ذلك شأن كثير من القادة  
الذين استسلموا استسلاما كاملا للزحف الفرنسي في اوروبا وافريقيا .  
ويجفف الكتاب والمؤلفون الاوروبيون ، وعلى الاخص الفرنسيون منهم ،  
بحق عبد القادر اجحافا كبيرا اذ يوجزون حياته في اسطر يمرون بها  
دون اكتراث . وليس من شك انهم متأثرون ، بل منقادون - بشعور  
او بلا شعور - في ابحاثهم لتوجيهات الحكومات المتعاقبة على الحكم في  
فرنسا منذ سنة ١٨٣٠ حتى يومنا هذا .

ولن نكون منصفين اذا شمل انهامنا جميع الكتاب الفرنسيين ، فالواقع  
انه قد ظهر بعض الكتاب المعاصرين الذين يتحلون بروح رياضية سليمة  
في ابحاثهم التاريخية والسياسية امثال « Ch. A. Julien

الذي اخرج عدة كتب عن الجزائر وشمال افريقيا ككتابي Histoire  
de l'Algérie, Histoire de l'Afrique du Nord و  
وعلى الرغم من الضوء الذي حاول « جوليان » تسليطه على الامير عبد  
القادر ، فقد حالت الستارة التي اسدلها الاستعمار على هذه الشخصية  
- الى حد ما - دون تسرب الضوء الى اعماق حياة الامير البطولية والادبية  
والسياسية .

ولق - وفق نوعا ما - احد الكتاب الجزائريين ، الذين ابدعوا باللغة  
الفرنسية الى اخراج كتاب عن الامير اطلق عليه اسم « فارس الايمان »  
Chevalier de la Foi وفيه يستعيد مالك بن نبي للامير  
بعض الانصاف التاريخي في البطولات العسكرية والادبية والسياسية .  
وحتى الان لم تظهر مؤلفات باللغة العربية تبحث في حياة الامير عبد  
القادر بحثا دقيقا عميقا يتناسب ونبوغه الفكري . ولعل القارئ العربي  
لا يعرف عن الامير عبد القادر اكثر مما سمح الاستعمار بالتعريف عنه  
وخاصة في المجال الادبي . فقليل هم الذين يعرفون عن الامير انه  
شاعر ونائر ، وانه سما في الشعر كما ابدع في النثر . وان من يريد  
التعرض للامير في بحث وتقد يضطر الى تعبئة المؤلفات الضخمة ، وهذا  
ما حداني الى التريث قليلا قبل البدء بدراسة مقتضبة عن حياة الامير  
الادبية . وبالاخرى تعريف الامير الى القراء العرب

## نشأة الامير

ولد الامير في دوار (١) القيطنة الذي يبعد بضعة اميال عن مدينة

(١) كلمة يستعملها الجزائريون وعلى الاخص سكان القسم الغربي  
من الجزائر للدلالة على موطن قبيلة من القبائل في الريف ، وهي بمعنى  
« المشتى » في القسم الشرقي من الجزائر

ومما لا يقبل الجدل ان فقدان مكتبة الامير عبد القادر على ايدي وحوش « غالبية » Lagaute قد سبب خسارة لا تعوض في المكتبة العربية ، اذ انها كانت تحتوي على مخطوطات اثرية ذات قيمة ، لم تساعد ظروف الجزائر آنذاك على البروز الى عالم الطباعة والنشر .

### شعره

ما زال شعر الامير غير مجموع ومعنى به اعتناء يستحقه ، فهو مبشر هنا وهناك ، بين اهل الامير وبعض المكتبات الخصوصية في الجزائر . واذكر انني رايت عند اقارب الامير في مدينة معسكر بعض القصائد المخطوطة ، كما اطلعت احد العلماء في مدينة مستغانم ، وقد تعدى هذا العالم التسعين من عمره ، على كتاب مخطوط بيد الامير عبد القادر نفسه ، وهو يحفظه بكل تجميل في مكتبته الخاصة . وانا اذ اضع بعض اللوم على احفاد الامير الذين لم يتموا ما بدأه الامير محمد الابن الاكبر للامير عبد القادر ، وذلك حين جمع بعض مآثر الامير في كتابه « تحفة الزائر في تاريخ الامير عبد القادر » (1) والذي يعد المصدر الاول لقصائد الامير ، فاني اضع بقية اللوم على ادياء الجزائر الذين لم يحاولوا جمع مآثر الامير كاملة ، واخراجها الى حيز الطباعة والنشر حيث يسدون جزءا من الثغرة التي تركها حريق مكتبة الامير .

وشعر الامير يعد من الشعر الشعبي الذي احتفظ بقاعدته القديمة في النظم والابحار ، فهو يبدأ بالوصف او الغزل لكي يتوصل الى بغيته وينقسم هذا الشعر من حيث زمن اقراضه الى اربعة اقسام :

اولا - شعر ما قبل الحرب التحريرية ، وهذا الشعر مفقود تماما اذ اتهمته كارثة الحريق .

ثانيا - شعر الحرب التحريرية وفيه تفجرت عبقرية الامير عن شعر قوي متين من قصائد قصصية او حماسية يصف فيها مواقفه مع العدو بقول بليغ ترتجع فيه معاني البطولة العربية . وقد جاء في قصيدة له خلال معركة خنق النطاح الاولى قرب وهران :

ونحن سقينا البيض في كل معركة دماء العدى والسمر اسمرت الجوى  
الم تر في خنق النطاح نطاحنا غداة التقينا كم شجاع لهم لوى  
وكم هامة ذاك النهار قددتها بحد حسامي والقنا طعنه شوى

وفي هذه المعركة التي انتصر فيها الامير على اعدائه يصف كيف حمل اخاه الذي استشهد بعد طول كفاح:

ومن بينهم حملته حين قضى وكم رمية كالنجم من افقه هوى  
ثم يتدرج فيصف كيف قتل جواده من تحته وبقي هو على الارض بين  
جمع من العدو يحارب وحده حتى اتجده رجاله .

بيوم قضى تحتي جواد برمية وبني احذقوا لولا اولو الباس والقوى  
الى ان يبين لنا كيف حاول احد فرسان العدو طعنه بحربة فخلا منها  
الامير بخفة ، وشد عليها بابطه ثم هوى على الفارس بسيفه فارداه :

ولما بدا قرني يميناه حربة وكفي بها نار الكيش قد شوى  
فايقن اني قابض الروح فانكفا يولي فوافاه حسامي مذ هوى

والامير في شعره خلال الحرب التحريرية قصائد غنائية في الفخر والوصف والتصوف ، ومن امثلة شعره في الفخر قوله :

(1) طباعة الاسكندرية عام ١٩٠٣

لنا في كل مكرمة مجال ومن فوق السماء لنا رجال  
ركبنا للمكارم كل هول وخضنا ابحرا ولها زجال  
اذا عنها تواني الفير عجزا فتحن الراحلون لها عجال  
لنا الفخر العميم بكل عصر ومصر هل بهذا ما يقال  
رفعنا ثوبنا عن كل لؤم فاقوالى تصدقها الفعجال  
ورثنا سؤددا للعرب يبقى وما تبقى السماء ولا الجبال

سلوا عنا الفرائس يخبرنكم ويصدق اذ حكمت منها المقال  
فكم لي فيهم من يوم حرب به افتخر الزمان ولا يزال  
ويقول كذلك في قصيدة اخرى يجيب بها على زوجته ويبرز فيها بطولته الغدة

الم تعلمي يا ربة الخدر انني اجلي هموم القوم في يوم تجوالي  
واغشى مضيق الموت لا متهيبا واحمي نساء الحي في يوم تهوال  
يثقن النساء بي حيث ما كنت حاضرا ولا تثقن في زوجها ذات خلخال

ومن عادة السادات بالجيش تحتمي وبني يحتمي جيشي وتحرس ابطالي  
وبني تتقي يوم الطعان فوارس تخالينهم في الحرب امثال اشبال  
اذا تشتكي خيلي الجراح تحمحمما اقول لها صبرا كصبري واجمالي  
وابذل بوم الروح نفسا كريمة على انها في السلم اغلا من الغالي

وعني سلي جنس الفرنسيين تعلمي بان منايهم بسيفي وعسالي  
سلي البيد عني والمفاوز والربى وسهلا وحزما كم طويت بترحالي  
فلا تهزئي بي واعلمي انني السني اهاب ولو اصبحت تحت الثرى بالي

والامير صادق في كل ما قاله ، بل لنكاد وقائع تاريخه تفوق قصائد شعره بطولة ونضالا فهو من غير الطينة التي جبل منها بعض الشعراء الذين يتصورون انفسهم ابطال نزال وهم لا يعرفون عن المعارك والحروب اكثر مما تحدث به الرواة .

وللغزل في شعر الامير مكان . وقد تمجب لقوله :

وقد رفعت عني الازار فلج به وبرد فؤادا من زلال نواها  
وذا روض خديها تفتق نوره فلا ترض من زاهي الرياض عداها

انها تلمسان الجميلة التي استردها الامير من العدو ودخلها ظافرا ممزرا  
فكنت لها بعلا وكانت حليلتي وعرسي وملكي ناشرا للواها  
ووشحتها ثوبا من العز رافلا فقامت باعجاب تجر رداها  
ونادت اعبد القادر المنقذ الذي اغثت اناسا من بحار هواها  
لانك اعطيت المفاتيح عنوة فزدي ايا عز الجزائر جاهها

والامير كسلطان وقائد فانه دائم الحرص على مصلحة شعبه ، كما انه محبب الى قلب جيشه ، ذلك الجيش الذي قارع اكبر جيش منظم ومجهز عرفه القرن التاسع عشر ، وتمكن من الصمود سبعة عشر عاما كاملة في وجهه بفضل قيادة الامير العازمه وسياسته الحكيمة .

وكان الامير يتبع نظاما فريدا في استشارة حماس رجاله كما كان يشهم بصورة دائمة اشواقه واحساساته نحوهم ، خاصة اولئك الذين يرابطون في مناطق نائية عنه ، في كثير من قصائده .

ويطلق سراح الأمير بعد أن يفصل عن أخوته ، ويسمح له بالتوجه الى الشرق العربي حيث يبدأ : القسم الرابع - او شعر ما بعد المنفى ، وفيه ينظم الأمير قصائد في التشوق الى اهله ووطنه .  
وخلال زيارته للاستانة عام ١٨٥٣ انشد قصيدة في حضرة السلطان الغازي عبد الحميد خان وفيها يذكره بالعرب الجزائريين وما يلاقونه من اضطهاد واستعباد آملا من وراء ذلك الى دفع السلطان على التدخل لتحرير الجزائر .

فالمسلمون بأرض العرب شاخصة ابصارهم نحوه يرجون اقبالا كم ساهر يرتجي نوما بسطوته وحائس يرتجي للحن تسهلا ولكن اين للاتراك ان يسمعوا وهم اهل الداء . فلولاهم لما حل بالعرب ما حل . ولما ادخلوا لقمة سائفة في فم العدو

ويعود الأمير الى دمشق ، موثله الاخير ، فانظا من الحكام الخونة . وينزوي في بيته انزواء الليث الجريح في عرينه ، يرسل نفحات من الشعر الى وطنه العزيز يشه فيها كل حب واخلاص ، الى ان تنطفئ شعلته الوقادة ، وتنهار معها اقوى شخصية تحررية عرفها القرن التاسع عشر . ويندرف الادب ، وتذرف البطولة دما سخيا لن يكفكه الا انتصار الثورة الكبرى .

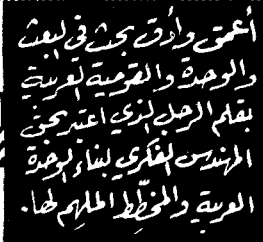
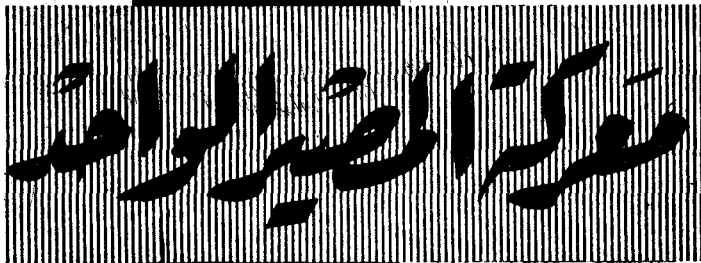
احمد الخطيب



فيلسوف البعث العربي الكبير



في



جفني لقد الف السهاد لينكم فلذا غدا طيب المنام بممزل كم ليلة قد بتهما متحسرا كميت ارمذ في شتا وتململ سهران ذو حزن تطاول ليله فمتى ارى ليلي بوصلي ينجلي . . . . .

حاولت نفسي الصبر عنهم قيل لي مه . ذا مجال ويك . عنه تحول كيف التصبر عنهم وهم هم ارباب عهدي بالعقود الكمل تفديهم نفسي وتفدي ارضهم ازكى المنازل يا لها من منزل

ويصف الأمير رجال الجيش الجزائري بقوله :

الصادقون الصابرون لدى الوغى الحاملون لكل ما لم يحمل ان غيرهم لذ اللذائد مسرفا هم يتفنون قراع كتب الجحفل . . . . .

كم ادلجوا كم ازعجوا كم اسرجوا بتسارع للموت لا يتمهل كم شردوا كم بددوا وتعودوا تشتت كل كتيبة بالصيقل يوم الوغى يوم المسة عندهم عند الصباح له مشوا يتمهل فدماؤهم وسيوفهم مسفوحة مسوحة بثياب كل مجنل . . . . .

ما الموت بالبيض الرقاق نقيصة والنقص عندهم بموت الهمل

يا لها من كلمات نارية تنطلق من فم ناري فتزه النفوس النخية وتنفجر بركانا يطيح بالطفاة المستعمرين .

ورجال الأمير هم احق واجدر بوصف كهذا ، فبعددهم الضليل النسي لم يتجاوز خمسة عشر الف جندي تمكنوا من قهر جيش العدو الذي تجاوز عدد افرادة في بعض الاحان مائة وخمسين الف محارب . وكانوا يرغمونه باستمرار على طلب الهدف وابرام المعاهدات التي كثيرا ما تضمنت اعتراف فرنسا بالكيان العربي الجزائري المستقل .

ولكن اتباع العدو لسياسة وحشية لا انسانية فيها ، كحرق الغابات والمدن والقرى وتخريب الزراع والبساتين وردم العيون والابار ، هي التي جعلته يكسب الجولة الاولى . وليس النصر النهائي .

تنتهي الحروب التحريرية الاولى باستسلام الأمير . بعد ان اصبح الاستمرار في القتال عبارة عن عملية انتحار . وينفى الأمير الى «اموازا» في فرنسا بعد ان يخل العدو بشروط الاستسلام . وهناك يبدأ :

القسم الثالث - او شعر المنفى الذي تظهر فيه قصائد الأمير التصوفية والتشويقية وقد اشتد عليه الاسر يوما فاستغاث بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم .

لم ادر شيئا قبل معرفة الهوى حبي لكم ما كان قط تكلفا ما بالهم يا صاح لم يتذكروا صبا كثيا في المحبة مدنفا ما قيل ذلك اسيرنا وقتيلنا بين العوادي والاعادي مثقفا قلبي الاسير لديكم والجسم في اسر العداة معذبا ومكتنفا

وخلال مدة نفيه انشد الأمير قصيدة عصماء ، فاخر فيها بين البدو والحضر ، وقد جاء في مطلعها :

يا عاذرا لأمري قد هام في الحضر وعاذلا لمح حب البدو والقفـر لا تظمن بيوتا خف محلها وتمدحن بيوت الطين والحجر

الى ان ينتصر للبدو بقوله :

قال الاى قد مضوا قولا يصدقه نقل وعقل وما للحق من غير الحسن يظهر في بيتين رونقه بيت من الشعر او بيت من الشعر



# الحياة

٧٧٧٧

لكنه سعيد  
يهدد الحرمان في فؤادي الوحيد  
ويعلاء الاحلام في المنام  
بالورد والضياء  
ويبدل الغرفة بالفمام  
فتمحي التخوم  
وتنبث الحياة في طريقنا نجوم

✱

آنتسي الجميله  
هل تعلمين كم بنيت منزلا انيق  
خطرت فيه مثلما خطرت في الطريق  
واننا زوجان  
حياتنا سعادة الامان  
وبهجة الحنان  
لكنني غريق  
اصارع الحياه  
ولي فؤاد يعشق الحياه  
وان خوت يداي من نقود  
ففي صباح كل جمعة جميل  
امشي « بقصر النيل »  
فبهجتي التسكع الطليق  
يسلمني الطريق للطريق  
ولا اقول اين ؟  
اشم بالعيون  
ما يلمس الموسر باليدين

كمال نشات

القاهرة

الليل في العينين  
والصباح في الجبين  
ومارس الدفيء في القوام  
يلفه الرداء  
رداؤك المزركش اللصيق  
وانت في الطريق  
مويجة من نار  
تموسقين خطوطك الرقيق  
وتسحبين خلفك الانظار  
وحنة القلوب  
في ضحوة النهار  
من يوم جمعة جميل  
بقرب « قصر النيل »  
وينظر الشبان بابتسام  
ويعسل الكلام  
وتشهق العيون في الوجوه  
وانت في اعتزازك الشهي  
كصدرك الابي  
تتابعين خطوطك الرشيق

✱

آنتسي الجميله  
يا فتنة الطريق في صباحنا الطليق  
هل تعلمين كم اثرت في من احساس  
مررت بي - كما مررت - فتنة بالناس  
لكنني جعلت منك جنة الحياه  
وكننت ماملا بعيد



# من مآدة الحياة

بقلم شاكر حسن سعيد



ليس بعد من (عظماء) ولا (عباقرة) . فقد آن لنا ان نحطم تلك الاصنام . العظيمة  
والمبقرية هي من مبتدعات الاغريق (كالستور) و(الهيوجريف) . اجل، لسنا بحاجة الى  
(العباقرة) اكثر من حاجتنا الى (الحيوانات الخرافية) فما اشد ما كنا نخشاها منذ  
اكثر من ثلاثة الاف عام !

جان دو بوفيه (١)

✱

الشخص والمنظر الطبيعي ، ويفضله على الموضوع العام  
الراخر ( بالجماد ) والاشخاص والمنظر الطبيعي معا . ذلك  
ان مشكلته الرئيسية هنا هي في محاولته تحديد حقيقة  
( مظهر ) الشيء المرسوم ، ولذلك فهو يحطم ظهوره الطبيعي  
ليعيد بنائه بناء نسبيا . فالذي سيحدد معناه ومغزاه ،  
اذن هو مدى اتقان هذا البناء الجديد . ولا اهمية للموضوع  
الذي سوف يستوعبه : وهو الموضوع البعدي ( من ابعاد ) ،  
والذي يتشكل في مجموعة من الالتمار والاوناني ذات الاحجام  
الهندسية اكثر من تشكله في مجموعة من الاشخاص .

وعلى النقيض ، كانت ( التعبيرية ) تبحث في حقيقة  
مضمون (٢) الشيء وتتعرف على كنهه منظورا من خلال  
عواطف الفنان . فهي لذلك تركز كل قيم العمل الفني  
لتقرير العواطف الذاتية الملتهبة ووصف الصراع الداخلي  
المستمر . ومن هنا لم يكن من المهم لدى فان خوخ ان  
يرسم الانسان على هيئة الاحجام الهندسية ، بل كان من  
المهم ان يصنع الالوان والخطوط المعبرة عن عالمه الدفين :  
الحزين او المخبول او المتمرد الخ . . بل ان ( روو ) تطرف  
في التعبير عن عواطفه الى الحد الذي اصبح يحدد بها  
معنى وموضوع ومغزى اللوحة المرسومة ، ولهذا جاءت  
رسومه معبرة عن مشاعره المسيحية والانسانية الشهيدة .  
وهكذا فالرسم التعبيري الذي يبحث في مضمون العمل  
الفني يرفض عن عمد بحث مظهره . وازاءه يصبح تحطيمه  
ظهور الشيء الطبيعي وسيلة للتعبير عن المضمون وليس المشكلة  
بحد ذاتها .

اما السوربالية فهي بدورها تبدأ بداية التعبيرية ، اي  
نقطة انطلاقها هو « عالم الشيء الداخلي » لكي تعيد الحقيقة  
الانسانية الى منابعها الاولى ، ولديها يستحيل التعبير الفني  
محاولة ذاتية لتجسيد ( النلاوعي )

(٢) ليس المقصود بالمضمون هنا هي ال Contenu وانما ما يمكن ان  
يعبر عنه بالكلمة الفرنسية Sens

العمل الفني فعل حيوي (x) يظهر موقف الفنان من  
الحياة . وهذا هو الموقف العصري للرسم . فليست المشكلة  
اذن هي ما اذا كان من المناسب تحديد ( حقيقة ) المظهر  
الطبيعي سواء بنائه اللوني كما يقترحه الفنان الانطباعي  
او بنائه الهندسي كما يقترحه « سيزان » ، او بنائه  
النسبي كما يقترحه « بيكاسو » والرسامون التكعيبيون ،  
وليست المشكلة ما اذا كان من المناسب على النقيض ايضاح  
حقيقة المضمون الداخلي بالتعبير عن مشاعر الفنان وعواطفه  
شأن ( فان خوخ ) والرسامين التعبيريين ، او بالتعبير  
عن عالم (اللاشعور) كما يقترح ذلك الرسامون السورباليون  
ولا عن عالم ( الروح ) شأن التجريديين . بل المشكلة هي  
ان يحدد الفنان موقفه من الحياة برمتها بمجموعها ، مظهرها  
ومضمونها في آن واحد . او بالاحرى ان يحدد معنى حياته  
فيها بتمثيلها كما يقترح ذلك خلال الفترة التي يرسم اثناءها،  
بحيث لا يغفل في نفس الوقت (ظهور الشيء) او (مضمونه)  
على السواء .

وستعامل في ذلك عناصر العمل الفني ( شكلية كانت ام  
مضمونية ) معاملة جديدة ، ستفرض محاولة (تقرير) حقيقة  
الشيء والدلالة عليه .

فالتكعيبية مثلا كانت تبحث في حقيقة ظهور الشيء .  
اهي استجابة رؤيتها من زاوية منظور واحدة ام من عدة  
زوايا منظور في آن واحد . . . وفيما اذا كان وجودها  
الحقيقي ان ننظر الاشياء نظرة مطلقة - كما هي عليه في كل  
وقت - ام نظرة نسبية اي كما هي عليه في هذه اللحظة ؟  
ولهذا كان الفنان التكعيبى يمارس موضوع الجماد وصورة

(✱) نشر هذا المقال منذ عام ١٩٥٤ ( صحيفة الاهالي ع . ١٠١ بغداد )  
ويعاد نشره الان مع بعض التعديلات نظرا لاهمية ذلك في تثبيت وترسيخ  
بعض القيم الفنية في مدرسة بغداد الراهنة .

(١) جان دوبوفيه Jean Dubuffet رسام فرنسي معاصر احدث ضجة  
في الاوساط الفنية عام ١٩٤٧ وذلك حينما انجز معرضه لرسوم الاشخاص  
Portraits باسلوبه الذي كان يبدو شاذا في حينه . وهو ذو اراء  
قيمة في الفن المعاصر . وهو غير الرسام ( برنارد بوفيه ) .

ونأظر اللوحة لذلك هو انسان ينشد بدوره وعى هذه الحيات التي يبعثها الفنان في اسلوبه . على ان العمل الفني في جوهره - تذوقا كان ام رسما - هو موقف انساني خلال الحياة فالحياة امامه هي الوسط .

وهذه النظرة ( الجديدة ) مشبعة بمعنى ( الشئىء الحقيقي ) . لانها تفترض موقف الفنان من العالم الذي يحيطه باكملة بمظهره ومضمونه معا . وهكذا فليس ثمة تعبير عن اخذ العالمين على حساب الاخر . وليس هناك تعبير عن المظهر على حساب المضمون وبالعكس . وخلالها تذوب الطبيعة والكائنات الحية في وحدة عاملة تقضي على الحدود الفاصلة بين الاشياء . ولن يظل هناك عالم انساني و نباتي او حيواني او جمادي ، بل عالم واحد يضم الطبيعة والانسان والنبات والحيوان والجماد ، وسيختفي لذلك موضوع ( الجماد ) و ( الصورة الشخصية ) و ( المنظر الطبيعي ) ليحل محله الموضوع العام كمنظر ( الموكب ) و ( السوق ) و ( الجموع ) و ( الميادين ) . وستختلط خلال ذلك مظاهر الاشياء وذواتها ، وينسج الزمان والمكان والاحياء والاموات !.. ، وتتفاعل عناصر العالم الحيوي تفاعلا عجيبا هو الذي سيؤلف مشكلة الفنان وحلوه . وهكذا طالما ان الفنان ينجز لنا بواسطة هذا الاسلوب مهمة وضع الحياة بكاملها وضعا حقيقيا ، فلا جدوى من اقتطاعنا اجزاءها ( الا اذا كان موقف الفنان يتطلب ذلك لحصر المشكلة الحيوية وغمزها من احدى نواحيها ) . ويقتضي هذا الوضع الجديد بالطبع اتخاذ الحياة ( موضوعا ) للرسم يعاد وضعها على السطح التصويري . اما الطبيعة فلن تعامل حينئذ الا كوسيلة تحدد نظرتة اليها ( مظهرا ) كانت ام ( مضمونا ) . وسيكون موقف الفنان المعاصر منها كموقف ( فان خوخ ) من الطبيعة . كانت الطبيعة ( مادة ) له للتعبير عن عواطفه الذاتية في حين ستؤلف الحياة مادة الرسام المعاصر للتعبير عن موقفه . ولن يستغنى الرسام هنا عن ابداع عالم شامل خارجي ودخلي ظاهر ومستتر ، قريب وبعيد يحسه الناظر ويتعامل خلاله . وهذا العالم ، هذا الخضم ، هذا العمل المبتدع هو الذي يحدد معاني الاشياء الماثلة في الحياة المنظورة والمحسوس بها على السواء . وهو الذي يسبغ على مجموعة المظاهر المادية والروحية للكائنات معانيها التي لا يمكن ان تلوح اذا هي تحصنت بالطبيعة فحسب . ولكن .

كيف يتسنى للفنان ان يبني من فتات ونثار الحياة التي بين يديه هذا العالم الجديد البكر .؟؟ وكيف يصبح في مقدوره ان ينحت من خشب الابنوس - شجرة جديدة تحاكي شجرة الابنوس الاولى ولا تحاكيها في آن واحد .؟؟ لقد كان الفنان المنصرم ( الفنان اليوناني وفنان عصر النهضة الاوروبية واي فنان طبيعي ) يكتفي بخلق الانسان من مادة المرمر مثلا . ثم يوحى لنا معتمدا على مهارته بانه من لحم ودم . ( وكان سواه يوحى لنا بانه من الحجارة او انه حجم



فلاحات مقياس (٢٥) منظر ١٩٥٨  
Paysantes - 25 - Paysage

الانساني ودمجه بعالم الوعي . فالعالم الخارجي او مظهر الشئىء ازاءها وسيلة من وسائل التعبير ، ولا يؤلف الظهور الطبيعي امامها اية مشكلة كما هو بالنسبة للتكعيبية . في حين ان التجريدية ستبقى بصورة اساسية اي ( عالم ) سوى هذه العناصر الاساسية للرسم الى السطح التصويري وسوى هذه الرغبة الداخلية او الروحية لملء السطح التصويري . وبالتالي فانها سوف تستغني عن مشاكل الشكل والعالم مستبدلة اياها بما يمكن تسميته « باللاشكل » (٣) ولكن الاسلوب الحيوي يبدأ من وضع جديد تفقد فيه القيم الفنية نفسها كدلائل ايضاحية ( لتقرير حقيقة الشئىء مضمونه او مظهره ) وتكتسبها كأعضاء حيوية تجسد لنا حياة الفنان ومن خلالها حياة الاشياء .

فهذه الالوان وتلك الخطوط ، لن تحتل لدى الفنان اي معنى تشكيلي مقصود فهي ليست دلائل تكعيبية او تعبيرية او سورالية او تجريدية ، ولكنها ذرى رؤياه في التزام مواقفه من شئىء ما خلال الرسم . ومن ثم فهي زاخرة مفعمة بمعنى حياته التي تمثل جحيم مشكلته الفنية

(٣) يقول الرسام الشهير كاندنسكي في هذا الصدد : « ان رسم الاشخاص يستند على المحتوى بصورة متفاوتة ، فحين ان الموضوع Objet وهو الاكثر رسوخا ، ينطق بلسان الرسم الصرف » .  
عن كتاب ( مغامرة الفن المجرد ) تأليف ميشيل راغون

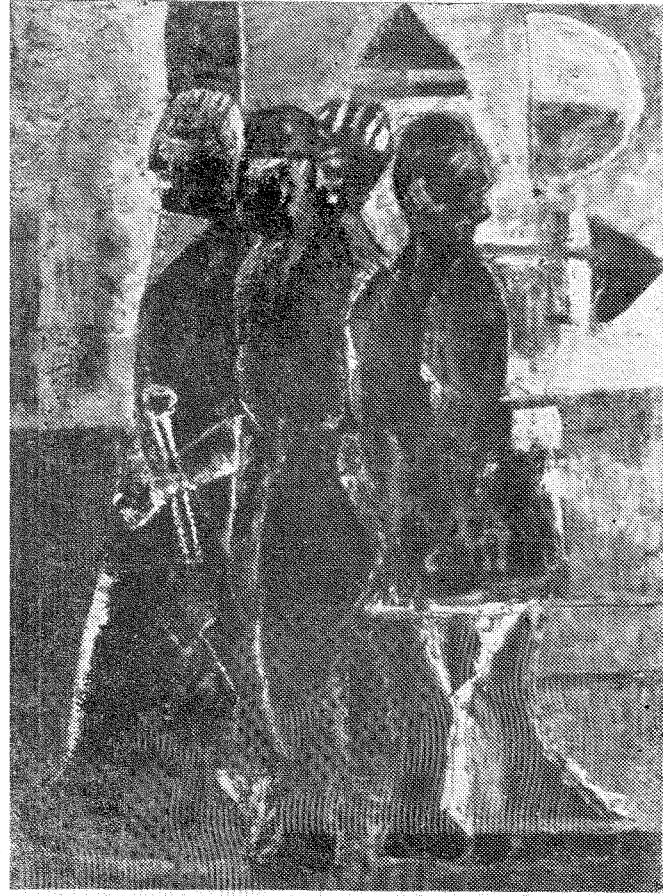
قيمته اذا لم يقارن ما بين قيم الاشياء المرسومة ويوضح العلاقات التي تربط بينها . وهنا تنجلي اهمية المضمون الحقيقي والمحتوي . فحينما يعرض لنا الرسام عالما حيوا ظاهريا فحسب كمنظر ( القرية ) و ( السوق ) و ( المقهى ) و ( القافلة ) الخ . فانما يبدأ حتما بنسج الحياة غير ان تعبيره يظل تعبير طبيعيا اذا هو لم يتناول بنفس الوقت مناقشة (منزلة) هذا الانسان من ذلك الحيوان او اداة العمل او حجارة الطريق وسيظل الجسد الحي جثة هامدة اذا هو لم يقارن ما بين منزلة (رأسه) من (صدره) و (ذراعيه) و (ساقيه) !... ومن هنا عمق امكانيات الموضوع الادائية . فطريقة اظهار الرسام لكتل البشرية او الحيوانية او للانسان المفرد ازاء انسان اخر و (شيء) ما ، ان هو الا اشارة صريحة لمعنى الحياة ومغزاها . وهو في نفس الوقت معالجة تجمع ما بين العالمين الداخلي والخارجي على صعيد واحد كما يجتمع اي عالمين متكاملين خلال اي كائن حي متطور . لان الرسام لن ينقل مظهر الحياة حينئذ نقلا تقريريا اي كما يراه متطورا من الخارج فحسب ، بل سيؤديه كما يشعر به منظورا ومحسوسا به على السواء اي من الداخل بعدد انعكاس العالم الخارجي عليه .

لكن الموضوع لن يحقق سوى قيمة (٤) معينة من مجموعة قيم تؤلف فيما بينها وحدة العناصر الادائية وتنظيمها . وهو ان كان لاول وهلة الدلالة على العالم فان القيم الاخرى ستجلب لنا هذا العالم خلال العناصر .

لسوف يجد الفنان نفسه حينما يرسم الخط ويصنع اللون والسطح وغير ذلك من عناصر شكلية مستغرغا رؤاه الحيوية بيسر وعفوية . وهو مهما سيحور في اشكال (ابطاله) لكي يناقشهم قيمهم الحيوية خلال الموضوع فانه سيجد نفسه ، دائما ، ملزما باعادة تشكيلهم خلال القيم الاخرى . وهكذا ستتمزق الحياة الظاهرية ليعاد وضعها من جديد خلال كل القيم الاسلوبية . فهذا الانسان المفكك الاعضاء وتلك الطيور المتعددة الاجنحة لا تكتسب ذاتها ما لم تكن سندا لعوالم داخلية ملونة ومخططة ومظلمة معا ، تقودنا على الرغم منا الى اعماق عالم دفين غائر (٥) . ذلك ان ميذا (تحطيم الظهور الطبيعي) الخارجي والداخلي معا هو الذي يحرر هنا الفنان المعاصر ويطلقه في وضع سلسلة من العلامات المؤثرة في كيان الانسان الشعوري . وسيكتشف الفنان رؤياه في اللحظة المناسبة لينظم (احشاء) موضوعه . ولكن اسلوبه التحطيمي هذا سيظل معبرا عن المشكلة الحيوية . وليس للافصاح عن نظرية (عقلية) كما هو شأن الفنان

(٤) - القيمة Valeur غير العنصر Element . فالقيمة الفنية هي نتيجة المعطيات Données ورسوخها في سياق العمل الفني (جماليا) و (تاريخيا) . اما العنصر فهو ما يشكل الشكل Forme ازاء المحتوى Contenu وذلك في قبيل اللون والخط او القيمة او السطح الخ ...

(٥) الاشارة هنا الى لوحة بعنوان (جثة وحمامتان) وهي من منجزاتي لفترة الاعوام ١٩٥٠ - ١٩٥٤



فلاحون مقياس (٤٠) - منظر ١٩٥٨  
Paysants - 40 - Paysage

اجوف فحسب ) اي انه على الاجمال كان يعامل ظهور الطبيعة خلال الانسان ، فكيف بمستطاع الفنان المعاصر ان ينحت الانسان مجددا من مادة اللحم والدم نفسها ؟... هنا صميم المشكلة المعاصرة .

الفنان المعاصر يرفض اتخاذ الطبيعة نقطة الارتكاز في التعبير الفني ، مفضلا عليها الحياة برمتها وبهذا الوضع الجديد فحسب سيكون في مقدوره ان ينحت الشجرة من الشجرة والانسان من الانسان . ومع ذلك فان معاملة (الحياة) وحدها لا تفي اذا هي لم تنجز خلال الاداء نفسه . ولنتساءل من جديد :

ما مدى امكانية اللون والخط والمنظور والسطح . وكذلك الموضوع والمغزى والعاطفة والمعنى في استيعاب الحياة واحتضانها ؟...

انه من مجموعة الوسائل التشكيلية سيبنى الفنان الحياة من الحياة .

وهذا هو الوضع الايجابي للفنان الحق وليس الضائع . فمن اليسير ان يحدد الموضوع الفني تحديدا حيويا والذي يربط عناصر الحياة الظاهرية ببعضها البعض . وستشكل (الحادثة) التصويرية (اطارها) ، غير ان ذلك لن يكون سوى الوسط الجديد واللبوس الظاهري ، وهو لن يكتسب



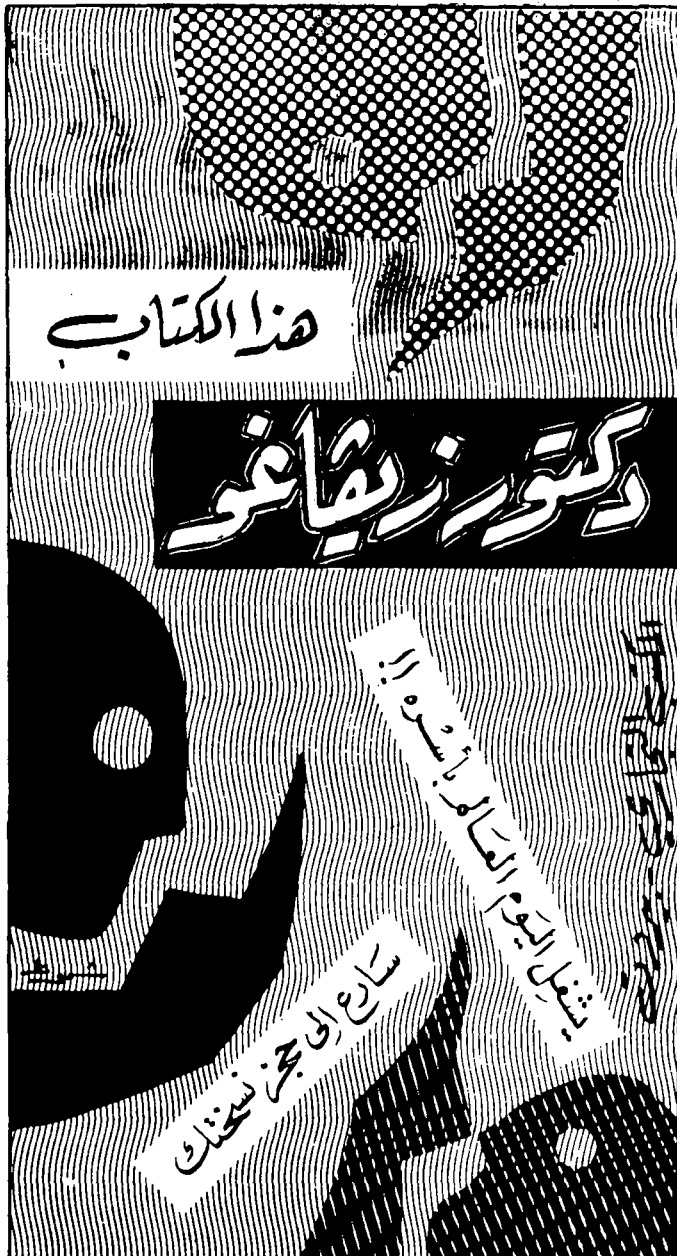
اللون في اللوحة الحيوية هو عنوان الثوب او المنضدة او البشرة الانسانية ، ولا هو انفعال الرسام : ثورته او جنونه ولا هو من احلامه وعالم لا وعيه ، ولكنه ( لبنة ) واحدة من جدار يمثل لي حياتي في نظرة واحدة . فهو حقيقة الضوء والظل وهو عنوان الشيء وانفعالي ولا وعيي معا . وهذا ما يصدق على باقي العناصر .

وهكذا . فلا ضرورة اذن ، ازاء هذا العالم المرسوم ان نتساءل :

ما اشد غموض هذا الجو ، او ما اشد وضوحه . . ؟ وما اغنى هذا السطح او ما اوضح تعبيره . . ؟ ذلك ن جوه جو مفعم بشتى الاعتبارات . فالغموض والوضوح وغنى التعبير وبساطته وشموله وعفويته ورمزيته جميعها من مقوماته . ان العمل الفني فعل حيوي يظهر موقف الفنان من الحياة .

شاكر حسن سعيد

باريس



التكعيبى او عن مشاعر صرفه كما هو شأن الفنان التعبيري او عن وعي سايكولوجي كما هو شأن الفنان السوربالي او روجي كما هو شأن الفنان التجريدي .

ان التحطيم ( بالاحرى التحويل . Transformation ) الشكلي والبعدى واللوني والحجمي . والخطي والتظليلي - ههنا - هو بناء للحياة ، هو مناقشة ما اذا كانت قيمة الانسان هنا او الحصان هناك هي في محلها من (الحادثة) التصويرية المرسومة . كما انه المجال الشعوري ، والاشعوري ايضا ، للكشف عن معنى ومضمون الحياة التي يعيشها الرسام .

وسيفذى ( التكرار ) (٦) ايضا صلب الاسلوب الفني . ويتغلغل في كيانه لينعكس في شتى قيمه انعكاسا لا يدع المجال لافتراضه ( قيمة زخرفية تزويقية او اخلاقية ادبية ) اذ انه سيؤلف من الاسلوب الحيوي هيكله حينما يتحقق في (الصفوف المرسومة) و(المنظور) والالوان والاشكال وسيقتسم هو ومبدأ التحطيم عبء تشييد العالم ، ويحتضن لحمه وروحه معا . مثلما سوف تنمو خلاله معاني الاشياء وحركة الخطوط والكتل نموا يلقي بيسر كل جمود يهيئه رسوخ العسالم الخارجي . وهو لن يعنى كذلك صياغة العناصر الشكالية صياغة رتيبة monotoneuse تبعث الملل في نفس الناظر وتضايقه ، بل صياغة هي من بيئة الموضوع المتعدد الملامح ، الفني بالمقارنات .

ولقد كان ( اللون ) فيما سلف معبرا عن الظهور الخارجي قبل كل شيء حينما استعمله الفنان الانطباعي ، وما بعد - الانطباعي وسواهم من فنانين ، طبيعيين ، او معبرا عن الجوهر الداخلي كما عبر به التعبيري والسوربالي والتجريدي وكذلك شأن باقي العناصر . بيد ان هذه العناصر جميعها ستكتسب الان معاني جديدة فيحل ( اللون ) في وقت واحد مسألة الظهور الخارجي والخفاء الداخلي معا . وسيتححر الفنان في وضع الالوان لاشياء يقترحها حضوره بحيث يفصح عن مدى التزامه لموقفه من العالم ، وعن عمق غوره النفسي معا وستمثل الالوان بمجموعها تجربة الفنان الشعورية الحزينة او الثائرة او المتفائلة الخ . . في حين ستحدد في نفس الوقت ظهور الاشياء المتطورة من طرف اخر . اما الخط فسوف يتعاون بدوره مع ( الكتل ) و (السطوح ) لتشكيل الابعاد . مثلما يفصح عن عواطف ومشاعر ولاوعي الفنان . وكذلك يصح القول عن باقي العناصر .

وليس من اليسير الان ان اعدد كل امكانيات العناصر الشكلية في بناء الاسلوب الحيوي ذلك اني لا اعلمها حقا كقيم تطبيقية ولكنها بمجموعها امامي من مكونات الحياة التصويرية ، وفيها تستحيل الاشكال الطبيعية المرئية من كونها علامات مجردة الى كونها اعضاء جديدة نامية . ليس

(٦) سنفردي في فصل خاص تال دراسة عن هذه القيمة الهامة في التعبير الحيوي . وهي بعنوان ( سحر التكرار ) .

# نزلح سر

يدق بدقاته-الصاخبات  
على باب جنتنا الحانيه  
تلاقيني بابتسام الورود  
والقالك بالفرحة الراضيه  
وانشر احلامي الزاهيات  
كما انتشر الزهر في رايه  
واحتضن الحب .. حبي الكبير  
وانفض همي واشجانيه  
ونلهو ونصرخ مثل الصغار  
وقطتنا حولنا جانيه  
تموء وترنو لافراحنا  
وتقفز لاهية هانيه

\*\*\*

احبك مثل اكتساء الربيع  
بحلة ازهاره الزاهيه  
احبك مثل ائتلاق الصباح  
تعري من الظلمة الداجيه  
اجل يا غرام الصبا والطموح  
احبك كاسيه عاريه  
بنيت لعشى الصغير الصغير  
غراما كبيرا كاماليه  
لاجلك هذا الكفاح الميرير  
لاجلك غنيت اشعاريه

\*\*\*

فقلت وقد قطبت وجهها  
والقت بشعري في ناحيه  
اتقضي نهارك في مكتب  
ويمضي مساؤك في قافيه

لاجلك هدهدت اياميه  
وجمعت احلامي الباقيه  
لاجلك نمقت هذا الخريف  
واطلمت زهرة حانيه  
وحملت عنك غبار الشقاء  
وغصص الحياه باحلامي  
فيا اخت عمري .. بلذاته  
والامه المرة القاسيه  
اذا عشق الناس سحر الربيع  
فانت لي الزهر والرايه  
وان طاف حولي ظلام ضيرير  
فانت الضياء لاياميه  
تلاشى كياني فيك ... كما  
تلاشى كيالك في ذاتيه

\*\*\*

ويأتي نهاري فأمضي الى  
مطالب للعيش في ناحيه  
فاحصي لغيري دنائيره  
وكفني من مثلها خاليه  
وان عصف الشوق يا جنتي  
اعد الدقيقه والثانيه  
وامضي اليك على لهفه  
فيحنو طريقي على ماييه  
كطير الح عليه الحنين  
فآب على لهفه صاديه  
واستبطء الخطوحتى حبت  
كاني اسير الى خلفيه

\*\*\*

ولما تبينت اقداميه  
وطار فؤادي الى بابيه

وامضي ارتب في غرفتي  
وروحي رائحة غاديه  
اقول لعل مساء غد  
ستحمل لي نزهة لاهيه  
ويأتي المساء باحلامه  
ويعبر كالليله .. الماضيه  
فمهما مددت الي النعيم  
وطوقتني بالمني الحاليه  
ومهما حملت الي الربيع  
فشعرك لي زوجة ثانيه

\*\*\*

حنالك لا تسرفي في العتاب  
وخلي ملامتك العاتيه  
وهبتك كل حنان الزمان  
وغنيت كالفرحة الشاديه  
فجازيت قلبي بحرمانه  
وحرمانه نعمة قاسيه  
انا يا منى النفس روح تفني  
وتصدح نائية دانيه  
اثور على السفح مهما حنا  
وازحف للقمة العاليه  
واطرب للنور بعد الظلام  
واسكب للوثبة البانيه ...  
قصيدا ارققه من دمي

ابراهيم عبد الحميد عيسى  
القاهرة

# نفسها وجهها المتعب!..

## قصة بقلم زكريا تامر

يوم موتي ؟

فقلت بنفس الصوت الجامد :

- اولادي جميعهم احياء .. انت مخطيء .. اني لا اعرفك .  
وادارت وجهها الى الداخل ، ونادت اخوتي الذين اتوا بسرعة ، واقفلوا  
الباب في وجهي صارخين :

- اذهب عنا يا مجنون .. نحن لا نعرفك .

فاستندت الى الجدار وانا اشعر باعياء غريب .. آه يا امي .. لاجلك  
جئت من عالم الموتى .. انا وحيد بدونك .. انا وحيد .

وجرتني قدامي بعد قليل نحو شارع متخضم بالضوضاء .. وهناك  
احسست بانني قد غدوت شيئا ما كريها لا طفولة له .. ولم البت ان  
توقفت عن السير عند احد المطاعم ، وطفقت اتأمل من خلال واجهته  
الزجاجية النساء والرجال الجالسين وراء مناضد تكدست عليها صحون  
ملينة بطعام شهوي . وانبثق بفتة جوعي المختبئ في اغواري منذ سنين ..  
آه يا امي .. انا جائع .. وظللت غارقا في حلقة نهمة انتشلتني منها بعد  
مدة طويلة يد امسكت بكتفي .. فاستندت مذعورا لاواجه رجلا انيقا ..  
قال لي وهو يتنسم :

- انت جائع ؟

- انا بلا نقود

- اتبعني .

وسرت خلفه برأس منكس مساقف قصيرة ، وعندما وصلنا الى  
بناية فخمة ، قال وهو يحتاز دون ان يلفت الي :

- اتبعني .

وفي غرفة اناها ثمين وفاخر للغاية .. ابتسم الرجل الانيق مرة  
ثانية ، وقال :

- اذن انت جائع وبلا نقود ؟ .. يمكنني في مثل هذه الحالة ان اعتبر

نفسي منقذك فلولا لي لسرقت وقتلت .. اتحب القتل ؟

قلت : انا احب كل التجارب الجديدة .

قال : ستعيش سعيدا ان اطعنتني وخدمتني باخلاص .

قلت بقل : سأفعل كل ما تريد .

فابتهج وجهه وقال :

- اني احب لو يتكلم كل الناس مثلك .

ثم اردف بعد لحظة صمت وبلهجة جديفة :

- توجد في احدى غرف هذا المنزل امرأة تضايقتني .. اقتلها ..

واقترب مني ، ودس في جيبي سكيننا نصلها براق ، ثم دفعني نحو  
باب موحد .. فتحته بتردد .. واستدارت الي امرأة كانت تقف

امام مراة كبيرة ، وراحت تتاملني دونما كلمة .

قلت : الست خائفة ؟

قالت : ستقتلني .. اعرف عملك .

... ولقد اطعمت لحمي وذكرياتي واحلامي الهرمة لغربان سوداء ،  
حومت فوقني في نهار شمس بارد هزيلة ، وساعاته كلها مدفونة تحت  
الرماد المنهمر من جرح رجل بانس مصلوب وسط صخب مدينة كبيرة .  
وتعاقبت علي الاعوام الكثيرة وانا راقد على ظهري بدون فرح او كآبة ..  
احملق ببلاهة في عتمة موحشة . وتسرب الي في احدى الليالي ضياء  
القمر من ثغرة في سقف قبوري ، فامتلكني قشعريرة قاسية ، وتذكرت  
دفعه واحدة نهدي امرأة بلون الحليب واغنية قديمة ونهرا تنساب مياهه  
الخضراء بهدوء ونعومة ، واستفاق في نفسي حين جارف الى مدينتي  
التي ابعدني عنها موت فظ .. فقلت لنفسي : ماذا سأخسر لو عدت الى  
العالم ؟

وهكذا قدر لي ان ارجع مرة اخرى الى الشوارع حاملا في اعماقي  
نشوة معلقة بالقمر التلالي فوقي بعدوبة تمتزج بدمائي التدفقة في  
عروقي .. فاحس بانني قديس صغير وديع .. ليمش البشر ببراءة تنفذ  
بمدينتي من تعاسة متوحشة .. القمر .. آه ما اجمله .. وتشبثت نظراتي  
بوجهه المستدير الابيض .. وقلت لنفسي : القمر امرأة جميلة بيضاء ..  
سأسرقها في يوم ما .

واخذت افهقهه مستسلما لفظة مجنونة غير عابئة بنظرات الاستنكار  
والاستغراب التي ترمقني بها عين المخلوقات المتحركة فيما حولي .. وقال  
شاب لامع الشعر لشاب اخر كان يمشي بجانبه :

- انظر .. هذا مخلوق تافه .. لماذا يضحك ؟ .. لا بد انه سكران .  
وتلاشت قهقهاتي رويدا رويدا بينما تعاطم في داخلي الشوق لرؤية امي  
واخوتي ، فحششت خطواتي نحو الزقاق الذي يقبع فيه البيت الذي كنت  
اعيش في جنباته من قبل ، وعندما وقفت امامه .. لمست خشب بابه  
بحنان قبل ان تضغط اصبعي على زر الجرس صفطتين قصيرتين .. وقلت  
لنفسي :

- ستعرفني امي حالا في طريقي في قرع الجرس .. وستفاجأ برؤية  
ولدها الذي مات قبل اعوام .. يا لفرحتها !

واضطربت قليلا حينما سمعت حركة خلف الباب الذي سرعان  
ما انفرج عن وجه امي ، فهتفت اعماقي بحرارة وقد خضعت لطفولة  
عجيبة :

- آه يا امي .. آه يا امي ..

وذهلت حينما سمعت امي تقول متسائلة بصوت جامد :

- ماذا تريد ؟

فضحكت ضحكة مصطنعة ، وقلت بصوت حاولت جهدي ان اجمله  
مرحا :

- يا له من سؤال ؟ اهكذا تستقبلين ولدك ؟

فاجابت ببرود : انت مخطيء .. اني لا اعرفك .

فصحت بحماس : انا ولدك .. ولدك الميت .. الا تذكرين .. كم بكيت

قلت : الست خائفة ؟

قالت : الموت لا يخيفني .. انه بدء طريق الى عالم كبير جدا ومجهول .

قلت : ان تصرخي ؟

قالت بازدياد : انت جبان .

وثبتت علي عينيها اللتين تقذف اغوارهما بصرخة عنيدة تتحداني ..  
تذكرني برجل سكران تشاجرت معه في خماره ، فبصق في وجهي باحتقار ،  
وقال بصوت مرتفع :

- انت فار .. اذهب واقتل المرأة التي يعرفها كل الذكور في المدينة  
ثم حاول بعد ذلك ان تضرب رجلا مثلي .

ربما شحب وجهي في تلك اللحظة .. لم اتفوه بكلمة .. خرجت من  
الخماره تتبعني عاصفة من قهقهات السكارى الساخرة .. عدت الى  
البيت .. اخي الصغير يبكي .. لماذا يبكي .. انه ما زال صغيرا .. ضربته  
بقسوة جعلته يصرخ صراخا شبيها بعواء كلب يلتهمه حريق كبير ...  
صرخت امي : لا تضربه ... فقلت بصوت متهدج : ساقتله واقتلك ..  
غير ان غضبي انطلقا لحظة سمعت نسيجهما المرير .. وتمنيت بعد لحظات  
لو اعانق اخي وامي وابكي معهما طويلا .

وضحكت المرأة وقالت : انت جبان .

فحدقت بعقد في وجهها .. وتذكرت مرة ثانية الرجل السكران وامي .  
فاجتاحني غضب هائل جعلني احس بان يدي قد انفصلتا عن جسدي  
وتحولت كل يد الى مخلوق غامض شرير .. له عالمه الخاص وله حبه  
وحماقته ونشوته وجريمنه .

وتقلصت اصابعي وهي تضغط على عنق المرأة الابيض بينما تهدر في  
سمعي اغنية الكراهية ذات النغم الشرس .

وتراجعت بعد هنيهة الى الخلف ، وتدلت يداي الى جانبي كجثسي  
صرصارين ضخمين .. تاركتين جسد المرأة ينهار الى الارض بدون حياة .  
وتسمرت عيناى على الجسد الهامد .. لحم الانثى ما زال يحتفظ  
باغرائه الحار رغم تلج الموت المتساقط عليه .. ولو لم يدخل الرجل الانيق  
الى الغرفة في تلك اللحظة لسقطت فوق الجسد وانا الهث .

قال الرجل الانيق :

- عمل لا بأس به .. لماذا لم تستعمل السكين ؟ .. اتخاف من  
رؤية الدم ؟ .. لا شيء اجمل من دم احمر مسفوح على لحم ابيض .  
ومد يده الي ، وكانت تحمل رزمة من الاوراق المالية ، وقال :  
- عندما تكون جيوبك مليئة بالنقود .. تصبح المدينة ملكا لك ..  
انت الان سيد المدينة المجهول .. وباستطاعتك ان تفعل بها ما تشاء  
.. اذهب وتمتع بوقتك ..

وعدت من جديد الى الشوارع ، وكلي توق الى خنق صراخ جوعي ..  
فاخترت مطعما فخما .. دلفت الى داخله برأس مرفوع .. وابتنسمت  
بهزه عندما اسرع خادم المطعم نحوي وانحنى باحترام .. طلبت صحنا  
من البفتيك .. التهمته بسرعة وانا جد معجب بطعمه اللذيذ الى حد  
مدهش .

وقلت لخادم المطعم بينما انا ادفع له ثمن ما اكلت :

- اللحم لذيذ جدا .

فاجاب برصانة :

- مطعم للاغنياء .. وهو لا يقدم الا افخر الاطعمة .. اللحم الذي  
اكلته .. لحم انسان بدين .

فتساءلت بصوت خفيض اجوف : لحم انسان ؟

واندفعت الى خارج المطعم ، وفي زاوية من زوايا الشارع حاولت

ان اتخلص من الفشان الذي داهمني بان انقيا فلم انجح ..

وسرت بخطي مهتاجة وانا اردد : لحم انسان .. لحم انسان .

واصطدمت بصبي صغير لصق حائط ، فسألته بخشونة :

- ماذا تفعل هنا ؟ اليس لك بيت ؟

فاجاب بذعر : اني انتظر امي .. انا اخاف من البقاء وحدي في البيت .

- اين امك .

فاشار بيده الصغيرة الى باب احد الدور وقال :

- انها هناك .

- بيت اقاربك ؟

- ليس لي اقارب .

- اليس لك اب ؟

- ابي ميت .

وتصورت في الحال امه .. انها امرأة فقيرة جميلة وديعة ملقاة الان  
على سرير رجل غريب يسحق جسدها العاري بينما هي تفكر بطفلها الذي  
ينتظر وبالنقود التي ستكون ملكا لها بعد قليل .

وحدقت بشفقة في وجه الصبي الصغير الذي اكتست ملامحه بغلاف  
من الاسي الصامت .. فوجهي ربما كان مثل وجهه .. عندما كنت صغيرا  
اقف مرتجفا قرب حائط صلب انتظر ذراعي امي الحائيتين اللتين ادركت  
فيما بعد انهما كانتا تطوفان في كل ليلة عنق رجل ما .. يملك نقودا .

وتابعت مسيري وفي تلك اللحظات كانت المدينة موسما عجوزا ذات  
وجه شاحب متعب لا يعرف الابتسام ، وكان حينني لقبري اغنية اسبانية  
تنمو وتزدهر .. ورفعت وجهي الى اعلى فاذا بالقمر قد اختفى تماما  
خلف السحب السوداء .. انا عائد الى قبري .. واخذت اركض كمجنون  
هلع من شارع الى شارع بينما راحت الامطار تهطل بغزارة .. اين قبري .. اين  
قبري .. اني اضعته .. لا فائدة من البحث .. اواه يا اما تمقت ولدها .  
اني اضعت قبري .. فالى اين اذهب ؟

زكريا تامر

دمشق

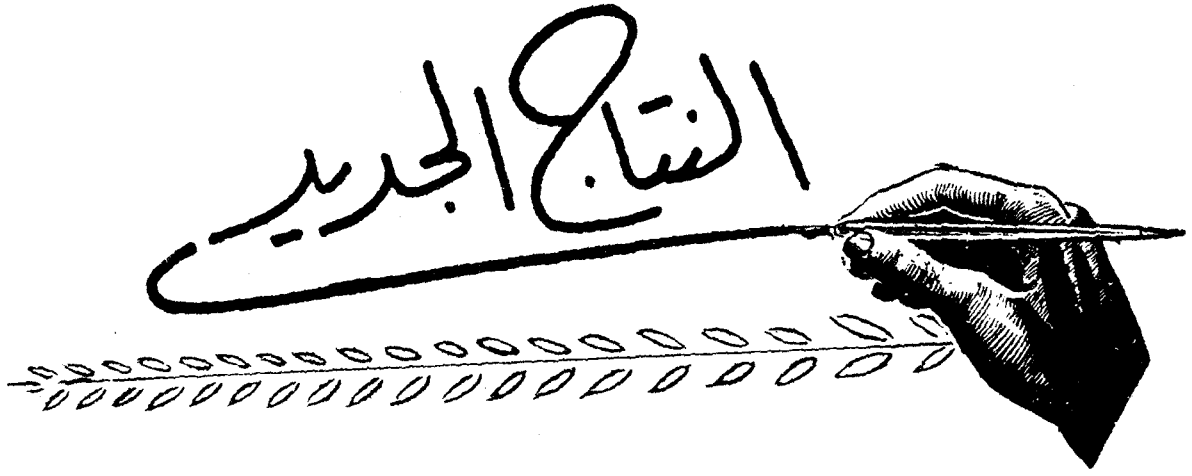
## مجموعات «الاداب»

لدى الادارة عدد محدود من مجموعات السنوات

الست الاولى من الاداب تباع كما يلي

مجلدة

| مجموعة السنة الاولى | ١٩٥٠ ل. | ١٩٥١ ل. |
|---------------------|---------|---------|
| » » الثانية         | » ٢٥    | » ٣٠    |
| » » الثالثة         | » ٢٥    | » ٣٠    |
| » » الرابعة         | » ٢٥    | » ٣٠    |
| » » الخامسة         | » ٢٥    | » ٣٠    |
| » » السادسة         | » ٢٥    | » ٣٠    |



## ارزاق

تأليف : سعد الدين وهبه

مطبوعات الشهر - ١٦٠ صفحة

★

ايهما امتع عند الكاتب ... ان يقرأ عن انتاجه نقدا جيدا ترتاح له نفسه وتستمد منه حرارة المضي في رسالته ام ان يملا جيبه نقودا ... هي تمن ما انتج ؟ ان الماديين لا يترددون في القول ان المادة هي الاساس ويزعمون ان هنالك المئات من الكتاب الذين لا يهمهم رضاء الناس عنهم - والنقاد في البداية - قدر ما يهمهم الحصول على ثمن ما يكتبون ، ولولا ذلك لما كان الاحتراف . والرد على هذا ان بداية الكاتب المحترف لا بد من كونها هواية تستمر باستمرار صاحبها ماسكا قلمه مراقبا من قبل النقاد. اما اذا احترف فهذا لا يمنع من ان هوايته هي الركيزة الاساسية التي يستطيع باشباع منها ان يكتب وان يبدع وان يسمع بعد ذلك النقد الجيد . وقد تدفع هواية الادب صاحبها لان يكون كفاحيا في الطريق الوعرة التي يشقها لنفسه في دنيا القلم ، وقد يبذل منهاج حياته الروتيني داسا على عقب في سبيل ذلك ، وقد يرمي نفسه في متاهات حياته فيترك وظيفته الطبية ( التي اختطتها له ظروف معينة ) الموفورة الدراهم الى اخرى قلقة معاشيا ولكنها تحقق له ذاته وتبرعم له قابلياته وتورقها كما يريد هو لا كما يريد له الكرسي الذي جلس عليه يومافي وظيفته السابقة. والذي يدفعه الى ذلك هي الهواية المتأصلة في فطرته التي يرتبط بها معنى الكفاح ارتباطا تكامليا .. وهذا ما وجدته عند الاستاذ سعد الدين وهبه اثناء قراءتي لمجموعته القصصية الاولى ( ارزاق ) ، فقد ترك (سعد) وظيفته كضابط بوليس محترم تعالي كتفيه اربع نجومات متأللة وتلا محفظته رزمة من الدنانير كل شهر وامتيازات اخرى اهونها تحيات الجنود له اينما تحرك او استقر .. ترك كل هذا وانضم الى نقابة الصحفيين بالقاهرة كصحفي جديد يريد ان يحرك قلمه كما يشاء وبحرية .. بعيدا عن الرسميات بعد ان تولى سكرتارية تحرير مجلة (البوليس) ومن ثم حقق حلما من احلامه باصداره مجلة ( الشهر ) ادبية بالاشتراك مع زوجته الفنانة سميحة .. وتوج جهوده باصدار اولى مجاميعه القصصية هذه التي اتمرض لنقدنا الان والتي اهداها لسميحة قائلا : « الى التي ضمت قابها الى قلبي وعقلها الى عقلي وريشتها الى قلبي .. نحاول معا

.. ان نصنع شيئا ما لنا وللناس » ثم يشرح لنا في المقدمة كيف ضربه مدرس العربية عندما وجده سارحا عن الدرس ، ومتى ذهب الى السينما لأول مرة ومتى بدأ يقرأ القصص وكيف احس بالرغبة في كتابة القصة .. وماذا كانت نتيجة تفكير عقله الصبياني في طبعها .. طبع عشر نسخ منها وتوزيعها على معارفه ثم اصطدامه بالواقع المرير .. واقع الفراغ المادي لجيبه .. اظن انني استطيع القول ان هذه الحادثة قد دفعته ليملا هذا الفراغ اولا ثم يشبع هوايته بعد ذلك... باصداره هذه المجموعة . وعلى كل حال فقد كانت المقدمة موضوعة بأسلوب قصصي مرح لطيف وهذا ما يدلنا على طبيعة القاص الصافية التي تنبع من نفس سعد الدين .. رغم انه يكتب مقدمة لا قصة .

(هريسة) عنوان اول قصة في المجموعة وتوسم من خلالها أسلوب المؤلف السهل ونماذج في بدايتها تقاربا مع أسلوب يوسف السباعي «كنت احب الهريسة جدا. وخاصة من يد ناهد .. وناهد هذه ابنة الحاج .. والحاج هو صاحب المنزل الذي اسكن حجرة منه » .. هكذا اظن ولا ادري لماذا .... .. في ( هريسة ) يرسم لنا المؤلف صورة فتاة مراهقة تتحرش بصبي صغير دفعته الظروف لان ينزل في غرفة من دارها في المدينة ليدرس في مدارسها .. كان الحوار بينها وبينه حول الحب و (البوسة) وثمنها الذي لا يتجاوز قطعة هريسة منها له لطيفا ، ولو لم يسرع المؤلف في حشد مجموعة سريعة من الحوادث الاخرى وركز على هذه المرحلة وتوسع فيها لخرج بنتائج طيبة ولكنه استمر ، فسافر الى داره في العطلة وهو يفكر في تصرفات ناهد ومن ثم فهم سر تصرفاتها اثناء الاجازة .. وانبعثت المراهقة عنده فجأة واحس بكثير من احاسيس ناهد التي كانت غامضة ولا رجحان لها .. لناهد هذه المرة لا للهريسة ، اصطدم بان حجرة قد اجرت لاحد المدرسين الشباب الذي قضى وقتا طيبا مع ناهد .. انتهى بفضيحة في مركز الشرطة ومن ثم بزواج ناهد منه .. ان وقوف الصبي كبطر، جانبي ورواية للقصة وتنحية المؤلف له عن احتلال منصب البطل قد دحرج القصصون في متاهات ولو تركزت الجهود على الصبي وناهد لكنت هذه تجربة لا بأس بها قد نخرج منها بنتائج طيبة .

القصة الثانية ( في العتبة ) نرى البطل في بدايتها في حالة شرود ذهني غير مريح ولا نفهم له سببا - رغم اصطدام المارة به - الا عند حديثه مع صديقه ابراهيم الذي يصادفه في الشارع ويسترسل معه في حديث طويل عريض وصاحبنا لا يكاد يرد عليه الا بتف من كلمات .. يظهر ان سبب الشرود خارجي .. الجوع .. التشرود .. البطالة

التي اضطرته الى اخراج ولده من المدرسة (١)

ثم يقترح عليه صديقه ان يشتغل في شركة الترامواي التي يشتغل هو فيها .. شغلة غريبة .. اسمها شاهد زور ، ويمهد لنا سعد الدين قبلها بحادثة ترام كاد ان يدهس فيها احد الاطفال وكاد السائق ان « يروح في داهية » لولا مهارته ، هذه الحادثة .. والجوع .. ورغبته في تسديد مصروف ابنه .. عوامل مساعدة على قبوله هذه المهنة التي يبدأها في اليوم التالي بحادثة يحصل من ورائها على دينار كامل ... وقبل ان يصور القاصر حادثة الشهادة بالضبط كان لدي ارهاص بالنتيجة .. ولا ادري هل اضع هذا تحت بند النجاح ام الفشل؟

في (الباشمخضر) تجد الانسياب الحوارى الشعبي اللطيف الذي لا بد وان يكون كذلك عندما تقع مثل هذه الحوادث في حارة شعبية تاريخية كزقاق البلاط في بيروت او شبرا في القاهرة او الست نفيسة في بغداد ، رؤوس تمتد من الشبابيك لتسال عن الامر وتلحف في السؤال يقتلها الفيض السائم بعد ان وجدت حادثة ترجح مياه وحشه دارها الرائدة .. كان الموكب الذي يسير في الحارة مؤلفا من صبي شيخ الحارة والباشمخضر غباشي افندي والخواجه مانولي والعسكري رمضان ، ويصلون الدار المقصودة بين ضجيج الاطفال وتثاؤب العسكري (الساھر) وتخرج لهم الست نفيسة عبد الواحد المتولي فيدخلون الدار التي ذهب منها رجلها الحشاش الى السجن ليسجلوا ما فيها ، تمهيدا لبيعها لصالح الخواجه اللعين ، وهنا يبدأ غباشي بمغازلة نفيسة ويخرج العسكري وحسن وينتهي الامر باخراج النقود من جيب غباشي الى جيب مانولي ، ويبدأ التحرش وتدخل بطة بنت نفيسة الصغيرة باكية ... وهنا تأتي اللحظة الهادفة في حياة الاقصوصة .. يراقب غباشي الذي يمضي نفسه بالتلذذ بلحم نفيسة الطازج بظه وحوارها مع امها .. جارها الصغير الذي ضربها فقالت ( لو كان لي اب يحميني ) ، فيتصدع عامل الشر في نفس غباشي ويعود ويذكر ابوته وماساة بطة ويترك الدار راكضا .. بعيدا عن الالم . القصة ناضجة ولو ان التمهيد الجذري للحظتها الحاسمة الهادفة غير وارد تماما .

اما قصة ( شاهد اثبات ) فيتضح لي فيها عاملان هامان ، اولهما يتعلق بالبناء القصصي التشابه فيها - في البداية - مع بناء قصة (في العتبة) ، فشخصية البوليس والبطالة وشاهد الزور متوافرة في القصتين ، وشخصية العسكري موجودة في اغلب القصص التي مرت بنا ، وهذا دليل على تاثر المؤلف بواقعه السابق كضابط بوليس . الا اننا لا نريد لهذا التأثير ان يستمر حتى في شخصيات قصصه دوما ، وعلى كل حال فقد كان الصراع النفسي الذي تقاذف البطل هنا محسوسا وواضحا بحيث جعلنا لا نرهص بالنهاية التي جاءت هادفة بعمورة غير مباشرة .. هادفة بحكم القدر .

اما قصة ( الواد عاشق ) فتبدأ بحوار لطيف بين والد البطل ووالدته على حكاية ( صبيان الايام دول ) وبنت المدرسي وكيف ان ابنهما قد عشق واحدة ، ويتناوم البطل الصغير خوفا من العقاب ، ونلامح الكلمة

(١) اقرأ في اغلب قصص كتاب مصر عن مصاريف الدراسة وهذا شيء غير موجود في العراق اذ ان الدولة تتكفل بنفقات الكتب ( والملابس للفقراء الاذكياء ) من الابتدائية حتى الثانوية وفي بعض الكليات : نرجو ان يتم مثل ذلك في الجمهورية العربية المتحدة ما دامت الوحدة الثقافية قد اوجدت في البلدين

الحانية التي يقولها الاب للام رغم غضبهما وهو يخرج : « اوعى تقويله كلمة كدا والا كده .. احسن داشرائي ويعمل في نفسه حاجة » .. وفي حالة (تناوم) البطل يشرح لنا ( المشكلة ) التي حدثت له وكيف اكمل الابتدائية واخذ يسافر الى المدينة بالقطار يوميا ليدخل الثانوية وحبه للفتاة (من النظرة الاولى) وخطابات الغرام في كرايسه ومعميات المراهقة الحادة التي جعلته يهذي بقصته وهو نائم فسمعها والداه ثم نقرا سداجة الوالدة الريفية التي تدور ولدها على النار والبخور لتنجيه من عين بنت المدارس وغير ذلك من الطقوس الغريبة التي ادت بها الى تلطيخ ابنها بدم الدجاج ... اما الذي حدث في اليوم التالي فهو اكتشافه لخيانة التي يحبها دون ان يعرف حتى اسمها .. وعندما يعود الى البيت تسأله الام (مش خلاص ربنا هداك ؟ دي بركة الشيفخة نفيسة ويتمم هو « بل هي الخيانة » وبهذا فهو يسخر من احبولة النسدر وبركات الكذابة الكبيرة .. ومن نفسه ايضا .

هنا نصل الى بيت القصيد .. قصة (ارزاق) التي تبدأ بمقتل شابين من خيرة شباب (كفرعب الواحد) ودخول صديقهما الثالث السجن ومحاولة الرجال العقلاء حل المشكلة ، ويعود بنا المؤلف الى قضية القتل الوحيدة التي حدثت في هذه القرية منذ عشرات السنين بحيث اصبح الناس يؤرخون بها حوادثهم (فلان مات بعدما قتل الرجل بثلاث جمع وفلان ولد بعد جمعيتين من قتل الرجل) ، وهنا نلمس عمق هذه المسألة من الزاوية التاريخية فقد كان الاشوريون والفراعنة والاكديون يؤرخون بالحوادث الهامة التي تقع في اقطارهم ، كموت ملك او حدوث حرب ، ومن رايي ان رواسب من هذه الطريقة قد بقيت عندنا حتى الان وتجلي قسم منها في هذه القصة التي يبدو لنا من خلالها ان سبب الحادثة الاخيرة المؤلمة هو الغريب .. هو الخوaja الخالد في القصص المصرية .. الخوaja جورج الذي دخل البلد الامن الطيب فمات فيه فسادا ، الذي زرع شيئا غريبا في فدادينه العشرين وباعه بمبلغ كبير ، فاجتمع شباب القرية . مبروك ورشوان ومحمد ابو الحسن والراوية ليعيشوا مسالة استخصال السر .. كانت الناس تقول لهم « اتو مالكو يا جماعة .. دي ارزاق » وهم لا يرضون الا بمعرفة نوعية رزق الخوaja الجديد .. وينتهي الامر بمقتل شابين منهم لاخلالهما بالاتفاق واخذهما المال من الخوaja وتعود مداولات اهل البلد بصورة اجماعية حول مصير ضيفهم الثقيل وزرعه ويقترح احدهم الابلاغ عنه بتهمة زراعة الحشيش فيسنتكر الحاج عبد السلام المسلم المتدين وبصر الشاب على رايه قائلا «انا حاكتب البلاغ ... ارواح السجن شهرين ثلاثة احسن من رجالة البلد تنقتل واحد ورا الثاني. سبحان الله العظيم » ايمان مصحوب بكفر وبتضحية للنفس في سبيل الجموع ! ويتفق الراوية مع بعضهم ويخبر عن الخوaja ، وفي اليوم التالي تنهب القرية كلها الى داره بعد رؤيتها للمساكر وبعد التحقيق يتبين للناس ان الخوaja قد زرع (مفات) (٢) من نوع جديد غريب « وفي العام التالي كانت قربتنا كلها تزرع المفات ، اما الخوaja فقد قاطعه اهل القرية ورفضوا ان يعملوا معه في زراعته ، وبعد اشهر باع الارض وغادر القرية » وهكذا اتبع اهل القرية طريقة المهاتما غاندي ( المقاومة السلبية ) مع هذا ( المستمر ) فساد بلادهم الى غير رجعة .

(٢) المفات : نوع من النباتات تستعمله النساء الريفيات للزينة كالحناء

وغیره

ونلمح في المشهد الاول منها مدى اعتزاز القروي الساذج بابيـه واستحيائه من ذكر امه امام الرجال ، وهو تقليد لا يزال يسار عليه في الارياف باعتبار النساء من المحارم وهو سر من اسرار استعمارنا ونزول درجتنا الاجتماعية بين الامم .. يتبين للعمدة ان حمارة عوضين قد عبثت بزرع ابراهيم بن خضرة فلا يفعل شيئا وتروح حاشيته الكريمة التي نجدها دائما ملتفة حول اي حاكم او مستبد يقش الشعب - تزين له فعله وتورد الادلة العقلية والنقلية على صحة ما فعله ثم يبدأ حديث السياسة ويستعرض الجمع مشكلة نزع السلاح؟! وتوحيد المانيا وعرقلة الاستعمار الغربي والشرقي لكل مسألة وحدة وتنتهي المناقشة بسماعهم طلقا ناريا .. ابراهيم قتل عوضين بسبب « حمارة عوضين » . والحقيقة ان سبب كل ذلك لا الحمارة ولا عوضين وانما الحاكم الذي استعرض كل مشاكل الدنيا ولم يحل مشكلة بلده .

واخيرا فقد كانت القصص بمجموعها ناجحة وكان اجملها ( اشارة ) والسبب في رايي لا يعود الى طرافة الموضوع فحسب بل الى تفسير التكنيك عند القاص وعذوبة اللهجة العامية المصرية ، ولا يسعني اخيرا الا تهنئة الاستاذ سعد الدين وهبة على مجهوده الطيب طالبا الاطبيب في الجامعات القابلة

باسم عبد الحميد حمودي

بغداد



## مرشد المعلمين في اصول تدريس العلوم

✱

نشرت دائرة التربية في الجامعة الاميركية في بيروت كتاب «مرشد المعلمين في اصول تدريس العلوم» تأليف الاستاذ اميل جبر ضومط الاستاذ الزائر في الدائرة المذكورة ، وهو جزءان الاول يقع في ٢٤٦ صفحة من القطع الكبير ويقع الثاني في ٢١٦ صفحة من القطع نفسه .

كان هذا الكتاب نتيجة جهود الاستاذ ضومط وخبرته في تدريس العلوم مدة تزيد على ثلث قرن فأتى جزءا من نفسه وقطعة من قلبه فيه الكثير من الابداع والخلق اللذين لم يسبقه اليهما مؤلف اخر . وعلى هذا امكن القول انه الكتاب الاول من نوعه في اللغة العربية وربما في اللغات الاجنبية ايضا ، يعالج فيه مادة العلوم والاصول المتبعة في تعليمها ، ويتميز الكتاب بالامور الاتية :

اولا : يتناول درس عمليتي التفكير والتعليم بطريقة علمية سيكولوجية تربوية فيبين الاسس التي تقوم عليها هاتان العمليتان ، ثم يشير الى الطرق والوسائل التي تساعد التعلم بصورة عامة وتعلم العلوم بصورة خاصة ، ويمثل المؤلف على ذلك بامثلة حسية واقعية مينا الاصول النظرية والوقائع التطبيقية في آن واحد .

ثانيا : يتناول الجزء الاول الاصول والمبادئ العامة التي يقوم عليها التعليم بصورة خاصة ، كما يبين حاجة الفرد والمجتمع الى العلوم في العمل اليومي . وهنا يلح الكاتب في التاكيد على ضرورة اهتمام الاقطار

قصة ( اشارة ) كانت في منتهى الروعة .. اضحكني كثيرا منولوجها الداخلي الطويل وغضب عبد المولى عامل التلغون الذي تسلم اشارة ينبغي عليه تبليغها الى جميع مناطق اللواء ( المركز ) .. كانت النكات المثالة تنبعث صافية اصيلة من نفسه العربية المنهكة التي عملها الاستعمار كيف تضحك عليه وعلى ذاتها ، كم هي جميلة هذه الشريحة من الكلام : « يا بلاد .. يا بلاد اصحي .. يا بلاد مركز الزفت .. هو انا مسحراني يا بلاد الكلب .. مين .. الكفر .. كفر السناينة . خليك على المدعوق .. مدعوق ايه ؟ الخط يا لمص » انها تنتزع الضحكات من القارئ واللام من عبد المولى الذي يتصل بالجميع ... الذين يتناثرون مثله فسي مدن وقرى اخرى ، نائمين او تاركين واجيهم .. يريد ان يلفهم ان المدير سيأتي فيقول « انا بقول لابن الكلب غمرين .. يوه .. طيب رد يا غمرين .. برهيم .. يا برهيم .. ما انا عارف انك رديت الاول .. وترد برضه دلوقت .. سانجرج .. اسمع يا وله ... انت كان اسم بلدكم سان جورج صحيح .. الله يخرب بيتك .. طبرو » النكات تتلاحق مع الغضب المرح وصوت عبد المولى يدور الارض مبلغا الخبر ومعدلا الحروف والكلمات لهذا وذاك ، صانعا في الذي يريد ان يصلي والاخر الذي انكسر قلمه والثالث الذي سرق ابن العمدة دفتره منه .. الحقيقة ان هذه انجح قصة قراتها في المجموعة ومن قلائل القصص القصيرة الرائعة التي قراتها في حياتي .. اتمنى لكل قاري ان يقرأها ويلتذ بها ويشد على يد كاتبها الذي اقول له ان انصرافه للادب وتركه مهنة (البولسة) قد افاد كثيرا . وحسبه ان يفيدنا هذه القصة التي اروع ما فيها انها تصوير حواري جميل باللهجة العامية المصرية .. تصوير لا تستطيع ان تلخصه وتثقله بل ان تشارك فيه ناسيا كل شيء الاله .

في قصة ( السبع ) شيء مألوف في حياتنا ( رغم الاختلاف الجزئي ) .. غرزة حشيش يتخلق حولها الذين يتعمون النهار ويأتون الليل طالبين السرحان في ملكوت التحشيش وواحد منهم يروي قصة عن الجان والسبع والكل ينصت هو يقطع عباراته بين حين واخر ليملأ جوفه نفسا جديدا يساعده على حك دماغه ثم يترك النهاية الى القد بعد ان ينسبه الشيخ عبد الواحد الجميع الى ان الامساك قد وجب وان عليهم ان ياكلوا لقمتين ليستعدوا لصيام القد وهنا تظهر المفارقات .. حشيش وكذب وصيام ! ويسير الراوية مع الشيخ عبد الواحد الى داره ليتسحر عنده . واثاء الطريق يتدخل القاص شارحا شخصيه ابو سعيد الراوية وغرابه اطواره واكاذيبه وتجواله من اقصى البلاد الى ادناها وتساؤل الناس عن اسمه الحقيقي .. وفي اليوم التالي يتدخل العلم لتكذيب ابو سعيد الذي تلثم عندما سمع طفلا صغيرا يقول له ان (اسيوط) ليس فيها اسود ولا سباع بعد ان قال ان اهله استقبلوه بالزمر والزغاريد لقتله السبع هناك ، ويفضب ابو سعيد بالطبع ولا يكمل الحكاية ويترك البلد نهائيا . ورغم نظرات السخط التي انصبت من اهالي القرية على الطفل الصغير فاننا نلمس انتصار علمه لساذج على كذب ابو سعيد الراقي .

منذ بدء القصة والقارئ يتساءل عن سبب تغير طبع ( الباشكاتب ) ومعاملته اللطيفة الجديدة لموظفيه وتأنقه وعدم اذيته لهم و (شخظته) فيهم وبعدها تبين طرافة السبب ( الذي اعتقد ان القارئ سيتهمني بالسخافة ان رويته اذ ليس من مهمة الناقد ان يروي القصة مرة اخرى ويلخصها الا في حالة استعراض مسألة معينة او شرح وجهة نظر او خروج على قواعد القصة ) ورغم نجاح القصة فنيا و .. منطقيا ، فانا اشك قليلا في امكان كونها واقعية ! اخر قصة هي ( حمارة عوضين )

اعداد المعلمين للمرحلتين الابتدائية والثانوية ان اوجه انظار المعلمين كافة ومعلمي العلوم ودروس الاشياء بصورة خاصة في كلتا المرحلتين . الى اهمية هذا الكتاب من الناحيتين العلمية والتربوية ، فهو من جهة يزودهم بالمعلومات العلمية الضرورية لهم في عملهم ومن جهة ثانية يزودهم بالاصول التربوية والسيكولوجية التي يجب ان يقوم عليها عملهم كمعلمين ويرشدتهم الى طرق التدريس المختلفة التي تساعد في عملهم اطلاقا . وبعد هذا الكتاب ، بهذا الاعتبار ، كتابا في العلوم وكتابا في التربية واصول التدريس في آن واحد . وهذا النوع من الكتب المدرسية هو الهدف الذي يسعى الربون الى نشره بين ايدي المعلمين كي يجمع هؤلاء بين المادة والطريقة ... كل من اطلع على شؤون المعلمين واعدادهم في لبنان ومعظم البلدان العربية يتوصل الى حقيقة مؤلمة وهي ان الاكثية الساحقة من معلمينا ومعلماتنا لم يعدوا اعدادا مهنيين ( مسلكيا ) لمهنة التعليم . فلم يدرسوا سيكولوجيا الولد وسيكولوجيا التعليم والتربية واصول التدريس هذه الدروس التي تعتبر الدروس المهنية ( المسلكية ) الضرورية لمن يود ان يمتحن التعليم ، كما تعتبر دروس التشريع والجراحة والامراض ... الخ الدروس المهنية لمن يمتحن الطب . لا يتسع هذا البحث لدرس هذه الناحية الهامة من اعداد المعلم التي يجب ان تعالج على حدة ، بيد ان الاسلوب الذي اعد فيه كتاب « مرشد المعلمين في اصول تدريس العلوم » دليل على ان المؤلف قد اخذ هذه النواحي بعين الاعتبار فاعد كتابه ليساعد المعلمين على تلافي ما فاتهم من الاعداد المهني التربوي ( المسلكي ) وليعطيهم الاصول التربوية والسيكولوجية الضرورية لمهنتهم . ففي ضوء هذه الحقيقة اختتم كلمتي هذه بنصح جميع الاساتذة بصورة عامة واساتذة العلوم بصورة خاصة الى الاهتمام بهذا المؤلف الجديد اذا كانوا يودون تحسين قدرتهم المهنية وزيادة كفاءتهم كمربين .

لا بد لي ايضا من توجيه كلمة نداء وتقدير الى الاستاذ اميل ضومط لاقdamه على اعداد هذا الكتاب القيم الذي سد فراغا كبيرا في حقل التربية وتدريس العلوم والذي سيكون من شأنه تزويد المعلمين بسلاح ماض هم في اشد الحاجة اليه .

**الدكتور فريد نجار**

استاذ التربية في الجامعة اللبنانية



## مشكلة الامام الغائب وحلها

تأليف محمد جمال الهاشمي

★

تواجه كثير من المذهب الاسلامية في العصر الحديث مشاكل مذهبية لا يبدو ان التغلب عليها ، لا من وجهة نظرها الخاصة ولا من وجهة الاتجاه العلمي السائد اليوم ، يسير بالقدر الذي يتصوره بعض الاعلام من رجال الدين .

من ذلك مثلا مشكلة الامامية الكبرى ( الامام الغائب ) ... والامامية من الفرق الاسلامية المعروفة باتجاهها الثوري ضد الاوضاع الشاذة

العربية بتوجيه النشر الى التفكير العلمي الصحيح وتتبع الحقائق العلمية كيما تصبح المعرفة العلمية امرا فعليا يعيشه المتعلم فيزيد نتاجه ويصلح حاله ويفيد هو وتفيد امته ، وفي الحقيقة اننا في اشد الحاجة الى مثل هذا النوع من التعلم لاسيما في هذا العصر الذي اصبحت الكلمة الاولى فيه للعلم والتكنولوجيا .

ثالثا : يتناول الجزء الاول ايضا اهداف مناهج العلوم وبين ضرورة قيام هذا المنهج على سد حاجة كل طالب . ولكي يكون هكذا يجب ان يستند الى واقع الحياة وان يعلم بطريقة عملية تطبيقية يكون فيها المتعلم هو الفاعل الاول والمعلم هو المرشد الموجه . ثم يخلص المؤلف الى درس هذا المنهج وكيفية وضعه وانتقاد مادته ويشير الى الطرق المختلفة المتبعة في تنسيقه فيؤكد مرة ثانية ضرورة جعل مادته ملائمة لحاجات البيئة وحاجات الطلاب ومنسقة وفقا لنموهم السيكلوجي، وهنا ينتقل المؤلف الى اساليب التدريس المتبعة في تدريس العلوم فيذكر منها حوالي ثلاث عشرة طريقة ويحلل كلا منها مبينا سيئاتها وحسناتها وكيفية تطبيقها . ولا يهمل تفصيل الوسائل المتبعة في تدريس العلوم وكيفية تجهيز الغرف والمختبرات التي تستخدم لمثل هذا الغرض .

رابعا - يبحث بالاضافة الى ذلك اصول المعرفة العلمية وكيفياتتم بواسطة الحواس واهمية المشاهدة الميانية والاختبار في التوصل الى التفكير المجرد . وهنا يحلل المؤلف وجوه الاخبار بالحواس فيؤكد اهمية الباصرة والمشاهدة والاخبار للتوصل الى المعرفة والى استنباط القوانين الطبيعية وكيفية تدريسها وتطبيقها والعمل بها ، ويفعل ذلك باسلوب عملي وامثلة واقعية ، ثم يخلص الى ذكر وجوه التفكير المجرد فيلخصها ويشرحها باسلوب شيق جذاب .

خامسا : ينهي المؤلف هذا الجزء ببحث قيم هام في التقويم والامتحان اي قياس نتائج اعمال الطلاب وتعلمهم فيبين غاية التقويم والوسائل المستعملة للقياس ويؤكد ان الاعتماد على الامتحانات المدرسية كما هي الحال الان ، كوسيلة وحيدة للتقويم والقياس ليس كافيا ، وهنا يعدد الوسائل التي يمكن استخدامها لمثل هذا الغرض والتي هي مهمة الان في معظم مدارسنا .

سادسا : اما الجزء الثاني من كتاب « مرشد المعلمين في اصول تدريس العلوم » فيشمل مواضيع مختلفة في العلوم المقررة في المدارس الابتدائية والثانوية الرسمية وكيفية تدريس هذه المواضيع . فهو من هذه الناحية متم للجزء الاول الذي تناول الاصول العامة ، فيرشد المعلم الى كيفية تطبيق هذه الاصول على المواضيع الخاصة ، ويزيده اطلاعا في بعض نواحي المعرفة العلمية العامة .

يتناول هذا الجزء العلم العام ثم العلوم على اختلافها كالكيمياء والاحياء والفيزياء والحساب والجبر والهندسة والميكانيك والمادة وخواصها والحرارة والمغنطيس والكهرباء ... الخ فيعالج هذه المواضيع بوصفها تشكل اجزاء منهج العلوم من حيث مادتها ومن حيث كيفية تدريسها وبين الهدف من تدريس كل منها ثم يفصل الطريقة ووسائل الايضاح وهنا يكثر الكاتب من الامثلة ويستشهد بعدد من الرسوم والتصاویر التي تساعد الطالب على تفهم وسائل الايضاح ووسائل التعليم ومادة العلوم نفسها .

اني اشعر بعد تقديم هذا الموجز لكتاب « مرشد المعلمين في اصول تدريس العلوم » انه من واجبي كاحد اساتذة التربية المسؤولين عن



التي كانت حكومات الخلافة الاموية والعباسية تحاول فرضها على المجتمعات الاسلامية في ايامها .. وتاريخ هذه الفرقة حافل بأنواع من الصراع الذي يستهدف سيادة العدالة الاجتماعية واقامة حكومات دستورية شعبية على ضوء المبادئ الاسلامية الصحيحة .. والحقيقة ان دراسة الاتجاهات السياسية للمذهب الامامي وكفاح زعمائه وتضحياتهم في سبيل مبادئهم الشعبية ، مع ما عرفوا به من غيرة فائقة وفهم سليم لوظيفة الحاكم وطبيعته تكشف لنا افقا غنيا من آفاقنا الروحية التي تبرر ، من بعض الوجوه ، احترام قسم من فصول تاريخنا ذات الطابع الكفاحي ..

ولكن ذلك لم يعف الامامية من الاستفراق ، في صميم مبادئها ، بفنية مطلقة ، وهي بسبب ذلك معنية في طول تاريخها بالدفاع عن موقفها الفيني وتقديم تفسيرات متنوعة له ..

واعظم ما واجهته الامامية من مشاكلها الاعتقاد بوجود الامام الفائب حيا رغم مرور (الف ومائة واثنين وعشرين) عاما على ولادته حسب نص الرسالة التي ندير هذه السطور عليها .

وكان الباحثون القدماء يتركز دفاعهم عن واقع الفينة العجيب بابراد نصوص يزعم اصحابها انها صادرة عن رسول الله .. وهي نصوص لا يمكن قبولها مطلقا .. لان قبولها نوع من التجديف على مقام الرسول الاعظم بالاضافة الى التضارب والتناقض الموجود فيها .. ونحن نعلم ان الرسول الكريم ، والله نفسه كانا معرضين هامين للدجالين والمشعوذين وكثير من الحكام المستبدين الذين التمسوا تعزيز نفوذهم واطفاء صفة شرعية ودينية على خلاعتهم في الكذب على الله وعلى رسوله باختلاق الاحاديث ونسبتها اليهما .... وكنا ، ايضا ، غرضين لانواع من الميول الحزبية والاتجاهات السياسية مما ادى الى استحداث حشود هائلة من الاحاديث التي كانت تخدم الفئات المتنازعة وتزكياها .

ولا غرابة في اخذ القدماء ، وهم غالبا متدينون متنطعون ، بمثل هذه الاحاديث واعتمادهم عليها في تصور المشكلة وتبرير الاعتقاد بها ... فان الجو الفكري الذي عاشوا فيه وفكروا له ، وهو جو غيبي في صميمه ، كان من ناحيته يساعدهم مساعدة فعلية ، واصيلة ، على اطفاء نوع من الحمية والشرعية عليها .

ولم تتخلص الامامية من هذه المشكلة والتفكير بها ، ومعاناة تبعاتها ، الى اليوم .. فان كثيرا من المثقفين المعاصرين يخفزون رؤوسهم خوفا من التلويح لهم بها من قريب او من بعيد .. ولا اشك بان بعضهم قد نفى يده منها الى الابد معتبرا اياها موضوعا يصلح لرجال الصوامع والكهوف وحدهم ، ومنهم من لا يعتبرها مشكلة على الإطلاق ويلحقها عادة بحماقات المخرفين .

وقد تناول هذه المشكلة استاذنا الحجة الشاعر محمد جمال الهاشمي برسالة صغيرة حاول فيها محاولة مستمينة ان يجعل الاعتقاد بها طبيعيا ومعقولا ... وافة هذه الرسالة انها تعالج مشكلة عصبية بادوات غير الادوات المفروضة لها .. فان الغيب وموضوعاته لا يصلح للتعليل والتفسير ، وان قبوله منوط بالدرجة الاولى بالجانب الفيني في الانسان وهو الجانب الذي عولت عليه الاديان في وجودها وفي معركة بقائها .

وليس منا من يستطيع ان يوجه سؤالا حول بعض الطقوس التي صاحبت الاديان السماوية وتمثلت بها وينتظر اجابة منطقية عليه اذ

لا يحال عادة في مثل هذه الحالات الا على جواب رهيب صارم هو مشيئة الله وقدرته ... وهو جواب يمكن الاكتفاء به عند فئات غير قليلة من الناس ، ولكن هناك من يلح على العثور على تفسير معقول لهذه المشيئة نفسها وطبيعة عملها ... ومن ثمة نرى وجوب الابتعاد بالموضوعات الدينية عن الحذقة او محاولة اخضاع البحث فيها الى منطق العصر الذي يتغير بين فترة واخرى ...

وبد دهشت جدا من شجاعة الاستاذ الهاشمي وقدرته على المجازفة في تحليل بقاء بنية ( الامام الفائب ) خلال هذه الحقب والعصور حية تسعى دون ان تصيبها العوارض الطبيعية المعطلة التي تصيب الانسان الاعتيادي بعد فترة معينة من حياته ، وذلك بتصور وجود ( جهاز الخلود ) في الانسان الذي يولد الخلايا ويميتها خلال عمله في الجسم البشري .. وان طول عمر الانسان طولا خياليا كالذي قدرته الرسالة ، او هي بصدد تقديره ، للامام الفائب موكول الى حفظ هذا الجهاز بعيدا عن العوارض الطارئة التي توقف عمله .. وبما ان الله اودع بعض الحشرات والاسماك والحيوانات قابلية البقاء حية آلاف السنين فان الفائب عليه السلام قد اودع ايضا مثل هذه القابلية ... والله على كل شيء قدير .

وبمثل هذه الشجاعة الفائقة ، المنتظرة من استاذنا الشاعر القديم محمد جمال الهاشمي ، وبروح واثقة ، ومنزع خير نحو البشرية التي تخبطت خلال الف من السنين في معضلة ( الامام الفائب ) .... كبرى المعضلات على الإطلاق .. ثم على يدي مؤلفنا العظيم حل المشكلة في سر وبساطة نهائيتين .

والغريب ان تقتزن هذه المعجزة ، الخارقة للنواميس بعد اطلاق الصواريخ والاقمار الصناعية وغزو الفضاء الخارجي ، والوصول الى القمر .. وهذا ما يعطي الموضوع خطورة كبرى .

## مجموعة اعلام الموسيقى

تعرض حياة عباقرة الموسيقى واثار المرأة في حياتهم

|                                                 |                             |
|-------------------------------------------------|-----------------------------|
| صدر منها :                                      | ق. ل                        |
| ١ بتوفيق                                        | ترجمة : الدكتور علي شلق ١٥٠ |
| ٢ شوبان                                         | » خليل الهنداوي ١٧٥         |
| ٣ تشايكوفسكي                                    | » الدكتور فؤاد ايوب ١٥٠     |
| ٤ كورساكوف                                      | » الدكتور فؤاد ايوب ١٥٠     |
| ٥ ليست                                          | » بهيج شعبان ١٥٠            |
| ٦ موزارت                                        | » بهيج شعبان ١٥٠            |
| ٧ باغانيني                                      | » بهيج شعبان ١٥٠            |
| ٨ فاغنر                                         | » الدكتور فؤاد ايوب ٢٠٠     |
| ٩ شوبرت                                         | » بهيج شعبان ٢٠٠            |
| ١٠ الفن الغنائي عند العرب تاليف : نسيب الاختيار | ١٥٠                         |

الناشر : دار بيروت للطباعة والنشر

هذا الطفل اكبر جريمة « ! ... »

جوهر الحوار في هذه الرواية يتلخص في نزاع الاخلاقيين مع سكان الضفة الثانية - النفعيين والتجريبيين . فيها من يصرخ : « الشرف هو ان يعيش المرء ويموت من اجل معتقده » ، وفيها من يرد عليه « الشرف هو ان يكون المرء نافعا دون غرور ... »

ولكن ما هو مقياس النفع ؟ .. ومن يقرر ذلك ؟ .. هذا اهم ما يحتويه الكتاب ، ولعله المحور الذي يستقطب اتجاه الرواية .

حينما يتجادل الاخلاقيون والنفعيون ، من ابناء هذا العصر المضطرب ، مع اعتبار كل الظروف النفسية والمادية التي يوفرها العصر ، ليس العسر ان نجد من يستجيب لنظرات النفعة ، وينخرط للدفاع عنها والتبشير بها ، اعتقادا منه ، بانها طريق الخلاص للانسانية المعذبة .

في هذه القصة « روبشوف » ، احد هؤلاء المبشرين . افنى كل عمره متجولا في بلدان العالم ، للدعوة الى هذه النظرات . واخيرا ، في نهاية الطريق ، وعلى وهج الحقيقة المرة ، عرف انه وراء سراب خادع كان يركض ويجر خلفه مئات الضلالين .

النظرات شيء ، ومعارفاتها شيء اخر . والاقصى من ذلك كله ، ان ادراك الخطأ لا يفيد شيئا محسوسا في اصلاحه ، ذلك انه اضاف حجرا اخر الى حصن الجريمة ...

« روبشوف » ادرك الخطأ متاخرا ، وما كان في يده شيء بفعله ، غير الاصابع التي بعضها ندما .

« هناك » .. حيث بسود مبدأ الفائدة ، ليس لك ان تسأل : « كيف ؟ . ولماذا ؟ .. ولن الفائدة ؟ .. للشعب ام للحكام ؟ هناك ثمن السؤال ، مهما كانت النية ، بضع رصاصات من الخلف ، سبقها اعتراف قسري بجرائم لم تقع الا في مخيلة المحققين ! ..

« روبشوف » لم يقتل لانه ارتكب ذنبا او جريمة ، وليس لانه لم ينكر اية قيمة للانسان الفرد ، بل لانه رفض ان يعتبر « غاندي » و « تولستوي » مجرمين عريقين بحق الانسانية بدلا من « نيرون » و « فوش » .

اذن انت غير قادر على تحديد الفائدة الانسانية في التاريخ واشخاصه . وعليك ان تدرج اسم غاندي في سجل المجرمين ، وتنقل اسم نيرون الى سجل « النافعين » ، والا ... . نخرجنا على مفهوم ال « نحن » التي يحتكر التصرف بها « الرجل الاول » ، وكنت انسانا مقصرا - غير نافع - ، وبالتالي جاسوسا ومخربا ، تقع تحت حكم « التصفية الجسدية - او الفيزيائية » .

لقد كفر روبشوف بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة : ( .. من الممكن ان بسود الان الظلام المطبق وقد تنهض حركة عظيمة في المستقبل بعلم جديد ، وروح جديدة ، تجمع بين القدر الاقتصادي ، والمحيط الحسي . قد لبس اعضاء الحركة قلنسوات الرهبان وبشرون بان « الوسيلة الشريفة تبرر الغاية ... » . وكان عليه ازاء ذلك ان يختار احدي طريقين : المحاكمة العلنية - او المحاكمة الادارية . وفي كلتا الطريقين تنتظره المصير المعروف .. الموت .

روعة ما في القصة ان يرافق القارئ كيفية التوصل الى اقناع روبشوف باختيار العلنية ، لا ليبروا ، قانونيا ، تصفيته ، كمجرم وخائن للثورة التي وهبها عمره ، بل ليجعلوا منه عبرة لمن تسول له نفسه الانتفاض على جحيم الدكتاتورية ، ورفض القبول بعبودية الحاكم المطلق ، باسم الجماهير ، والحزب .. والدولة ..

ومصدر خطورته بالتاكيد كوننا او كون فئة منا لا نزال بعيدة في اهتماماتها عن الشواغل الانسانية الابنية وما تستهدفه من اعطاء قيمة حقيقة للانسان ونضاله المقدس لتصفية الصراع الطبقي ونحوه من مشاكله الهامة التي نموج بها الشعوب المعاصرة وبخاصة شمسعوب آسيا وافريقيا المناضلة ، وعلى الاخص شعوب الشرق العربي الذي بدأ يعي وعيا تاما وضعه الحقيقي بالنسبة الى العالم ، ويتفهم مشاكله ودوره في تقديم الحلول لها ...

وبينما نعرض شعوبنا في الوقت الحاضر الى اضخم تجربة مارستها في حياتها هي تحقيق حريتها في شؤونها السياسية وعلاقاتها الدولية ، وبينما يعمل المتربصون لمرقلة هذه الخطوة العظيمة لشعوبنا الواعية تعود هذه الفئة ، التي لا رب في تمتعها بنفوذ من نوع ما ، الى الهائسا بموضوعات لا اهمية لها .. لا من حيث طبيعتها وظروفها ولا من حيث علاقتها بوسائل تطورها وتقدمنا .

واذ كانت طريقتهم في معالجة موضوعاتهم مشبعة بالالتواء والتحايل والتمسك بالجبرية العقائدية فاننا نرى ان اغفال الموضوع من قبل الجهات الواعية يجعل الجو الفكري الحر الذي نحاول خلقه اليوم عرضة للتسمم والتحجر بسبب موقف تلك الفئات من فضايانا وشواغلنا .

وفي عقيدتي ان عزل بعض جهاتنا الفكرية ، ومنها موروثاتنا وتقاليدنا وروحانياتنا ، عن الخضوع للدراسات النقدية والتناول الحر الموضوعي يعيق سر تقدمنا وبضطرنا الى كثير من البلبلة والتفكك والثنائية في الحياة الفكرية والعملية ... والحقيقة اننا لم نصف حسابنا بعد مع الظروف - واكثرها ذهني بحث ، التي اخرجت موضعنا عن ركب الشعوب الوائبة في علومها وآدابها ونوع تفكيرها .

عبد المحسن الحكيم

بغداد



## ظلام في النهار

تأليف آرثر كستلر

منشورات : دار الصراع الفكري - بيروت



حتى تنتهي البشرية الى جواب جقيقي عن معنى الحياة ، وحتى يجد الانسان الواحة التي يبحث عنها في صحراء الجهول ، ستظل سفينة العالم نحت رحمة الامواج الوحشية ، وبين اشداق الاعاصير الشرسة .. السفينة اليوم تعاني جزرا انسانيات تراجع امام مد الحلول القزمية للماساة ، امام بربرية الفكر المتحجر البليد .

« ظلام في النهار » معاناة لعملية المد والجزر هذه ، في اقصى صورة معقولة . انها نافذة كبيرة على المخاض المزعج الذي تمر به الانسانية ، على المعركة الرهيبة الدائرة بين العقل والاخلاق .. بين القيم والمادة . عندما قال الاخلاقيون : « ان قتل طفل واحد من اجل اسعاد العالم جريمة انسانية » ، قام على الضفة الاخرى من يصرخ : « ان عدم قتل

بعد ان يوتر القاص ذهن القارئ ويهيئه للفاية الاهم ، يعود فيتسائل :  
« ترى ماذا يدور في هذه التلايف الرمادية ؟ .. »

هنا تبرز خاصية الرواية المميزة ، وهي حرص الكاتب على تقديم الفكرة المقصودة ، عبر كل الطرق الفنية الصالحة هذا الحرص الذي جعله يحتكر المظاهر الحية الناطقة في « شخصية » رئيسية واحدة ، تلاشت معها ادوار الشخصيات الثانوية الرديفة ، مما مكنته من عرض الفكرة وتسيير المناقشات والحوادث المصاحبة ، عبر ممر واحد ، يوفر عليه التشابك والفوضى والتعقيد ، ويوفر له الاحتكاك المطلوب في المواقف ، بين الاشخاص والافكار . فـ شخصية روبشوف هي الطافية وادوار الاشخاص الاخرين تأتي خابية ومصفوفة ، بحيث لا تتحرك الا لتقدم « الجواب » « للقرار » الذي هو حركة روبشوف . بقية الادوار كلها منفعة وليست فاعلة . هي رد فعل - انعكاس - او طنين لتصرفات بطل القصة المعرضة .

هذا يعطي الرواية ميزة السهولة والبساطة في عرض فكرة عميقة ومعقدة .

« ظلام في النهار » اثر قصصي كبير ، يحتاجه جيلنا القلق المضطرب ، الذي يركض خلف السراب ، جريا وراء الحقيقة ، فيقع في اول حفرة في الطريق ...

في هذا الكتاب يلتقي الفكر والفن .. وعنده يلتقي اعجاب الاباء والناقدين .

كمال خيربك

ماساة الانسان ان يتنازل عن حريته للنظريات ، تحت اسماء - المجتمع ، الثورة ، ال « نحن » - وعندما يجد خرافة ما كان يظنه حقيقة ، يصبح عاجزا عن التراجع لانقاذ نفسه ، وشعبه ، ومثله العليا .

حتى الان تناولنا الجانب الفكري من الكتاب ، وهو الاهم . فلنستد تمير عما سبقه من روايات في هذا المجال ، بطفيا الفكر على الحادثة ، مع براءة في اعداد المحيط الملائم لاستعراض هذا الفكر . فمجاري القصة المعروفة ، من مونولوج وديالوج - داخلي وخارجي - وما يتضمنان من افكار وحوادث وذكريات ، كلها غصت بالمناقشات الفلسفية والعمادية ، في توزيع وترتيب بارعين ، استطاعا ان يستقطبا وعي القاري ومشاعره ، حول تناقضات التفكير والتعامل في المجتمع الذي تجري فيه حوادث القصة . هذا المجتمع الذي لا يكفي ان يفرض على الانسان ماذا يعمل ، بل يفرض عليه نوعا من التفكير : « هواة الطفيا اجبروا شعوبهم على ان يعملوا كل شيء حسب الاوامر ، اما الرجل الاول فقد علم رعيته ان تفكر حسب الاوامر .. » - « شعراؤنا يقيمون مناقشاتهم تحت سطوة البوليس السري ، لان التعبيرين منهم يعتبرون شعراء الطبيعة مخربين ومناهضين للثورة . »

كثير من الروايات والكتب عالجت مثل هذا الموضوع . بعضها كان لصلحة . وبعضها كان لفاية مقصودة . لقد عرفت اسواقنا الكثير منها ، ولعل سمعة هذه الكتب ، من حيث قيمتها الموضوعية ، لا تنال من مكانة هذا الكتاب الكبير ، الذي يعتبر ، بالفعل ، اثرا فكريا وفنيا رائعا ، يمتاز بالصدق في سرد المشاعر الانسانية ، والخلاص في ابراز الفاية العظيمة التي تتجه صوبها هذه المشاعر .

الصدق والذاتية يرشحان ، في الرواية ، من مثل هذه العبارة : « .. تطلع روبشوف الى قدميه تحت البطانية عند طرف الفراش ، واحس بحب لجسده هذا الذي سينتهي بعد حين .. »

اما البراعة القصصية في العرض والاسلوب ، فتبدو في اغلب مواقع الرواية بشكل يثير الاعجاب : رؤية السجان واللهجة التي تكلم بها معه جعلته لا يشعر بارتياح ، فدفع البطانية عنه بضيق ، كان يريد ان يطلب من السجان ابرة يرفو بها جواربه ، الا ان فكرة الطلب لم ترق له ، فاستبدعها وشمر بتوق وحشي لجريدة . كانت شديدة لدرجة انه كاد يشم رائحة حبر الطباعة ويسمع خشخشة ورقها .. »

في هذا المقطع تبرز ايضا الواقعية ، ولقد اعتمدت التداي الحر في تسلسل الحوادث والافكار . هذا التداي الذي يتمظهر بلا منطقية جذابة ، نتعرض لها كثيرا في حياتنا اليومية . ليس من رابط منطقي بين الجوارب والابرة وبين الجريدة التي اندفعت في خاطر روبشوف بسرعة هائلة . لكن ذلك قد يحدث في الحياة ، في اي زمان ومكان ، وهذا ما يطبع السرد القصصي بالطابع الواقعي التحليلي .

الا ان الاطار الفني ، الذي تجري فيه حوادث القصة والتداييات المرافقة ، لا يخلو احيانا من الصور القصصية المركبة ، التي تنم عن خيال قصصي خلاق عند الكاتب :

« .. ماذا يدور في دماغ الرجل الاول ؟ .. اخذ يتصور مقطعا عرضيا من ذلك الدماغ وقد انتلخت التلايف الرمادية فيه حتى بدت كاحشاء حيوان ، وتشابكت مع بعضها كالشعابين القاتلة ، ثم عادت غائمة مبهمة كتلايف السديم في خريطة فلكية .. »

## مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بشير

ص.ب. ٦٥٦

تلفون ٢٧٦٨٢

|                              |                  |
|------------------------------|------------------|
| علي وسقراط                   | جورج جرداق       |
| تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين   | فليب حتي         |
| قلب لبنان (ط ٢)              | امين الريحاني    |
| الاسلام مع الحياة            | محمد جواد مفنية  |
| العراق الجديد                | حسين جميل        |
| قبل انفجار البركان           | مارون عبود       |
| حادثة شرف                    | يوسف ادريس       |
| دكتور زيفافو                 | باسترنالك        |
| ديوان عبدالله بن فيس الرقيات | دار صادر - بيروت |
| مقامات الحريري               | دار صادر - بيروت |
| على دروب الجمال              | ميخائيل معوض     |
| المسلمون في روسيا            | احمد طلعت        |

قصته  
لؤي ماريان  
ترجمة بيع المد

# العبرة الى البيت

والفلاح يتكلم ، الا انه رفع راسه الى لحظات مجيبا باقتضاب : اعتقد ذلك ... انها طيبة ! ومسح فمه بمندبل وما طفق الخرطوم في قبضته كأنه ندي ام يخشى مفارقتها . وهو ما زال يريد لو شرب كل ما في جوف الارض .. يتمنى لو ضم الى صدره الطبيعة .. حتى السداجة التي تتجلى في بطن ذلك الوادي .. وعندما سأله الفلاح عن سر عطشه اجاب : لم اشرب منذ سنتين .. اعني اخر مرة شربت فيها من هذا الماء ، لاني كنت بعيدا عن مائنا والان تراني عدت في هذه الساعة الى الارض التي ولدت عليها .. اني اعشق هذا المكان وارغب لو حصلت علي عمل يربطني بهذه الارض .. اي عمل !.. وركع اخيرا على ركبتيه ممسكا بطرف الخرطوم الطريل كأنه يودعه في هذه المرة ، والفلاح انفلت يردد : اكنتم ظمنا يا ولدي .. انا لم ار في حياتي مخاوقا يشرب بقدر ما شربت دفعة واحدة !.. وتابع الشاب سيره في شارع «الفين» وهو يلتفت الى الخلف بين الفينة والاخرى ينظر الى الفلاح المجوز الذي وقف في مكانه يتأمل خطوات الشاب المتعبة تدب على الطريق حتى غاب . وما انفك الشاب يتمتم في اعماقه قائلا : نعم ما فعات .. لقد عدت ورضيت ان اتحمل مشاق طول الطريق التي قطعتها .. ولم اكن في حياتي يوما الا مخطئا في كل ما افعل .. هكذا عرف عني ، الا هذه المرة اراها على اعتقادي خطيئة ... لكنها مصيبة !

كان الشاب قد انطلق ماشيا من جنوب « سان فرانسيسكو » لا يحمل في عقله فكرة العودة الى اهله .. ولكنها اختمرت من لقاء نفسها حينما اراد الانحدار جنوبا ، ولكنه كان كلما توقف في مكان او دخل مدينة من المدن في طريقه نظر الناس هناك الى ثيابه المحلية وينطاله القصر .. نظروا الى هذه الاشياء نظرتهم الى اودية غريبة ، وظن هو نفسه ان هذه النظرات ، إنما يعني اهلها طرده من ديارهم ، فجعل طريقه الى حيث لا يسخر منه احد ليهرب من تلك العيون المتطفلة التي كانت ترمي عليه في الشوارع ، حتى اذا اذنت الساعة السابعة لاحت له اذناك معالم بلدته الصغيرة ، فوجدها اشبه بشيء مألوف .. لا يمكن ان تزدره ... على طبيعتها لم تتغير ! ولح ابنتها العالية .. جرس الكنيسة واضواء معامل الكهرباء ، ملونة تلالا في الليل ، وبناء اخر لم يره من قبل فتمتم : ان جمال البناء وموجة الحضارة اراها قد دخلت بلدتنا المتواضعة وضحك ! وطفق يسير في شارع « فولتن » حتى تمنى لو اقام في بلدته وامتلك بيتا فيها لنفسه ، وتزوج .. فكانت هذه الاماني بالنسبة اليه كل ما يريد ورأى وجوها عرفها من قبل .. واناسا يجهل اسماءهم ، والتقى بـ « توني » صديقه القديم .. لقاء اشبه بعلم ، وتذكر بالحال كل منهما الآخر .. تذكر ا طفولتهما البائسة على شاطئ النهر وبعدها ودعه قائلا : اريد الذهاب الى البيت .. ان اخوتي لا يعلمون بمودتي ... اكاد احترق شوقا لرؤية « بول » .

وسار مارا في طريقه بالخازن والواجهات المرتصفة على طرفي الرصيفين وخطر له ابتياع هدية لأمه ...

هذا الوادي ، وكل ما بين وجنتيه ، وهذه الارض الراقدة تحت ابط الجبال المستديرة ، كلها له ، بيته الذي يحلم به .. له ، سيجده وادعا كما ودعه ، لم يتغير فيه ركن ، حتى يتابع المياه المتفرقة ما تزال تغني اغنياتها الطويلة وتدور حلقات صداحة تقبل اعشاب « برمودا » وتداعبها منذ القديم .. وبلدته الصغيرة .. على بساطتها آمنة ما انفكت طروبة باهلها كما هي !..

وهو في سيره على طول شارع « الفين » احس بالفبطة تعم كيانه والاعتداد يهز اعصابه ... ذلك انه في طريقه الى بيته من جديد ، وكل ما يحيط به عادي يدب .. رائحة الارض الطيبة ... الدخان المتصاعد من المطابخ .. اروع هذه الاحاسيس هو التنعم بنسمات الصيف الرقيقة في الوادي تعانق الشجيرات المبعثرة وتراقص الخضرة الممتدة . وتلك الحشائش تبدو كأنها اكثر وطنية منه ... متعلقة بجذورها رغم النسيم ... تتمايل بفخر واعتداد ! كل هذه المعالم الطبيعية .. كلها تحكي حقا طفولته الطائشة بين اعراسها واهازيجها .

واخذ يتنشق بعمق ، يجر اريج الوادي الى رثتيه ويتسهم حالما ادرك بانه اوشك ان يعود الى بيته .. واحس بان حواسه تشكو الصراخ لانها لم تنعم بمراى هذه الارض منذ طويل ، وجنوة الشوق جعلته يتنفس نسمة الصيف الوافدة من الجبل علية رقيقة كجناحي عندلة ، منعشة . وسار طويلا طويلا وفيه دافع اشد للمسير ومجد الحركة والرياضة في هذه الديار !.. اما المياه التي احبها ، فقد فكر وهو يسمع الى خريها .. منحدره من الجبل ، باردة غزيرة .. وتمنى لو انه استطاع ان يفترق منها الكثير ليملا جوفه العطشى بها ، ولح على بعد منه رجلا شيخا ممسكا بخرطوم احمر طويل يمر به على الزرع فاندفع نحوه وسار حتى اذا ما اقترب منه حياه بادب ورجاه ان يسمح له بالشرب في حين التفت الفلاح المجوز اليه وثبت نظره في وجه الشاب المتورد من العرق ثم حوله الى طيفه الصغير الذي سقط على الارض واتجه صوب البيت .. اي بيت ذاك يا ترى ! وناولوه الخرطوم قائلا : اشرب .. اشرب يا بني من مائنا النقي ، فمياه هذا الوادي ما زالت رغم السنين اعذب المياه على عكس مياه الجبل العكرة في « فريسكو » وكذلك في « لوس انجلوس » ان طعمها كطعم الزيت .. وكم اعجب لحياة الناس الذين يعيشون هناك منذ سنين طويلة !.. وبينما كان الفلاح في كلامه كان الشاب ينصت الى انشودة المياه المنسكبة على الارض ، نقية ، طيبة ، تنشربها التربة الطرية بشره عجيب ، والتفت للرجل قائلا : نعم ، ان مياها هي انقى المياه !.. وارخى رقبته وانحنى قليلا يشرب ، فاحس بعذوبة الماء تطفي ظمأه وتهدي لهثات صدره المتناعبة .

ورفع راسه كالدجاجة المنعبة مرددا : لحسن الحظ اننا نقيم في الوادي !.. وانحنى ثانية وبدأ يشرب .. ويشرب ، ثم يضحك بغبطة وبدا للفلاح انه لم يشبع .. ثم شرب ... واراد ان يشرب !.. اخذ الفلاح العجب وتسائل : لقد شربت كثيرا يا بني ، وهو ما انفك يشرب

خطاه لثلا يلحاه احد . وعندما اقترب من المنزل كان امام نافذة المطبخ فاطل منها بحذر ، ورأى اخته الصغيرة «مارتا» منهمكة بغسل الاواني ، وعلى مقربة منها تقف منصته القديمة تعلوها مدفأة سوداء ، وبدت له كثيبة يتيمة بدونه . فلمعت الدمعة بين مقلتيه حالما اشعل لفافة وهو يبكي ويحملق في وجه اخته الصغيرة تارة وفي جدران بيته القديم تارة اخرى . وتوقع ان تدخل المطبخ امه ليراها ويتأكد اذا كان فراقه قد الما واثر عليها .. فكيف تبدو يا ترى ؟! اما زالت نظراتها حزينة شبه مطبقة على الحياة !

وشعر ساعتئذ بتأنيب ضميره له : ذلك انه لم يكن في يوم من الايام ولدا بارا ، ولم يحاول ولو مرة ان يسعد امه ، ولكنه ادرك استحالته ارضائها ، فردد بينه وبين ضميره : مستحيل ! وبينما هو في بحر دموعه المنهمرة لفت نظره «بول» يدخل المطبخ ويشرب ، وتردد في ان يدعو باسمه .. ان يشعره بعودته ، ولكنه تمالك اعصابه وضبط حبه له متنفسا بموق يضغط على شفثيه بشدة الا ان عينيها التقت ببعضها فجأة فاختلطت الدموع بالفرحة في وجه «بول» وشرع يصيح : جو .. جو ، عاد «جو» ! بقي ان يرى امه .. امه التي تمنى وجبة طعام من صنعها فراى ان عليه ان يفاجيء الواقع بمفامرة ، مفامرة مؤلة ، فمشى بهدوء تنعثر خطواته ببعضها عبو الحقل المتسع وصعد السور حيث هبط منه بعد لحظات الى المر الطويل وتلفت حوله طويلا وانطلق صوب الافق الداكن ، وفكرة الفشل، الفشل في غربته وبلدته تزدهم وتتراص في عقله . حتى اذا ابتعد ولفه الليل بعباءته القاتمة غاب طيفه عن البلدة الصغيرة وغربت امام عينيه صور اهله فلم يقو الا ان ينفجر بالبكاء ... يبكي لانه احب اهله ، وعبد بيته . الا انه عبثا كره نمط حياتهم .. روتين عيشهم البائس . وشعر انه يهرب من البيت ... من الناس .. من الوادي ، ويبكي بحرقه مؤلة في عتمة الليل . يبكي ويركض لانه لم يجد شيئا يفره ولا شيئا يعمره .

جيوبه وعرف انها فارغة الا من سكن صدئة صغيرة .. ورأى ان يهديها شيئا اخر في المستقبل ! وتنكب طريقه الى شارع «تولير» ولم تمض ثوان فلال حتى كان يقرب منزله .. بيته القديم الذي يبدو مماثلا لما كان عليه ... وامتد فكره الى والده المسن .. امه المعجوز .. واخوانه الثلاث ... الى اخيه الصغير ، جميعهم لا بد ان يكونوا في حياتهم المتواضعة يعانون نفس ما يعانونه حتى اليوم .! وتسارعت بفتة نبضات قلبه وخفق صدره بشدة حالما امعن النظر في المنزل فأحس بالمرض والخوف .. ربما لانه نسي شيئا عن المكان .. عن تلك الحياة التي طالما كرهها .. شيئا شاذا غريبا ، ولكنه اخذ يطيء في خطاه دون شعور كلما تقاربت خطاه من المنزل .. وعاد فلفت نظره ذاك الجدار المتهدم الذي لم تمسه يد منذ ازمان ! وفجأة رانت عليه سحابة من الكآبة وظللته وحشة المكان فخليل اليه ان في المنزل اشياء واجمة كثيية ، فردد بينه وبين نفسه : علم لم ينتقلوا الى بيت جديد ليلتقوا بجيران جدد .. البيت على هيكله الاول لولا هذا الجدار الذي ازداد في تناكله وانهدامه ورمى بسهم من افكاره المضطربة الى غياهب الطويل كأنه يحسب لو اضاف الى هذا الغياب سنوات اخرى ، والحقيقة انه فكر بتجديد الرحلة الى حيث لا يرى المكان ثانية ..!

وعاد يجتر شعوره الطفولي الاول عن المدينة الخربة .. وجومها .. ببلدة الناس فيها .. فراغ العقول في اهلها ! الماء ..! نعم انه بقي ولكن هنالك اشياء اخرى .. اشياء اقرب الى نفسه ، ثم حمل جسده المنعب على ساقيه الكدودتين ومشى حول البيت يحملق فيه حملقته في اثر تاريخي او تمثال رفع على قاعدة شاهقة .. نفس المكان الذي حن اليه طويلا والذي المه فراقه .. ! وخشي ان يخرج احدهم من الباب ويراه وهو لا ريب سيهرب من وجوههم ويختفي عن الانظار ، ورغم تارجح هذه الرغبات .. رغم اضطرابها وتضاربها في نفسه وعقله اراد لو رآهم جميعا .. جميعا كباقة مرصوفة امام ناظريه عله يشم الرائحة القديمة في البستهم ويسمع الى كلماتهم .. وقلما كانت عذبة ! وبدا من جديد يشعر بمقته الشديد لكل ما في المدينة .. لاهله واخوانه ، وتابع سيره الى المنعطف حيث توقف تحت نور الشارع المتدلي على خشبة غنوج معوجة متمنيا في اعماقه لو رأى اخاه «بول» عساه يفضي اليه بما في قلبه وينفذه من حياته في مثل هذا المكان البنشس ويجذره من المطالعة الدائمة ... فالعلم في نظره لا يساوي ليلة واحدة معاصوات اللذباب في الغابة الكثيفة . ونسي انه لم يلق الطعام منذ الصباح ذلك ان امنيته كانت في ان يتناول وجبة من اعداد امه ويراهها على المائدة في المطبخ بوجهها الاحمر تفسب وترضى ، ولكنه فقد شهيته للطعام الان ، وظل واقفا في الزاوية المنورة ينتظر خروج «بول» الى الشارع وتلفت حوله فراى الظلام يلف الوادي الصافر الهاديء بكفن اسود قائم من صنع الليل ، فأحزنه صمت الوادي الكثيب فحول نظره الى الجدار الذي وقف يرى اليه من طرف الزاوية ورغبة ملحة ما زالت تدخله .. رغبة في ولوج البيت، فاخذ يتردد بين طرق الباب ومعانقة امه واخوته ولقاء سريه القديم وبين الفرار من الوادي .. هذه الاشياء .. زملاء طفولته بين جدران البيت ! ويبدو الان انه تذكر انه ربما نسي شيئا اخر في غربته .. شيئا واقفيا ! الا انه يمقته في تلك الحياة ، او يستطيع يا ترى ان يقلب كل شيء ويأتي على كل المالم الخربة الكثيية .. مظهر المنزل .. والمدينة .. والوادي ، انه اصفر من هذه المالم واضعف من الوادي المتسع ! هذه الرغبة في التبديل تلاشت شيئا فشيئا من مغيلته دون عودة ، وهو سيمضي . وهم بالرجيل .. لن يعود ابدا .. ولن يقوى على دخول البيت ، سيعود الى الحياة التي الفها طيلة شهور كثيرة حيث كان في تشرده وضياعه بين سيول القطنان البشرية الغريبة . وفجأة وجد نفسه في الوادي يتسلق السور التندامي في طرفه ويتجول في الحقل الذي زرعت امه بالبندورة في الوقت الذي كان بصيص باهت من النور ينبعث من نافذة المطبخ .. فعاد وركض باتجاهه حتى تقدم منه مسترقا

الحب اللقاء ... !  
مع الحب والوطنية والنضال  
في سبيل حياة افضل ..  
على صفحات قصة الوادي

**ساجد**

الكذبي لن يعود  
لنائب القصة الشهير  
وفيه المدايحي

٤٥٠ صفحة اخراج انيس ٤ ليرات

مركز ادراك

منشورات مكتبة المعارف في بيروت



## قراءتكم العدد الماضي

### القصة

#### بقلم سلمى الخضراء الجيوسي

ثلاث شاعرات وثلاث قصائد : « نسيان » لغدوى طوقان . « نحن جميلة » لنازك الملائكة و « الى نجمة الغروب » لملك عبد العزيز . هناك ميزة واحدة تنتظم هذه القصائد الثلاث - سلسلة الايقاع - قصيدة السيدة ملك عبد العزيز من الرجز - هذا البحر ذي المزالق والصاعب - ولكنها تنجح في اعطائنا نفما حزينا هادئا ملائما كل الملاممة للحزن الرقيق الذي تريد التعبير عنه . وليلاحظ القاريء كيف تختار الشاعرة الكلمة الاخيرة من كل سطر ، غروب - بعيد - ظلام - اختلاج - شعاع - تصاعدي - رهيبة - لتلائم النغم العام . ان القافية هامة - وحتى في الشعر القليل التقفية ، فان اخر كلمة في سطر الشعر ، هامة جدا - لقد حدث كثيرا في شعرنا المعاصر ان انهى بعض الشعراء اسطرهم بكلمة مثل حب او حرب - اي بحر فين صليدين - وفي رأبي ان هذا من اكبر عيوب القوافي في الشعر المعاصر .

قصيدتنا نازك وفدوى من المتقارب . وتتبع فدوى نظام الشطرين - وشعر فدوى شهير بموسيقاه وسلاسته . اما نازك في « نحن وجميلة » فاني اريد ان الفت نظر الشعراء الى هذا النموذج الايقاعي الرافي - والوقع الذي يتركه ادخال البيتين القصيرين في كل فقرة بقوافيهما المرادفة جميعها لاسم « جميلة »

ونحن منحنى لوصف جراحك كل شفه

وجرحنا الوصف ، خدش اسماعنا المرفه

وانت حملت القيود الثقيلة

ان قيمة هذا الوقع لا تظهر هنا ، بل بقراءة القصيدة كلها . وان كل الحق مع نازك ان تحتج على كثرة ما كتب عن جميلة بو حرد - فقد ارهقنا جميعا بذلك . ان جميلة بو حرد رمز في تاريخ كفاحنا المعاصر - ومهما كان الرمز رائعا فان اجتياحه الى هذه الدرجة بكل هذا الشعر امر لا يخلو من التعدي على جلاله وحرمة .

غير انني لم افهم لم تصور نازك جميلة بو حرد باكية حزينة - ان هذا عكس الفكرة التي نحملها عن هذا الرمز الصامد . انها امرأة ، بالطبع ، ولكنها امرأة من نوع آخر ، ونحن لا نحب ان نتصورها باكية . اما فدوى فقد قامت تعلن نسيانها - والحقيقة ان كثيرا من المشاكسة تنطوي وراء سطورها - سيما في الخاتمة :

وقد ضاع وجهك بين زحام الوجوه بافق حياتي المليئة .

وهذا ايضا مفاجأة من هذه الشاعرة الكبيرة التي اهدت اعذب عواطف الحنان في قصائدها - ولعل هذا التغير في فدوى يكون لصالح الشعر فتعطينا لونا جديدا منه .

وقد سبقت نازك فدوى في نظم قصائد الخصام والثورة على الحب واني بحق احب هذا النوع من الشعر الذي لا يستطيع ان انظمه ابدا - وانه يدل على ان الحوادث غير المستحبة تعيش عند هاتين الشاعرتين وقتا طويلا وتحفظ بتأثيرها .

نزار قباني وعدوى الاسلوب الشعري

في العدد نفسه قصيدتان احدهما « صيادو الذباب » لخليل خوري ، والثانية « تحية المؤتمر من العراق » لمحمد بحر العلوم ، كل ما يجمعهما هو ما لاحظته من تأثير شعر نزار قباني في اسلوبهما . ان قصيدة بحر العلوم تذكرنا بقصيدة نزار في الثورة العراقية . وقصيدة خليل خوري . تذكرنا باسلوب نزار عامة سيما في قصيدتي « الى ميتة » و « رسائل لم تكتب لها » :

وعلى ان قصيدة محمد بحر العلوم تشترك في بعض معانيها مع قصيدة نزار ، الا ان قصيدة خليل الخوري في معناها ، لا تضمن في الجو النزاري ابدا . بل على العكس ، ان شعر نزار لا يحتج على القلق العام المبهم لهذا الجيل - بل يساوق تيار اللهو ، واذا احتج انتخب له زاوية معينة وهاجمها - اما خليل خوري هنا فقد صور هذا القلق العام وهذا الشعور النزق بضياح الشباب بين احاديث تافهة على طاولات القاهسي . ان احتجاجه مباشر - والشاعر يدرك تماما سر المرض والوهن النفسي - فتصوير النفسية الفجيرة المشدودة الى حياتها الفارغة بجمال قوية يكاد يكون فوتوغرافي الدقة - ولذلك فهو لا يترك شيئا للقاريء يستكشفه لنفسه .

ولعل نزار قباني ليس الشاعر الوحيد الذي نرى تأثير اسلوبه في اساليب غيره من الشعراء - ولكنه اكثر هؤلاء الشعراء المعاصرين تأثيرا حتى الآن . ولعل سر ذلك يعود اولا الى وضوح شعره وثانيا الى سهولة اسلوبه وثالثا الى اتسام اسلوبه بالاصالة والاخلاص ورابعا الى لغته التي هي اقرب ما يمكن الى اللغة المعاصرة ، فهو يتحدث الى الناس بلغتهم المألوفة ، وخامسا الى نوع تجاربه . ان التجربة في شعره تكون عادة مساوقة لتجارب الآخرين ، فهذا الاسلوب المألوف الذي يحدثنا عن تجارب نالها لا يعدم ان ينسجم مع القاريء روحا وتعبيرا بحيث يتضاعف تأثيره عليه .

نزار قباني ولغة الشعر المعاصر :

ولعل سر اعجاب الكثيرين بشعر نزار قباني لا يعود فقط لان نزارا يمتلك ناحية التعبير الشعري فطرة وسليقة ، ولان شعره يكشف عن سهوله في اداء التعبير المبكر لا اثر للعمل فيها او للدرس ، فكان الكلمات تخلق وتتدفق قبل ان يعيا عقله ، بل لان نزارا في الدرجة الاولى يعرف كيف يستعمل في اغلب شعره الكلمة الطازجة والتعابير المعاصرة دون ان يشغل شعره بتعابير عصور تقضت واجيال من القلدين . انه يحدثنا بلغتنا نحن ، لا بلغة القرون الوسطى ، وهو يأخذ العبارة من افواهنا ويلمسه رفيقه يحيلها الى جزء من قصيدة .

## نقد الأبحاث

كانت « الآداب » قد عهدت في نقد أبحاث العدد الماضي ( وهي موضوعات البطولة في الأدب العربي ) الى الأديب العربي الأستاذ سامي الدروبي الذي حضر مؤتمر الأدياء العرب في الكويت . ولكن الأستاذ الدروبي اعتذر في آخر لحظة لاضطراره الى السفر خارج الاقليم الشمالي . و« الآداب » تعتذر بدورها الى القراء عن عدم نشر نقد للأبحاث الهامة التي قرأوها في العدد الماضي ، بسبب هذا الظرف القاهر .

### « الآداب »

اننا في شعرنا المعاصر نجتاز ثورة حقيقية كبيرة - ثورة في الشكل الشعري وفي الضموم وفي التعبير وفي اللفظ - ولعل اختيار الكلمة المعاصرة واقتباسها للشعر من اشق ما يحولله الشاعر المعاصر لتسلط التعبير الشعري التقليدي على اسماعنا وتبادر كلماته الى تهابينا ، وقد استطاع الشعراء المعاصرون الذين ثاروا على الشكل الشعري التقليدي ونظام الشطرين في القصيدة ان يتخلصوا بسهولة اكثر من تسلط التعابير التقليدية على اذهانهم لان هذه التعابير اسرع الى الانسياب في الاشكال الشعرية التقليدية لاقتزان هذه التعابير بموسيقى الشعر القديمة المألوفة . فلما تغيرت الموسيقى الشعرية سهل اشتغال التعابير الجديدة واقتباسها من حياتنا المعاصرة . اما نزار قباني فانه اظهر هذه المهارة في جميع انواع شعره - في شعره المبني على الاوزان التقليدية ، وفي شعره المتحرر منها وبهذا اثبت جدارة شعرية تلفت الانتظار - ولعله بهذه المهارة الفاتكة في استعمال التعبير المعاصر في الشعر بكل هذه السهولة قد اثر في تطوير اللفظ الشعرية المعاصرة تأثيرا يستحق ان يدرسه النقاد المعاصرون دراسة واسعة متعمقة .

في قصيدته « ثلاث قصائد من آسيا » امثلة كثيرة على هذا :

يا ارنبي الجميل - يا رغبة الحليب (1) - بلا خبز بلا طعام - مسر  
قطعتي حلي - بالف كنز - ملهل مشر . والحقيقة ان جل تعابيره عصرية جدا . احب كثيرا الصورة الشعرية في قوله :

والليل في هنكونج صندوق من الحلي  
بمشره الله على الجبال

انه يذكرني بعبق في فلسطين المحتلة ، وهو تصوير جميل بنفسه . وقد لاحظت ان نزارا يصور نفسه مستنبدا جديدا ، ان كل ما اتمناه هو ان لا يستمر في ذلك . فقد اصبح عندنا اكثر من سنبداب في الشعر المعاصر .

ما زلت في سليتي

اصارع الشمس والصوص والدوار

(1) التعبير بكلمة « يا رغبة الحليب والرخام » انه لا يمكن اسناد الرغبة الى الرخام بحال من الاحوال .

وكل هذه التعابير التي تقتزن بالسنبداب - القتل ، الفرق ، والبحار السبع ، والخطر والكنوز والاماء والذهب والحرير الخ . بقي ان اعرب عن امتنيتي ان يفاجئنا نزار بقصيدة من نوع اخر - كدفلة انعاش .

### الأوبريت والكورس

الشاعر نقولا قربان يكرس قصيدة طويلة لواحدة من الغائيات . والقصيدة اوبريت مؤلفة من نوال ، الغائية ، والكورس . واذا كان يعني الشاعر ان تغنى هذه القصيدة ، لو فرضنا صلاحيتها الشعرية ، فاني اعتقد ان شعرها المتوازن اجمالا لا يصلح للفناء الاوبري المقدم . انه قد يلائم فناء الكورس فقط - ولكن الشعر على لسان نوال يجب ان يكون منوع التفاعيل . ان الفناء الاوبري مقدم صعب ويحتاج الى دراسة طويلة وثقافة موسيقية واعية .

ولا بد من الحديث من الكورس وسرد كلمة تاريخية مختصرة عنه لمصلحة من جهل ذلك من القراء . بدأ الكورس عند اليونان - وقد كان اولاً مؤلفاً من جماعة من الرجال يغنون ويرقصون في الاعياد الدينية - وبالتدريج بدأ اليونان يغنون ادواراً كلامية حتى نشأت المسرحية اليونانية من هذا النوع من الاحتفالات ، وقد كانت اغاني الكورس تأخذ القسم الأكبر من المساة اليونانية في اول الامر - ولكنها بعد ذلك أصبحت تتألف من جماعة من المخرجين الذين كانوا « يلقون » بين الغينة والغينة على سير الحوادث دون ان يؤثروا في تطورها .

وقد اخذ كتاب المسرحية الرومان الكورس عن اليونان وعندهم اخلصوا الانكليز في القرن السادس عشر . غير ان الكورس الكلاسيكية لم تستعمل عند الكتاب الانكليز بكثرة ولعل اعظم مؤلف ادرجت فيه كان ماساة جون ملتون الشهيرة « سامسون اجونستس » وقد استعمل كتاب المسرحية الانكليز ، في العصر الاليزابيتي ، عصر المسرحية الذهبي عندهم ، استعمالوا الكورس احيانا مؤلفاً من شخص واحد يتلو البرولوج والنولوج للمسرحية كما فعل مارلو في دكتور فاوست وشكسبير في هنري الخامس . وقد استعمل الدكتور عبدالله الطيب فكرة الكورس في مسرحية « الزواج السم » و « الغرام المكنون » اللتين صدرتا حديثاً في السودان . وقد كان استعماله للكورس هنا على طريقة المساة اليونانية - فلم يكن لغنى الكورس دخل في تطور حوادث المسرحيتين وانما كانوا يلحون تلميحا اليها تارة لمسرين ، وتارة متنبئين وتارة معلقين ، بحيث يوجهون عاطفة المستمعين في المنحى الذي يريده الكاتب . انني اعتقد ان الدكتور الطيب كان ناجحاً جداً في استعمال الكورس ولعلها من الاولى عناصر مسرحيته .

وفي اوبريت نقولا قربان لا تقوم الكورس بدور الملق الذي يكتفى باللاحاح والتعليق - بل تقوم بدور المحدث والقصيدة كلها عبارة عن اخذ ورد بين الكورس والغائية .

### شعرنا والغائيات :

حاولت جهدي ان اجد في « اوبريت » نقولا قربان « بطولة » شيئاً اعظم وافضل مما ظهر لي اول الامر لدى اولي قراءاتي لها - ولكنني لم استطع ان افكر بما كنت اريد التوصل اليه ، ان المعنى الاجتماعي لهذه القصيدة ركيك لا يفتح القاري . عنوان القصيدة وطولها واللمحات التي تلمح اليها بغير عباراتها تجعل القاري يعتقد ان الشاعر يتناول موضوعاً حيوياً . انه يتحدث من الغائية وعن بعث الشرق وبهيب بالغائية ان تقتبس من خطاياها لان الشرق قد اصبح يختار البطولة ، انه رغم اهمية موضوع البعث في الشرق ورغم اهمية موضوع الخطيئة ، فسان

الشاعر لا ينجح في ان يجعل من هذين الموضوعين ، مقترنين مدموجين هكذا قسرا ، مشكلة ، حيوية يعالجها ، او ان يبرز لنا موقفا مميذا ذا اهمية يترك في نفوسنا اثرا او يسلط ضوا على زاوية الموضوع تكشف لنا ناحية ذات قيمة حيوية او ذات اثاره معنوية لنا . انني احب شعر نقولا قربان المنشور واتمنى ان لا يتخلى عنه فهو من كتابه البارزين . اما هنا فان هذه القصيدة لا تصل الى شيء من قيمة شعره المنشور ابدا . انها تعمل روح الصنعة والتكلف - هذا عدا عن ان فكرة استحياء الخاطئة لبطولة الشرق كي تقتسل من خطاياها لا تحمل معنى مقنعا . الخاطئات جزء من كل مجتمع - وانني احيل القاريء الى قصة كتبته القصاصة الباردة الصديقة سميرة عزام واهدتها الى « واحدة منهن » ايام الفيضان في لبنان - لقد كانت تلك الخاطئة اكرم وابسل من تبرع لمكوبي الفيضان - والقصص الغربي حافل باعمال بطولية قامت بها خاطئات .

وان موضوع الخاطئات نفسه موضوع جرح في الشعر العربي . والحقيقة ان هذه الناحية في شعرنا تحتاج الى بحث طويل مركز - فقد كثر ذكر الخاطئات والمطف عليهن في الشعر المعاصر - واصبح ضروريا ان يبحث النقد اسباب هذه النزعة والتيارات الادبية التي غدتها ... واحتمال اصلتها او عدم اصلتها ، واختلاف معالجة الشعراء المتعدين لها وتعليل هذا الاختلاف .

الشعر المعاصر وفوضى التعابير والمعاني والصور : في الحقيقة ان شعرنا المعاصر حافل بالتعابير الفجة والمعاني غير الواضحة والصور التي لا يمكن تخيلها والتي تجيء احيانا مضحكة او خالية من اي مدلول معقول . وسوف احاول ذكر بعض هذه التعابير في بعض قصائد هذا العدد :

من «عيد الميلاد في بغداد» :

## دار النشر للجامعيين



صدر عنها حديثا

### (١) الجمهورية العربية المتحدة

طبعة ثانية جديدة

مع فصل ضاف عن الثورة العراقية

بقلم الدكتور محمد مجذوب

اجد السماء نظيفة السنا ( نعت السنا بالنظافة )

ودم المحبة سال ابني خابطا ( آمل ان تكون هذه اللفظة قد

وردت سهوا )

خضر الحدائق وانتهي عمر المنا ( تعبير غير جميل ) .

من « غثوة وداد لجميلة بو حديد » :

يا نجمة عطر عربي الطيب ( آمل ان تكون هذه غلطة مطبعية ايضا )

وترف على هودجها الطارق ابوابا من ورد ( ما هو الهودج

الطارق ، ما هي الصورة الشعرية التي يرمي اليها الشاعر ؟ )

فاهب من النوم واصرخ محموما يا شار

اغرزها في صدري يا شار

ان اول ما يلفت النظر هو التعبير والصورة التي يتخيلها الانسان

- للشاعر - ثم هذا الترخيم لاسم شارة الضابط المظلي .

من « بطولة »

يقول الشاعر على لسان نوال الخاطئة

هذي انا بنت السراب

بنت الرجال القاطمين الغاب

فماذا يعني ببنت السراب ، ومن هم الرجال القاطمون الغاب

ثم يقول على لسانها ايضا

خلقت لا حبا ولا نخوة

انا افهم انها قد تقول انها لم تولد بالحب وانما لا نخوة ؟ ما معنى هذا ؟

ثم يقول على لسان الكورس

اما سمعت زارة الزائر

في عمقها الثوري

## (٢) هذا التاج

طبعة ثانية جديدة

قصة الثورة على الظلم الاجتماعي والاستبداد

باسلوب اخاذ يذكرنا بقصص كليله ودمنة

للاستاذ واصف البارودي

### (٣) قبل ان يتفلسف الانسان

( في موسوعة الثقافة الفلسفية )

اول كتاب من نوعه في العربية يبحث في حياة

الانسان وعقليته قبل نشوء الفلسفة

بقلم الدكتور محمد عبد الرحمن مرجبا



# مجموعة تراث العرب

ق.ل.

صدر منها

- ٣٠٠ \* لسان العرب ٦٥ جزءا ثمن الجزء
- ٤٠٠ \* معجم البلدان ٢٠ جزءا ثمن الجزء
- ٢٥٠ \* الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٢ جزءا ثمن الجزء
- ٣٠٠ \* رسائل اخوان الصفاء ١٢ جزءا ثمن الجزء
- ٦٠٠ \* البخلاء للجاحظ
- ٦٠٠ \* مجمع البحرين لليازجي
- ٧٥٠ \* مقامات الحريري
- ١٢٠٠ \* مصارع العشاق جزآن
- ٦٠٠ \* ديوان ابن الفارض
- ٤٠٠ \* سقط الزند لابي العلاء المعري
- ٤٠٠ \* ديوان عبيد بن الابرص
- ٣٠٠ \* شرح المعلقات السبع
- ٥٠٠ \* ديوان عنتره
- ٤٠٠ \* ديوان امرئ القيس
- ١٠٠٠ \* ديوان المتنبي
- ٦٠٠ \* ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات
- قيد الطبع \* ديوان الفرزدق
- قيد الطبع \* ديوان جرير

الناشر : دار بيروت - دار صادر

اذ تشعل الشرق منائر

وتوقف القمري

ليملا الارض بشائير

بلحنه الخمري

فاول شيء لا نجه هنا هو تعبير زارة الزائر - ثم لو قبلناه فاننا لا يمكننا ان نقبل الفكرة انها تشعل الشرق منائر - ثم كيف يكون اللحن خمريا ؟

ثم ما معنى قوله على لسان نوال

وضيعة يخدمني الشعراء

او قوله على لسان الكورس مخاطبا نوال

كانما الياس عريس او اله تمدينه

ثم ما هي الصورة الشعرية هنا

عيناه عين من خيانات واخرى بعض زينه

ثم قوله

في لغة عربية مجدولة مثل جديله

كيف تجدل اللثغة ، ثم ان تعبير مجدولة مثل جديله ضعيف بحد ذاته.

ثم هذا المعنى المؤذي

ان خطيئات دليله

قد كفرت عنها جميله !

من قصيدة « طفل اعرج في ليلة البلاد » :

ان التعبير اجمالا في هذه القصيدة لا بأس به وان كان الشاعر يصف

احيانا الى درجة غير قليلة

فلقد رايت الامس طفلا فوق ساق واحدة

من يصنع العسكاز للاطفال جطم ساعده الخ

وبعد فاني اود ان اعتذر للشعراء جميعا على قصوري نحوهم - فانه

من غير الممكن ان يلم النقد بكل شيء - وهناك شعراء لم اتعرض لهم

ابدا - وهناك شعراء اشعر بالاسف لاني تعرضت لنواحي الضعف لا

لنواحي الجمال في قصائدهم . اود ان اشير بصورة خاصة لقصيدة

سليمان العيسى التي لم ادخلها في نقدي - فهي كباقي شعره الذي

يستحق النقد كمجموعة كاملة أمل ان يسعدني الحظ بالحديث عنها

واني ارى ان سليمان العيسى ما زال يتبع نفس النهج بعد ان راينا اخاه

يوسف الخطيب يدور مع دورة الزمن وينظم الشعر الحر مؤخرا . اما

خليل حاوي فقصيدته « الجزار » التي يهجو بها كافورا معاصرا تحمل

معاني مباشرة اكثر من شعره الاخر والرموز فيها لا تعمق الى اكثر من

دلالته الظاهرية - غير انه جاءنا فيها بتعبيرين مبتكرين على غاية من الروعة

وهما :

لن تعرف المرج الذي يحبو

ويغرش بيتنا غب الصقيع

والشمس تاوي من غباب القطب

تدفئها وتمضي مطمئنة

وتحياتي للشعراء الستة عشر جميعهم (X)

سلمى الخضراء الجيوسي

(X) ارفقت النافذة الغاضلة بهذا النقد دراسة تفصيلية من وحي قصائد

العدد الماضي بعنوان « بحر الرجز في شعرنا المعاصر » وقد راينا ان

نرجي نشرها الى العدد القادم لضيق المقام

« الاداب »

## الشاهد .. بدون ماكياج !!

بقلم محيي الدين محمد

الى الاستاذ رينه حبشي

يبدو اننا نتفق في مقدمات لا حصر لها ، حتى تكون مأخذ بهذه القلة ، ونختلف في نتائج بعيدة الاثر ، لتكون هذه المأخذ بتلك الدقة .. فاذا ما حصرت - هذه المأخذ - ، كان اخطرها واشدها تطلبا للايضاح ، هو مثالية شخصيتك ( الشاهد ) وسليته ، فما زال هذا الانسان المثالي مطلسم وغامضا ، لان نقطة - او بالحري نقطتي انطلاقه - تمنعانه من التقدم. وقد كان في الحقيقة لتوضيحك الهام لشخصيتي الفوضوي والحزبي ان تجنبت الخلط بينهما وبين الشاهد الذي يحمل في صميمه مآثر الاثنين ومباذلهما .

فاولا : ليس الفوضوي ثوريا حقيقيا ، ذلك لانه ضد اي وضع قائم بالضرورة ، اي ليس حرا ، فملكة الوعي اذن منزوعة عنه ومبتورة . وليس الحزبي ثوريا حقيقيا كذلك ، لانه بالنتيجة ليس حرا ، فالحزب يفكر له ويقدمه كالثمرة الناضجة الى التكيل والى الثورة والى الجريمة . فهل يمكن للشاهد ان يكون ثوريا حقيقيا ، بمعنى ان يكون حرا في البداية ؟.. لقد رأينا ان الشاهد يمكنه ان يكون حزبيا ، ويمكنه كذلك ان يصير فوضويا ، وقدرة التذبذب بين هذه الاقطاب ، اي بين ايجابية الثورة ، وتطلبها لرفض الذات ، وحشر الفرد في نطاق الكل ، وسلبية الفوضوية التي تحاول تغيير المجتمع بطريق قتل السياسيين واحراق رياض الاطفال والكنايس ... قدرة الشاهد على ارتداء هذه الازياء المتناقضة توقعه في الاستحالة والفموض اذا لاحظنا تبعيته الخائفة لفكرة الحب الذي يصدر عنها ..

فهل هو فوضوي حقيقي ، اذا اختار ان يكون فوضويا !.

وهل لا يكون متناقضا اذا كان يدين بالحب الانساني ، ويعد ان عليه كثوري مهمة ان يقتل زعيما سياسيا ..! وسيظل هذا التناقض يؤرجح ارادته بين الفعل واللافعل ليسقط في ابدية السلبية .. وليس على المواقف التي تحتاج المبادرة والحسم وانتهاز الفرصة الا ان تنتظر شكوك الشاهد الفوضوي وحيرته ، وعودته الى ذاته مرة ، والى الحب مرة اخرى والى نصوص الفوضوية مرة ثالثة .. كل ذلك بازاء موقف انساني واحد .. وان على هذا الموقف ان يجمد قليلا ، وعلى البشرية كذلك ان تنتظر !!!..

والتناقض يلبس لا معالة جسد الشاهد حين يختار ان يكون حزبيا .. فالشاهد ( هو الذي لا يتخلى عن التأمل ولا عن المعرفة الدقيقة للوضع ، ولا عن وضوح بصيرته ، ولا عن الارتباط بمسؤوليته الشخصية ... ) ، فكيف يمكن لهذا الجسد الشخصي المتفرد ان يلبس لباس الحزبي الذي يفرض في البداية ان تنزع عنه هذه الفردية التي هي ميزته - كشاهد - بالذات !

واذا استطاع - فرضا ان يدخل في لباس الحزبي : افلن يجد سلوكه متناقضا اذا طلب اليه الحزب الذي لا يقبل نقاش الافراد ، ان يصنع قنبلة في عربة الزعيم ؟! ان يكون سلوكه مضادا لفكرة الحب التي يجب ان يتخلى عنها ليصبح حزبيا حقيقيا ؟!

واذا تخلى فعلا عن فكرة الحب ليدخل في لباس الحزبي هل يبقى شاهدا؟! ثانيا : بعد الف وتسعمائة وثمان وخمسين سنة ، كان على ديانة الحبان تكف عن الدعوة وان تصمت ، ففي سبيل هذا الحب المفترض اخرنا فرصتنا في الحياة والتقدم والاشتراكية ، واذا سمحت لي ، استطعت في فرصة اخرى ان اقدم لك احصائيات سوداء في حاضرتنا وماضينا القريب عن عدد الموتى جوعا والمسلولين وسيئي التغذية ، وعن عامل الفقر الذي يوطر شرقنا العربي ويخفه ، وعن نسبة الجهل الشائنة التي تدفع بركبنا الحضاري الالف الاعوام الى الوراء ... كل ذلك هو نتيجة تمسكنا الجامد بفكرة الحب واشتراكية الزكاة (III) والمضحكات الاخرى .. لقد تخلينا عن طلب العدالة لان تاريخنا قال كما تقول انت ( الحب وحده قادر على التوحيد وعلى انقاذ العدالة .. ) (!)

ان هذه الانطولوجيا الجديدة التي تتقدم بها مجردات جابريل مارسيل في رسم كاثوليكي منجز ، لتعني في البداية بابرار مناقب انسانها المثالية، ثم هي تبيح له ان يلبس لكل حالة لبوسها ، اي ان يرفض مناقبه بالذات ويطررها مغفيا هذا التناقض بفكرة عن الحرية تسقط هي نفسها من الشكوكية باصرارها على اتخاذ منطق هو ضد الحرية في تأكيدها على فكرة الحب .. فكان على الفرد الحر ان يتخذ فكرة الحب واجبا والاسقط في العبودية .. وما هنا ينزلق المسيحي الحر ، ويصبح هو والمسيحي العبد مشتركين في ملامح واحدة .. ولذلك يسقط الوجودي المسيحي الذي هو الشاهد بكل تأكيد في حما التناقض المنطقي والتقني ..

وان على من ينادي بالحب النظري بين الانا والآخر ، ان يراجع جيدا نهاية السيد المسيح .. !!

ثالثا : يمكن للشاهد ان يكفر بكل مناقبه ، لان قدرته على الانضواء وعلى رفضه ، مطاطة وحبل بالقبول ، والفرد الذي يمكنه ان يختار الوعي ، ويمكنه ان يخفي هذا الوعي باختياره للنقيض - اذ لا يمكن ان يكون واعيا واختار حالة اللاوعي . انني اخفيه وحسب - هذا الفرد يحمل امكانيات الخيانة والجبن واللامسؤولية ..

ولا بد من ملاحظة انه بدون اقرار الحرية تنقلب الثورة الى السخرة والدكتاتورية ، او الى الفوضى وتنازع السلطان والهدم . فليس الفوضوي ولا الحزبي ولا الشاهد ثوارا حقيقيين ، انهم اصنام وعبداء ومثاليون ... ذلك لانهم ليسوا احرارا ..

اذن من هو الثوري الحقيقي اذا كان الفوضوي هداما ، والحزبي ليس حرا ، والشاهد متناقضا وسلبيا .. ؟ !!

رابعا : لا بد في البداية ان يكون الثوري حرا ، بمعنى ان يكون نظيفا وخاليا من كافة الجرائم السابقة التي تلوث انضواءه وتذبذبه ، فليس

## ١ - اقتراح

تلقينا من الشاعرة العربية الكبيرة الانسة نازك الملائكة الكلمتين  
التاليتين :

تحية العروبة

دايت مجلة الاداب على ان تكل بكل عدد من اعدادها ناقدا مختصا  
يتناول موادها بالنقد تحت عنوان « قرات العدد الماضي من الاداب »  
وقد كان هذا الباب وما زال اكثر ابواب المجلة حيوية فهو يقرب بين  
الكاتب والناقد ويتيح لهما فرصة لتبادل الراي والمناقشة على صعيد  
موضوعي . والواقع ان تجربة «الاداب» القيمة في هذا الباب قد ألقت  
ضوءا على كثير من المآخذ التي يسقط فيها النقاد وهم يتناولون مادة  
المجلة ، حتى بت اشعر ان من حق النقد على مجلة « الاداب » - وهي  
بلا ريب المجلة الادبية الاولى في الشرق العربي - ان توليه من عنايتها  
بمقدار ما تولي المادة المنقودة . فاذا كنا نسلم شعراء المجلة وكتابها  
الى قلم الناقد ونسأله ان يتحكم - افليس من الضروري ان نسلم النقاد  
انفسهم الى ناقد يسلط عليهم الضوء ويفحص مناهجهم النقدية  
ويبدي رايه في اساليبهم ؟ ارجو من الصديق الكريم ان يولي هذا  
الموضوع عنايته ، واقترح ان تفتح الاداب بابا جديدا ينشر فيها اربع  
مرات كل عام على ان يتناول الناقد بالنقد باب « قرات العدد الماضي »  
في الاعداد الثلاثة السابقة دفعة واحدة .

جواب « الاداب » :

نرحب باقتراح الشاعرة الكبيرة وننتباه ، ونرجو ان توافق على  
ان تتولى هي نفسها الحلقة الاولى من هذا الباب الجديد في موضوع  
« نقد الشعر » . فاذا تمت هذه الموافقة ، فسيكون للقراء الكرام حظ  
قراءة هذه الحلقة الاولى في العدد الرابع ( نيسان ، ابريل ) من هذا  
العام .

## ٢ - بيان حقيقة

اكتشفت مؤخرا ان قصيدتي « لنفترق » منشورة في ديوان عنوانه  
« شموع » للاستاذ الشاعر ابراهيم العريض، وقد رد عليها الاستاذ  
بقصيدة من وزنها وقافيتها وادرج قصيدتي وجوابه عليها تحت عنوان  
« رسالة وجوابها » . والحقيقة ان قصيدتي المذكورة لم ترسل في رسالة  
الى اي انسان وانما قرأها الاستاذ العريض - كما قرأها سواه من  
القراء - منشورة في مجلة الاديب ( فبراير ١٩٥٢ ) . وعليه فانا استغرب  
اشد الاستغراب ان يسوغ الاستاذ العريض لنفسه ان ينشر قصيدتي  
المذكورة في ديوانه دون اذن مني ، واستغرب اكثر واكثر ان يسميها  
« رسالة » مع انه لم يقرأها الا في مجلة الاديب . والذي اعرفه ان  
عرفنا العربي الكريم لا يبيع لانسان ان يتناول قصيدة من مجلة ادبية عامة  
ويسميها رسالة اليه . واظن هذا غير مستساغ في اي عرف اخر غير  
العربي ايضا . ومهما كان قصد الاستاذ العريض من ذلك - وانا احب  
ان افترض حسن النية دائما - فانا اعلن الحقيقة على صفحات  
« الاداب » للتاريخ .

نازك الملائكة

(الشاهد) الا التطبيق المثالي لهذه الحالة المتناقضة ، فما الذي يدل على  
ان الموقف يتطلب العنف ، ما دام مكرها على اتخاذ .. ؟! من الذي  
يحمل المقياس الذي يقيس به درجة التوريشير اليه بانغاذ الجريمة مثلا؟!  
واذا كان هو العامل لهذا المقياس المفترض ، افلن يؤجل في كل لحظة  
هذا القرار لان جرثومة الحب السابقة التي اختارها قبل ان يصبح فوضوية  
وحيث كان شاهدا ، ما زالت تؤثر في قراراته ؟!

ان شاهدك ليس حرا لانه يصدر عن موقف مثالي مسيحي ، ولا بد  
ان تتدخل اشارة من اشارات الصليب في موقفه وان تعدل من حريته  
حسب اشتراطاتها . والانسان الذي يحمل الحب في قلبه يحمل معه  
التسامح والرضى ، وفي فرصة اختيار واحد من المشروعين المتضادين :  
الحب ، او تنفيذ العدالة بالقوة .. سوف يجنح لانه مسيحي الى  
اختيار نفس الموقف الذي حدده له ربه ، ثم قتل على الصليب .. واذا  
اختار تنفيذ العدالة بالقوة سوف يظل متوترا ومائلا الى الجانب الاخر  
الذي نحت عليه . وسيظل حاملا امكانيات الطيبة ، محاولا تهدئة الحدة  
الثورية في كل لحظة ، مما يهدد الثورة كلها بالضعف والخور والفشل ..  
ان اختيارا سابقا يفشل باستمرار حريته الخاصة ويردها الى حتميته  
كبيرة المفاتيس ..

اما الثوري الحق ، فهو الحر الذي لا يصدر عن فكرة سابقة ، والذي  
لا تحكمه سوى حريته ، فاذا انضوى هذا الفرد النظيف فانه ينضوي  
بقلبه وحماسه وعنفه وطره وكل بطولانه .. بدون ان يقلقه ايمان سابق  
ومحاولات تدخل من فكرة الحب ، وسيكون انضواؤه حاسما وملتهبا لان  
الفكرة التي يصدر عنها ليست قيذا كفكرة الحب ، تقيد سلوكه  
باحكامها .. بل هي دافع مسؤولي يحرك ويحمس .. ومن هنا ندرس سر  
اللا تناقض في موقف الوجودي المحدد .. فحريته وحسب هي منظوره  
تجاه العالم والاخرين ، وليس اية فكرة تضحي بالنسبة له فيسده  
واقفاله .. !!

ان فكرة الحب تصبح ( الواجب الاخلاقي ) للمسيحي ، لان ربه  
حدد له موقفه بذلك ، وهنا تكف القيمة الاخلاقية من ان تكون كذلك  
منذ اللحظة التي تتحول فيها من الحساسية الفردية الى الالتزام القطيعي ..  
بل انها تصبح قيمة احتمالية في اللحظة التي يصار فيها الى التشكك  
في نتائجها كواجب ، لان تأثير الشكوك يحتم التراجع والثاني وتغليب  
الامور من كافة زواياها .. وهنا تصبح الاخلاق طريقا جانبيا للفرار  
من حتمية الفعل الى سلبية النكوص ، كما تصبح الاخلاق الالتزامية ،  
طريقا جانبيا اخر للفرار من المسؤولية والالتزام ، ليصير الجواب : لم  
اختر انا ، وقد كان ذلك مفروضا علي .. انه الواجب !..

وهذا التناقض الذي تظهره الوجودية المسيحية ، والذي يوطرها منذ  
تناقضها المنطقي الاول ، وهو استحالة ان يكون الله وجودا قبل ان يكون  
ماهية ، واستحالة ان يكون الانسان حرا في امبراطورية الله .. هذا  
التناقض يظهر في كل اختيار وموقف مسيحي مشوها وماسخا معنى  
الحرية الانسانية ، وملوثا اياها في التراب .. من كل ذلك .. تطفن الى  
ان الشاهد يصبح مثاليا لانه مستحيل التحقق ، ويصبح غامضا لان  
حدوده مطلزمة وقابلة للتوسع والضييق ، ويصبح سلبيا لان فكرة  
الحب تمنعه من العمل ..

القاهرة محيي الدين محمد

# فهرست

## العدد الثاني - شباط (فبراير) ١٩٥٩

| صفحة |                                                                                          |
|------|------------------------------------------------------------------------------------------|
| ١    | معركة الثقافة في لبنان . . . الدكتور سهيل ادريس                                          |
| ٣    | محاولات في فهم التاريخ المعاصر-٢-<br>مراحل اليقظة العربية الاخيرة . . . عبد اللطيف شراره |
| ١٠   | النأي وريح الرمل<br>في الصومعة ( قصيدة ) . . . خليل حاوي                                 |
| ١٢   | راي اخر في رواية<br>« الخندق العميق » . . . ميخائيل نعيمة                                |
| ١٣   | «الخندق العميق» ومدى تعبيرة<br>عن تمرد الجيل . . . محيي الدين صبحي                       |
| ١٦   | افعال ( قصيدة ) . . . عبد الوهاب البياني                                                 |
| ١٧   | سيمفونية الزحف (قصيدة) . . . اسماعيل مصطفى الصيبي                                        |
| ١٨   | في قضية الدكتور جيفاغو . . . رثيف خوري                                                   |
| ٢٠   | سنة رجال تحت الارض ( مسرحية ) . . . خليل الهنداوي                                        |
| ٢٤   | الى نجمة الغروب ( قصيدة ) . . . ملك عبد العزيز                                           |
| ٢٥   | « مدينة بلا قلب » بين<br>الشعر والحياة . . . رجاء النفاش                                 |
| ٣١   | في حي القصبة ( قصة ) . . . حنفي بن عيسى                                                  |
| ٣٣   | اسطورة الوفاء ( قصيدة ) . . . فدوى طوقان                                                 |
| ٣٤   | يقظة العرب وامل البشرية . . . ذوفان قرقوط                                                |
| ٣٩   | قصة في دفيقة (قصة) . . . يوسف الشاروني                                                   |
| ٤٠   | الشمس خلف غيمة الخريف (قصيدة) . . . حسن فتح الباب                                        |
| ٤١   | الامير عبد القادر : بطولة وشعر . . . احمد الخطيب                                         |
| ٤٤   | الى عابرة (قصيدة) . . . كمال نشات                                                        |
| ٤٥   | الرسم من مادة الحياة . . . شاكر حسن سعيد                                                 |
| ٤٩   | زواج شاعر (قصيدة) . . . ابراهيم عبد الحميد عيسى                                          |
| ٥٠   | ابتسم يا وجهها المتعب (قصة) . . . زكريا تامر                                             |
|      | <b>النتاج الجديد</b>                                                                     |
| ٥٢   | « ارزاق » . . . باسم عبد الحميد حمودي                                                    |
| ٥٤   | «مرشد المعلمين في اصول تدريس<br>تدريس العلوم» . . . الدكتور فريد النجار                  |
| ٥٥   | « مشكلة الامام الغائب وحلها » . . . عبد المحسن الحكيم                                    |
| ٥٧   | «ظلام في النهار» . . . كمال خير بك                                                       |
| ٥٩   | العودة الى البيت (قصة) . . . بقلم وليم سارويان<br>( ترجمة ربيع الملا                     |
|      | <b>قرأت العدد الماضي من «الآداب»</b>                                                     |
| ٧٢   | نقد القصائد . . . سلمى الخضراء الجيوسي                                                   |
|      | <b>صندوق البريد</b>                                                                      |
| ٧٧   | الشاهد بدون ماكياج . . . محيي الدين محمد                                                 |
| ٧٨   | اقتراح - بيان حقيقة . . . نازك الملائكة                                                  |

# دار المعارف بيروت

## شركة لبنانية مساهمة

بناية العسيلي السور ص.ب. ٢٦٧٦

تبدأ دار المعارف بيروت قريبا باصدار اربع مجموعات من نفائس الكتب تتناول فيها :

١ - القصص في البطولة والمغامرة

٢ - التراث العربي الخالد

٣ - نفائس الادب العالمي

٤ - آفاق العلم الحديث

يقوم باختيارها او بتأليفها او بترجمتها نخبة من مشاهير الادباء في لبنان والبلدان العربية الاخرى.

تصدر مجلة

سندباد

بعد تجديد شامل

اشرف على التجديد اساتذة  
مختصون في نفسية الطفل ومشاكل  
التربية

× تحمي اطفالنا من الفراغ

× تسلحهم ضد الشذوذ والانحراف

× تعدهم لمراهقة سليمة وشباب

سعيد

مع كل عدد هدية مفيدة

٢٠ صفحة ٣٥ قرشا لبنانيا

تطلب من باعة الصحف والمكتبات



مجلة سندباد رابطة تجمع بين قلوب الناشئة في مختلف الأقطار



قريباً في الاسواق :

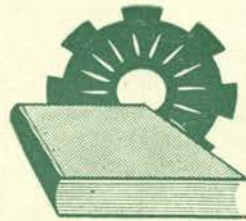
# أشباع أبطال

مجموعة من القصص الثورية تؤرخ للجيل العربي من الداخل ،  
تفصح تناقضاته في حبه ونضاله ، في عظمته وخطيئته .. في  
رواده :

نصف اشباح ... نصف ابطال !! ..  
المجموعة القصصية الاولى من

## مطاع صفدي

الكاتب العربي المبدع



دار الفجر الجديد للطباعة والنشر  
بيروت

الطلبات ترسل باسم صاحب الدار منير منيمنه - بيروت ص.ب. ٢٢٩٦